

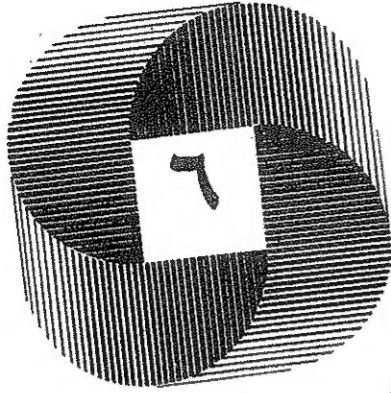
الفصل السادس

السُّورَةُ الْاِسْمَاءِ

في

حَضْرَةِ وَاْدِي الرَّافِدِيْنَ





• سومر والسومريون

• تطور حياة السومريين الزراعية

• دور الاكديين الساميين في تطور حياة

السومريين الزراعية

• التحريات الاركيولوجية لانهر ومدن

وقرى سومر واكد

• قدسية الزراعة لدى السومريين والاكديين

• اقتان الاكديين والسومريين لعلم المساحة

• اقتان الاكديين والسومريين لعلم البستنة

• قدسية نهرا الفرات لدى السومريين والاكديين

• ممارسة الري بالوساطة

• الملاحة على نهرا الفرات

لم يستقر الباحثون على رأي عن اصل السومريين ، منهم من رأى انهم جاءوا من البحرين من منطقة  
ما تقع شمال الرشد بين افغانستان وبلوختان ، ومنهم من ذهب الى انهم جاءوا الى العراق من  
البحرين ومنهم من اعتبرهم بدوا من بلاد القوقاز او بحر قزوين ، بينما ذهب رأي آخر الى  
انهم جاءوا من الهند واخيراً اتجه فريق آخر الى انهم من الاقوام التي قطنت العراق منذ  
العصور الحجرية وان ثقافتهم اصيله في العراق ومنها كان الامم السومريين على الرغم  
من ان لغتهم اجنبية غير سامية فهم يعتبرون عراقيين بعد ان تنفقوا بالثقافة السامية  
العراقية وعاصروا الساميين وشاكوهم في حياتهم الزراعية . والى نرجح ان مكان اصل  
السومريين الاخير هو عيلام البطا الحية المجاورة الى منطقة الهوار العراقية  
والطشابه لها في بيئتها الطبيعية ، والى نرجح ان السومريين جاءوا بلغتهم الاجنبية  
من مكان آخر غير عيلام ثم استقروا في الهوار عيلام ومنها انتقلوا الى الهوار العراقية  
المجاورة فنقلوا معهم لغتهم مع العلم انه لا يوجد بينهما حدود تفصلها .



لقد اتفق الباحثون اجماعا بان السومريين جنس غير سام وان لغتهم غريبة عن المنطقة لا تشبه اللغات السامية ولا اللغات الآرية ولا نعلم زمن مجيئهم الى جنوب وادي الرافدين وان ذهب البعض الى ان ذلك ربما كان في الالف الرابعة او الثالثة قبل الميلاد غير ان معلوماتنا عنهم ترجع الى عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ - ٢٣٧٠ ق م) وقد اختلفت الآراء في تعيين موطنهم الاصلي ، ذهب راي الى انهم مهاجرون من منطقة ماتقع في ما بين شمال الهند وبين افغانستان وبلوخستان جاؤا عن طريق الخليج العربي وجزيرة البحرين بعد ان استقروا في غربي ايران فترة ما ، وذهب راي ثان الى اعتبارهم بدوا مما وراء بحر قزوين . ويرى آخرون انهم جاءوا من آسيا الصغرى بينما ذهب راي ثالث الى انهم جاءوا من السند ، بل لقد اتجه فريق رابع الى انهم من الاقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ ، وان حضارتهم اصيلة في العراق ، بل ويمكن تسمية اهل حضارة العبيد بالسومريين على الرغم من عدم معرفتنا للغة حضارة اهل العبيد<sup>(١)</sup> . وهناك من يزعم ان السومريين انما جاؤا الى العراق من البحرين في حوالي ٣١٠٠ ق م. وقد عرفت البحرين باسم « دلمون » في النصوص السومرية (١) .

ونستخلص من هذه الآراء المتعددة : ان الباحثين لم يستقروا بعد على راي عن اصل السومريين من اين جاؤا من الشرق او الغرب او الشمال او الجنوب ولكن المسألة التي تحتاج الى تصحيح هي انهم تعلموا الزراعة في ارض العراق ، سواء كانت هذه الخبرة نشأت تلقائيا نتيجة ظروف البيئة وطبيعة النهر والارض ، ام انهم تعلموها من المصريين كما يذهب اليوت سميث في كتابه المصريون القدماء ام الساميين الذين كانوا يعيشون في الارض المتاخمة لهم من اعلى ، كما يرى فرانكفورت في كتابه « مولد الحضارة في الشرق الادنى » (١٩٥١) دراسات في العالم العربي ، ص ٧٨) . والثابت كذلك ، ان المدن القديمة التي عرفناها في هذه الارض كانت سامية وسومرية ، وكانت بعض المدن السامية اقدم من المدن السومرية ، وكانت السيادة في الاغلب الاعم للمدن السامية ( ديلا بورت : « بلاد ما بين النهرين » ، تاريخ العالم ، المجلد الاول ، قوائم ملوك واسر العراق القديم ، انظر ايضا : « الفن الاسلامي » تاليف ابو صالح الاتقي دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ، ص ٣٤٣\* ) .

ومهما كان الامر ، ان السومريين على الرغم من ان لغتهم غير سامية فهم يعتبرون عراقيين بعد ان تثقفوا بالثقافة السامية العراقية وعاصروا الساميين وشاركوهم في حياتهم الزراعية .

٢ - راي الاستاذ طه باقر في اصل السومريين

يؤيد الاستاذ طه باقر الرأي « بان السومريين هم احدى الجماعات المنحدرة من بعض الاقوام المحلية في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، وانهم عرفوا باسمهم الخاص ، أي

(\*) انظر : صموئيل كريم : « السومريون » ، ترجمة دكتور فيصل الوائلي ، وكالة المطبوعات الكويت ، ١٩٧٣ .  
انظر ايضا :

S.N. Kramer: "The Sumerians", Chicago, (1963).

L. Woolley: "Mesopotamia and the Middle East", London, 1961.

السومريين نسبة الى اسم الاقليم الذي استوطنوه أخيرا في القسم الجنوبي من العراق ، أي ان التسمية لاحقة للاستيطان ومشتقة من اسم موضع جغرافي ولا تحمل مدلولاً قومياً ، يؤيد هذا ان كثيرا من الاقوام التاريخية التي اشتهرت في وادي الرافدين وأسهمت في تكوين حضارته واحداث تاريخية سميت باسم المواضع التي حلت فيها مثل الاكديين نسبة الى مدينة «أكد» أو «أكادة» العاصمة التي أسسها سرجون الاكدي ، والبابليين نسبة الى مدينة بابل والآشوريين نسبة الى مدينة آشور على ما يرجح كما يمكن تتبع أصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ما قبل التاريخ وفي كلامه عن الساميين يؤكد كما نوه به مرارا « ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في السهل الرسوبي من جنوبي العراق بل جاؤوا أقبوا ما اخبرني وفي مقدمتهم الساميون . وبخلاف ما ذهب اليه البعض من نسبة الاصل الجبلي الخارجي الى المهد الذي نزع منه السومريون ، لا نجد من المآثر السومرية وعلى رأس ذلك آدابهم وأساطيرهم وشعائرهم الدينية ، ما يشير الى أصل غريب عن بيئة وادي الرافدين الطبيعية ، ولا سيما القسم الرسوبي منه بل طابع حضارتهم المميز مشتق من بيئة نهريّة ذات أحراش وقصب ونخيل وأثل وغرين وفيضانات وسهول الى غير ما هناك مما سبق ان نوهنا به من اثر البيئة الطبيعية في حضارة وادي الرافدين » . وينتهي الاستاذ طه باقر الى القول عن مسألة السومريين في تاريخنا القديم : « ويبدو مماعرضناه من آراء عن أصل السومريين ومهدهم ان ذلك من القضايا التي لم تستطع حلها الدراسات اللغوية والآثرية ، وان كل ما قيل ويقال بشأنها مجرد تخمين وافتراضات لا يمكن البرهنة عليه ولا رفضه بوجه قاطع (٢) » .

لقد نقلت الى القارئ رأي الاستاذ طه باقر بالنص لما له من وزن ومكانة علمية في نظرنا ، والذي نستنتجه من كلامه انه يذهب الى تأييد رأيين اساسيين :

أولا : ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في وادي الرافدين بل جاؤوا أقواما أخرى وفي مقدمتهم الساميون وان السومريين لا يحملون دلالة قومية .

ثانيا : ان وطن السومريين هو وادي الرافدين .

٣ - رأينا في اصل السومريين وتعليقنا على رأي الاستاذ طه باقر .

نحن نتفق مع الاستاذ طه باقر بالنسبة للرأي الاول ، أي ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في وادي الرافدين بمعنى ان هناك أقواما أخرى سبقتهم في الاستيطان وفي مقدمتهم الساميون . كما اننا نتفق وايضا ببيان السومريين لا يحملون دلالة قومية بمعنى انهم لا يمثلون شعبا ذا عنصر معين ولكنهم يمثلون ثقافة على اصح تعبير . اما الرأي الثاني فلا نتفق معه بما ذهب اليه بسبب كون لغة السومريين لغة اجنبية غريبة عن المنطقة ، فلا بد ان يكون السومريون قد جاؤا بهذه اللغة من مكان غير وادي الرافدين ذي اللغة السامية ، والذي نرجحه ان هذا المكان هو منطقة عيلام البطائية المجاورة الى منطقة الاهوار في جنوبي العراق والمشابهة لها في بيئتها الطبيعية ونحن نعلم ان اهل عيلام لم يكونوا من الساميين والارجح ان السومريين جاؤا بلغتهم من مكان آخر غير عيلام ، ثم استقروا في اهوار عيلام ومنها انتقلوا الى اهوار

العراق الواسعة المجاورة التي لا توجد لها حدود تفصل بينها بدليل ان اصل السومريين اقرب الى حياة الأهوار من حياة الريف فهم اهل الجاموس .

يؤيد ذلك الخبير الآثاري هندكوك اذ يرجح ان السومريين جاؤا من المنطقة الميلاية البطائية حيث كان السومريون والميلاميون يتكلمون بلغة غريبة غير سامية وكلاهما ورث عن اجداد الميلايين ثقافة واحدة مشتركة وكلاهما استعمل الكتابة المسمارية<sup>(٣)</sup> . اما ما يتعلق بالكتابة المسمارية فالتا لا نعلم من هو الذي استعمل الكتابة المسمارية قبل الآخر اهم السومريون ام الميلاميون ؟ ويؤيد ذلك فرانكفورت ايضا ويقول :

« ولا يزال سكان المستنقعات في ايران الشرقية حتى اليوم يعيشون على شواطئ البحيرة الكبيرة لنهر كارون . وهم مثل عرب مستنقعات جنوب العراق ، ينون مراكب واكواخا من قصب، ويصطادون السمك ويحتفظون بالجواميس والماشية ، ولا بد ان مثل هذه الاحوال كانت سائدة في كثير من أنحاء فارس في هذه الفترة . والمهاجرون من مثل هذه المناطق يكونون دوما على استعداد تام لمواجهة الحياة في منطقة كمطقة دلتا الفرات » . ويضيف الى ذلك قوله :

« ان الخزف الذي صنعه السكان القدماء في جنوب ما بين النهرين يبين انهم جاؤا به من فارس . وقد احتفظوا في البداية بالرسوم الهندسية الشديدة التشابك التي كانوا يستعملونها في بلادهم الاصلية » . ( « فجر الحضارة في الشرق الأدنى » ، ترجمة ميخائيل خوري ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢ ) .

يقول الاستاذ طه باقر « ان السومريين هم احد الاقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الالف الخامسة قبل الميلاد أو بعد ذلك الزمن » . ويضيف الى ذلك قوله انه يمكن تتبع اصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ما قبل التاريخ<sup>(٤)</sup> . هذا ما يقوله الاستاذ طه باقر وهو نفس الكلام الذي يبرده الباحثون الغربيون لارجاع عصر السومريين الى عصور ما قبل التاريخ اي الى عصر العبيد لكي يجعلوا السومريين اقدم المستوطنين في جنوب العراق ، هذا في حين ان كل الدلائل التي يدونها الاستاذ طه باقر نفسه تؤكد ان السومريين وكتاباتهم كلها ترجع الى عصور فجر السلاسل اي في ما بعد التاريخ وليس في ما قبل التاريخ . المهم ان هو القائل بان الرأي الذي ذهب اليه الباحثون من ان يجعل بداية حضارة وادي الرافدين في عصر العبيد بداية ما يسمى بالحضارة السومرية التي ازدهرت في مطلع الالف الثالثة قبل الميلاد رايًا ضعيفا ؟ ( « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ص ٢٣ ) فكيف التوفيق بين هذا وذاك ؟ ثم اين كان السومريون في الالف الخامسة قبل الميلاد ؟ هذا ما يحملنا على ان نسأل ايضا : من هي الاقوام التي استقرت في وادي الرافدين مسبقا غير الساميين ؟ فالمعلوم عندنا ان غزوات الشعوب غير السامية مثل الحيشيين والكويتيين والميتانيين وغيرهم كانت متأخرة اذ حدثت بعد تواجد الساميين في المنطقة ، اذن لماذا لا تعتبر الحضارة السومرية مقتبسة من الحضارة السامية التي سبقتها في الاستيطان في وادي الرافدين ؟ السم تكن حضارة العبيد التي ظهرت في الالف الخامسة قبل الميلاد في جنوب العراق محاطة من كل اطرافها بحضارة عبيدية سامية في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي ؟

الم تكن هذه حضارات سامية ترجع الى زمن حضارة العبيد العراقية ؟ والغريب ان الاستاذ طه باقر يردد ما ابتدعه الباحثون الغربيون من ان اهل حضارة العبيد ( مجهولون )<sup>(٥)</sup> . فهل هم مجهولون حقا ؟ ثم يقلد المستشرقين فيؤيد كون السومريين دخلوا العراق في سنة ٥٠٠٠ ق.م . لارجاع تواجد السومريين في جنوب العراق في عصور ما قبل التاريخ .

ويبدو ان الاستاذ طه باقر لم يستقر على رأي ثابت في ما يتعلق باصل السومريين، فكل ما دونه في كتاباته عن تاريخ العراق القديم يؤكد بسان السومريين ظهورا في عصور فجر السلالات ( اي في العصور التاريخية ) وهذا هو الواقع فعلا ، اذ اننا لا نملك اي دليل او اية اشارة الى ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ . ثم يعود الاستاذ باقر فيقول ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في الالف الخامسة قبل الميلاد ، اي في عصور ما قبل التاريخ ، بقصد ارجاع تاريخ السومريين الى عهود لم يكن لهم وجود فيها ، كما ذهب اليه بعض الباحثين الغربيين الحاقدين على الساميين وعلى العرب ، ولم يكتف الاستاذ باقر بالقول ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ خلافا لما ابداه في رأيه الاول ، بل يؤكد بانه « يمكن تتبع اصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ما قبل التاريخ » . فهل كانت هناك حضارة سومرية قبل ان يكون السومريون قد ظهرت الى عالم الوجود ؟ فباي الرأيين ياخذ الاستاذ طه باقر بهذا ام بذلك ؟ املنا بعد هذا ان يوضح لنا رايه الصريح في هذا الموضوع .

اما قول الاستاذ باقر في مسألة السومريين من تاريخنا القديم وانها مشكلة مستعصية لهم تستطع الدراسات اللغوية والآثارية حلها وانها العقدة الاساسية في تاريخنا القديم فيجب علينا ان لا نتوقع من الغرب ان يحل لنا هذه العقدة او المشكلة لان الغرب هو الذي ابتدع هذه العقدة وغذاها بجميع كتاباته عن تاريخنا القديم بقصد ابعاد دور الساميين في تأسيس وتطور حضارة وادي الرافدين وذلك بغية جمل المبادهة الحضارية في وادي الرافدين الى عنصر غريب عن الساميين من خارج المنطقة وهو العنصر السومري الغريب في لغته . لذلك لا يمكن ان يتم حل هذه العقدة الا على ايدي العرب انفسهم ، فاذا كان العذر في كتابة تاريخ وادي الرافدين من غير العرب مقبولا في ما مضى على اعتبار ان الامم العربية قد سبقتنا في ميادين العلم الحديث فلا يوجد لهذا العذر اي مبرر بمسد ان اصبحت الامة العربية زاخرة بعلمائها ومؤرخيها اذ اصبحت لدينا الان عدد غير قليل من الخبراء العرب المتخصصين في الآثار وفي التاريخ القديم بحيث يستطيعون حل هذه العقدة من غير تدخل الاجنبي . وعلى هذا ارى ان يتم حل هذه العقدة بعقد مؤتمر تدعى اليه كل الجهات المتخصصة في الآثار والتاريخ القديم من البلاد العربية ولا بأس في دعوة علماء اجانب ممن اثبتت دراساتهم التزامها بالامانة العلمية وعدم تحيزها الى جهة دون اخرى ، هذا على ان يطلب من كل جهة مدعوة الى المؤتمر اعداد بحث يتناول النقاط الرئيسة التالية ومن ثم يجري النقاش حولها وتتخذ قرارات محددة فيها للاخذ بها من قبل الباحثين ، وهذه النقاط هي :

اولا : تحديد زمن تواجد السومريين في جنوب العراق ولو على وجه التقريب مع الادلة .

ثانيا : تحديد زمن تواجد الساميين في سورية وفي فلسطين ولو بصورة تقريبية ايضا .



ثالثا : تحديد زمن هجرات العرب من الجزيرة العربية اثر الجفاف الذي حل بها بعد العصر الجليدي الرابع .

رابعا : تحديد صلة مخلفات حضارة العبيد والوركاء وجمدة نصر التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ بعصر السومريين ، فهل تعتبر مخلفات من العصر السومري اي سومرية ام سامية ؟ سيما بعد ان ثبت تواجد مخلفات هذه الحضارات نفسها في اقطار سامية مجاورة مثل سورية وجزيرة العرب والخليج العربي مما يدل على ان هذه المخلفات تعود الى العصر السامي وليس السومري كما صنفها المتحف العراقي وبخاصة بعد ان اثبت فحص الهياكل العظمية لاهل العبيد واريبدو بانهم من اجناس حوض البحر الابيض المتوسط الذين منهم الساميون العرب .

نحن نعتبر استنادا الى المصادر المتوفرة لدينا ان حضارات حسونة وسامراء وخفاجي وتل اسمر والعبيد والوركاء وجمدة نصر ومسيلم كلها ترجع الى الاصل السامي العربي وقد قامت في عصور ما قبل التاريخ في خلال المرحلة الثالثة من مراحل حضارة وادي الرافدين وهي تؤلف حضارة العراق الاساسية ازدهرت قبل دخول السومريين الى العراق بالقرن سنة على اقل تقدير اذ ثبت تواجد الساميين العرب في وادي الفرات في سورية وفي فلسطين ( الحضارة النطوفية ) منذ تسعة الاف سنة وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد على التوالي ، كما ثبت تواجد حضارة العبيد في جزيرة العرب وفي الخليج العربي منذ الالف الرابعة قبل الميلاد . وهذا ما يدل على ان حضارة العبيد حضارة سامية وان الهجرات من جزيرة العرب قد بدأت منذ تسعة الاف سنة قبل الميلاد وهذا ما يمثل اقدم استيطان على نهر الفرات في سورية .

#### ٤ - انثروبولوجية السومريين :

تدل آثار السومريين على انهم كانوا قصار القامة ممثلني الجسم ذوي جماجم مستديرة وحواجب بارزة ، وكانت رؤوسهم مكتلة الشكل على وجه التقريب ، جباههم منسحرة قليلا الى الوراء تكاد تكون مربعة وعيونهم مائلة الى الاسفل ، انوفهم بارزة مصفحة ليست كانوف الاجناس السامية ، شعر راسهم طويل مضفور بشكل ضفائر مرسلة على الكتفين من الامام على الجانبين ، اما لحاهم فطويلة مجزأة الى مربعات ككندر وروس ابناء تلك الامة قد اصبحت بعدئذ حليقة اللحى والشوارب على الغالب مقصوصة الشعور الى حد الاحفاء . هذه هي اهم الصفات التي تميز بها السومريون الذين لم يكونوا من الساميين ولم يكونوا من الامم المعروفة الجنس والفروع (٦) .

( انظر التصويرين ٥٣ و ٥٤ ) .

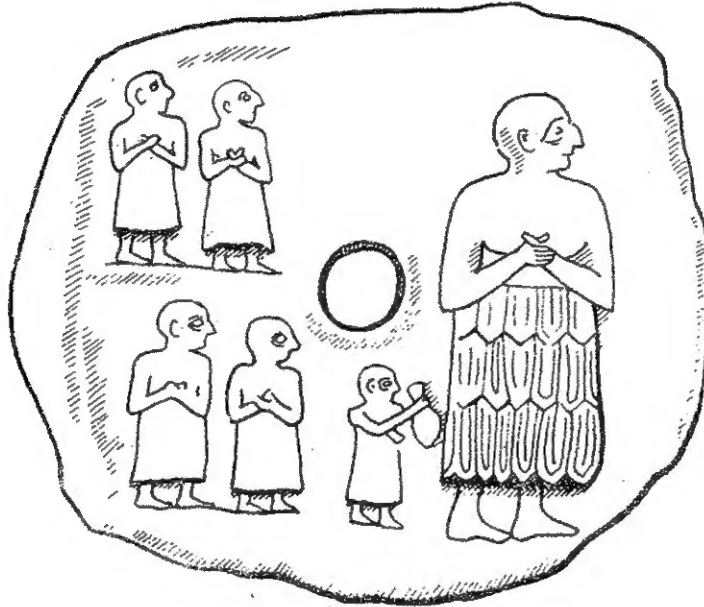
#### ٥ - لغة السومريين :

اما اللغة السومرية فلا تمت بصلة الى اية عائلة لغوية معروفة سواء قديمة او حديثة ، بل هي نوع من اللغات التي يسميها اللغويون ( اللغات اللاصاقية ) او ( اللغات اللاحاقية ) التي تتألف من مقطع او اكثر ، ويستعان بهذه المقاطع بوزائد مقطعية تلتصق بالمادة الاصلية على صورة لواحق . والسومريون كانوا يستعملون الفاظا واحدة المقاطع . فكلمة بيت عندهم هي ( اي ) والصفة التي معناها عظيم او كبير هي ( كل ) وكلما درجل هي ( لو ) ، فكانوا ينطقون مثلا ( لو-كل ) وواضح ان معناها الحرفي ( الرجل الكبير او العظيم ) . وكانت هذه التسمية تعني عندهم

التصوير رقم (٥٣) -  
انثروبولوجية  
السومريين



رأس سومري من لجش ( انظر الفقرة ٤ )



التصوير رقم (٥٤)

( كما رسم السومريون انفسهم وعليهم ثياب من الصوف )

(الملك) • والبيت الكبير الذي يفوق به المعبد كان يقال له (اي-كل) وهي الكلمة التي انتقلت منهم الى الساميين حتى اخذها العرب بلفظ (هيكل) •  
ومن هذه الفصيلة في اللغات الحديثبة الصينية وكثير من اللغات واللهجات القريبة منها في اواسط آسيا والشرق الاقصى • «واللغة السومرية كغيرها من اللغات تحتوي على بعض الكلمات المستعارة وقد بينت المخطفات الكتابية السومرية ان اللغة المذكورة تحوي كلمات مستعارة من اللغة الاكدية فقط» (٧) •

وقد دون الدكتور فوزي رشيد في كتابه «قواعد اللغة السومرية» الكلمات التي امكن اثبات أصلها • وهذا ما يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في الاستيطان في

جنوب العراق • فاقتبس السومريون كلمات سامية استعاروها من الاكديسة السامية • هذا مع العلم ان اللغة التي كانت مستعملة في كيش السامية كانت اللغة السامية الاكدية واللغة السومرية<sup>(٨)</sup> • (انظر ما يلي عن الخط المساري في الفصل السابع) •

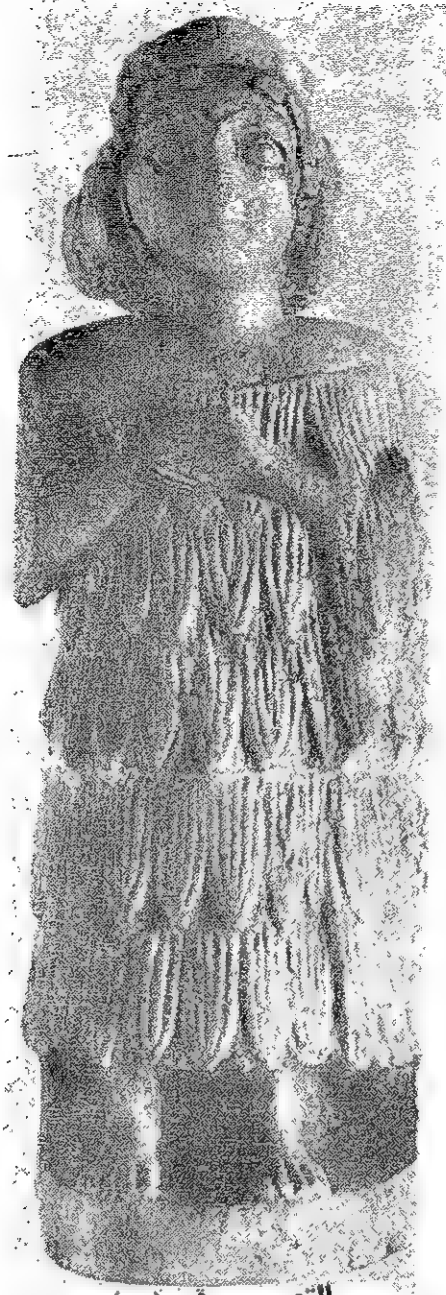
#### ٦ - العصر السومري :

يبدأ تاريخ السومريين ببداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور فجر السلالات ( انظر الفقرة ١٠ من الفصل الثالث ) • اما ما قبل ذلك فلا نملك اية معلومات او اي دليل او اشارة يمكن الاستدلال بها على ان السومريين تواجدوا في جنوب العراق في عصر ما قبل التاريخ • لذلك ان كل مانعرفه عن السومريين يرجع الى عصر فجر السلالات • فقد تميز عصر فجر السلالات هذا بالنسبة الى احداث السومريين بظهور السومريين في الميدان الحضاري ففي هذا العصر تعرفنا لأول مرة على اولى الكتابات السومرية باللغة السومرية وبالخط المساري وذلك بعد ظهور وسائل الكتابة والتدوين عن طريق دور سلاله لجش الاولى في تكوين حضارة سامية سومرية •

لذلك ان تاريخ العراق القديم لابد من تقسيمه الى قسمين : القسم الاول يعود الى عصور ما قبل التاريخ ( اي قبل ظهور السومريين على مسرح الاحداث ) والمتمثل بحضارات العبيد واريبدو والوركاء وجمدة نصر واخيرا حضارة عصر « مسيلم » السامية • والثاني يرجع الى العصور التاريخية المتمثلة بحضارة عصور فجر السلالات وهي مرتبطة بالحضارة السامية - السومرية المزدوجة التي ازدهرت في هذه العصور • والاصح ان يقال ان هناك مدنا ظهرت في اقصى الجنوب اسست في عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية) وهي سامية الاصل ، ثم ازدهرت هي نفسها في العصور التاريخية في وقت لاحق بعد ظهور السومريين حضارة مزدوجة ( حضارة سامية سومرية ) في تلك العصور ، بدليل ان اقدم مدينة ظهرت في جنوب العراق وهي اريدو كان يحكمها ملك من اصل سام وهو «الولم» قبل الطوفان •

ان أول معرفتنا بالسومريين وصلتنا مقرونة بلقب ملك سومر وأكد ، فقد ورد اسم السومريين أولا بالاكديسة باسم سومر واكد (Sumeri-Akkadi) يقابلها باللغة السومرية (Kin-en-ge) ظهر ذلك لأول مرة في كتابة تعود الى ملك الوركاء « اينساكوسانا » (Ensakusanna) حوالي سنة ٢٤٥٠ قبل الميلاد • فكان يطلق اسم (Kin-en-ge) على المنطقة المختصة بمدينة « نر » ولكن بعد هذا التاريخ بدأ يطلق على القسم الجنوبي منها «رجل من سومر» او سومري • وهذا يدل على ان أول ذكر للسومريين في النصوص السومرية يرجع الى حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد وقد جاءت مقرونة بأكد وسومر ، مما يؤكد بأن بلاد سومر وأكد كانت تؤلف وحدة جغرافية لاتتجزأ كما كانت وحدة دينية متماسكة ( انظر التصوير ٥٥ ) •

ويقسم العصر السومري الى حقتين منفصلتين الاولى تعرف بالعصر السومري القديم ، ٣٠٠٠ - ٢٣٧٠ ق م ) والثانية تعرف بالعصر السومري الحديث ( ٢٢٨٠ - ٢٠٠٣ ق م ) تفصل بينهما فترة الامبراطورية الاكديسة السامية ( ٢٣٧٠ - ٢١٥٩ ق م ) وفترة غزو الكوتيين ( ٢٢١٠ - ٢١١٦ ق م ) • وتقع الحقبة الاولى في عصر فجر السلالات الثالث ( ٢٦٠٠ - ٢٣٧٠ ق م ) وتكون هذه الحقبة حضارة



التصوير رقم (٥٥)  
تمثال لامراه سومريه من الرخام  
يمثل زي امرأة وجد في اور  
٢٠٥٠ ق م

دويلات المدن التي ازدهرت في هذا العصر مثل لجش وأور ونهر والوركاء وأدب وغيرها . وقد عاصرت هذه الدويلات كلا من سلالة اوروك الاولى وسلالة لجش الاولى وسلالة اور الاولى وسلالة كيش الاولى على التوالي ، مع العلم ان سلالة كيش تمثل أقدم الاشارات المدونة في النصوص المسمارية الى وجود قبائل الجزيرة العربية في جنوب وادي الرافدين .

اما الحقبة الثانية فقد ازدهرت في أعقاب انهيار الامبراطورية الاكسدية واخراج الكوتيين من البلاد واستمرت في الفترة الممتدة بين ٢٢٨٠ و ٣٠٠ قبل الميلاد . ومن الواضح ان هاتين الحقبتين عاشتا في كنف الحضارة السامية التي ازدهرت في شمال وفي جنوب وادي الرافدين أكثر من ثلاثة الاف عام من عصور ما قبل التاريخ .

وتبرز هنا ظاهرة طغيان الحضارة السامية التي لازمت تاريخ وادي الرافدين في كل مراحل حضارته مما يدل على انه كان للعنصر السامي جذور عميقة في المنطقة ، فصبح السامية لم يفارق المجتمع السومري منذ ان وطأ السومريون أقدامهم في ارض العراق ، فكانت سومر وأكد تؤلفان وحدة حضارية يسودها تعاون مشترك لتحقيق هدف واحد ، هو السعي وراء التقدم والتطور لوضع دعائم ( الحضارة السامية - السومرية ) ، ولكن شاءت الاقدار ان يفني السومريون ويخلص الساميون ليكونوا أعظم الامبراطوريات السامية مما عرفه العالم القديم . لذلك نكون اقرب الى الحقيقة الواقعة اذا سمينا العصر السومري القديم باسم ( العصر السامي - السومري ) القديم بدلا من العصر السومري القديم ، وكذلك بالنسبة للعصر السومري الحديث فنطلق عليه اسم ( العصر السامي - السومري الحديث ) .

٧ - أصل المدن السومرية :

ومن المهم ذكره في هذا الصدد انه ثبت بان المدن التي ازدهرت في الدور السومري القديم ، اي في عصر فجر السلالات الثالث مثل ( لجش والوركاء ونمر وأور وأدب وغيرها من المدن ) لم تمثل أقدم استيطان في المنطقة بل سبقتها في الاستيطان شعب ذو حضارة استقى السومريون مقومات حضارتهم منه ، بدليل ان هذه المدن التي سميت سومرية الاصل مثل لجش وأريدو والوركاء وأور ونمر وغيرها من المدن السومرية قامت فوق بقايا قرى من دور العبيد الذي يرجع الى عصور ما قبل التاريخ ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على ان شعبا ذا حضارة أقدم وأرقى من العصر السومري القديم سكن هذه المنطقة قبل السومريين ولا يمكن ان يكون هذا الشعب الاسكان أهل العبيد الذين تثبت كل الدلائل ساميتهم ( انظر ما تقدم عن عصر العبيد وأريدو في الفقرة ٧ ب من الفصل الثالث ) .

يؤكد ذلك الاستاذ طه باقر ويقول مبانصه : « وجدت الآثار المختلفة الممثلة لدور العبيد ( باطواره الاربعة التي يقسم اليها الان ) في جميع انحاء العراق على أن العبيد الشمالي في شمال العراق يختلف من بعض الوجوه عن العبيد الجنوبي . ويمكن القول انه في الاجزاء الوسطى والجنوبية من العراق قامت المدن التاريخية المشهورة فوق بقايا قرى من دور العبيد كما تشير الى ذلك التحريات الاثرية التي تمت في مثل هذه المدن ، تخص بالذكر منها أور وأريدو ولجش ونمر والوركاء وغيرها بالاضافة الى المواضع الاثرية الكثيرة في شمالي العراق (٦) . ولما كانت آثار حضارة العبيد التي وجدت في شمال وادي الرافدين في سورية والاثار المماثلة التي وجدت في جزيرة العرب وفي الخليج العربي تعتبر اثارا لحضارة سامية عربية ، فلا بد ان تكون طبقات دور العبيد العراقي التي وجدت تحت المدن التي اعتبرت سومرية الاصل مثل اور وأريدو ونمر وغيرها كانت طبقات سامية أيضا ، وهذا ما يدل ان شعبا ساميا كان قد سبق السومريين في سكنى جنوبي

العراق ، وان هذه المدن في هذه الحالة لا يصح ان نعتبرها سومرية الاصل ، بل هي سامية الاصل ،  
والاصح سامية عربية الاصل ، لان أقدم استيطان فيها هو الاستيطان السامي العربي الذي مصدره  
البشري جزيرة العرب •

يؤكد ذلك الدكتور مورتكات ويقول : « لقد اقتزعت سومر القناه الفكرية والحضارية  
في بلاد الشرق الادنى عند مطلع الالف الثالث قبل الميلاد وسيقتل حقا مصر في خلق أول حضارة  
مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية • ولكننا لانعرفنا اذا كان ذلك فترة النضوج الفكري لشعب  
المنطقة أو أنه كان بتأثير شعب قدم الى هنا » (١٠) ويواصل دكتور مورتكات حديثه  
عن السومريين ويتساءل هل كان السكان في العصور القدي (عصور اوروك وجمدة نصر ومسيلم  
من السومريين الذين ظهروا في عصر فجر السلالات هل هم أنفسهم طراً عليهم تغير داخلي شامل ، أم  
ان هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد ؟ وهذا نص سؤاله وتعليقه عليه ، قال : « ترى هل  
كان سكان البلاد في هذا العصر ( اي العصر السومري الحديث ) هم أنفسهم السكان السابقين  
الذين طراً عليهم تغير داخلي شامل ، أم أن هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد ؟ مما  
لاشك فيه بعد الآن ان السكان الذين شيدوا أقدم حضارة مزدهرة في بلاد ما بين النهرين خلال عصر  
اوروك الرابع ( يقصد طبقتي الوركاء ، الرابعة والخامسة ) وجمدة نصر ، لابد وان يكون قد  
رافقه تغلغل الساميين الذين جاءوا من بادية الشام وذلك على الاقل في خلال عصر مسيلم ان لم يكن  
قبله • تأكيداً لذلك فقد زودتنا حفريات ماري ( تل الحريري في اواسط الفرات ) بكتابات  
سامية لا يمكن ان تكون أحدث بكثير من عصر مسيلم ملك كيش وذلك اذا انطلقنا من دراسة  
نوع الخط وعلاماته الفارقة • واذا ثبت بشكل قاطع - كما تشير جميع الدلائل بان الثقل الحضاري  
في عصر مسيلم قد تحرك من الجنوب نحو الشمال فانه يجوز لنا ان نعيد سبب ذلك بقليل من  
الارجحية الى الساميين • بناء على ذلك يمكننا ان نعلل الانقلاب الاول الذي اعقب عصر جمدة  
نصر وهو عصر مسيلم كنتيجة لتطعيم الشعب السومري القوي بدم الشعب السامي • وختاماً  
لابد لنا من التوضيح ان السامية قد ظهرت الى الوجود في عصر مسيلم خلف لباس سومري دون  
ان تكون سامية خالصة » (١١) ( انظر ما تقدم عن عصري الوركاء وجمدة نصر في الفقرتين ٧ ج  
٧ و من الفصل الثالث ) •

وهذه التفاتة مهمة من دكتور مورتكات ، فانه ينبه فيها الباحثين الذين اعتبروا أهل حضارات  
العبيد والوركاء وجمدة نصر سومريين قبل ان نكون قد تعرفنا على السومريين في عصر فجر  
السلالات الى الخطأ الذي ارتكبهوا باعتبار حضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر سومرية •  
ثم يعترف بتنبهه هذا ضمناً بتأثير الساميين الذين جاءوا من بادية الشام ، أي الساميين الغربيين  
ويؤكد دكتور مورتكات أهمية الدور الذي لعبته مدينة كيش منذ أقدم العصور في نشر السامية في  
المنطقة ويقول : وبما ان سلالة كيش بحقبتهما الزمنية التي شملت ٢٤٠٠٠ سنة قد سبقت عصر  
فجر التاريخ الذي تركز سياسياً وفكرياً في أوروك فانه يجوز لنا ، بتحفظ قليل ، أن نرى في تلك  
السلالة تلميحاً لذلك التطور الطويل لبلاد الرافدين خلال العصر الحجري الحديث وبصورة خاصة

خلال العصر الحجري النحاسي ، أي عصر مجتمع القرية هذا المجتمع الذي لم يعد يجوز لنا ان نحصره في أقصى جنوب الرافدين فقط » (١٢)

اما تساؤل دكتور موروكات عن حقيقة هوية حضارة أوروك في ما قبل التاريخ وابداء شكوكه في اعتبار الباحثين حضارة عصور العبيد والوركاء وجمدة نصرا عصرا سومريا ، فجوابنا على سؤاله بلا تردد هو : ان حضارات عصور العبيد والوركاء وجمدة نصر هي من عصور ما قبل التاريخ وقد ازدهرت في ذلك الدور قبل ان تعرف على ما يسمى بالسومريين بثلاثة الاف سنة ، لذلك فلا صلة لها بالسومريين الذين تعرفنا عليهم في عصور فجر السلالات اطلاقا . وكل الدلائل والقرائن تثبت كون حضارة هذا الدور في ما قبل التاريخ حضارة سامية عرية كما كررنا ذلك عدة مرات . فالعصر السامي هو الذي كان سائدا في هذا الدور فائت وجوده في كل الشرق الادنى منذ آلاف السنين . اما حضارة السومريين التي تواجدت أول مرة في عصر فجر السلالات فهي جزء من حضارة وادي الرافدين استقرت في العراق ولايصح ان نطلق عليها غير حضارة ( سامية سومرية ) لاشتراك العنصرين السامي والسومري في صنعها . وحتى في هذا الدور نفسه كانت للساميين السيطرة السياسية في بعض الحالات . فهناك ما يدل على ان دولة سامية كانت تحكم في لجش السومرية في عصر فجر السلالات الثاني ( ٢٨٠٠-٢٦٠٠ ق م ) يقول الخبير الامريكي البرخت كوتزه : « ان هناك دولة كبيرة من الساميين مركزها في لجش وجدت أثناء عصر فجر السلالات الثاني على وجه التاكيد » (١٣) كما تدل النصوص على امتداد سلطة مسيلم ملك كيش السامية على مدينتي لجش وأدب السومريتين حيث كان حاكماهما تابعين لـ (١٤) .

#### ٨ - الكتابات السومرية من العصور القديمة والحديث :

لقد تعرفنا بعد ظهور الكتابة على أولى الكتابات السومرية باللغة السومرية التي تعود الى العصر السومري القديم ويرجع زمنها الى عصر فجر السلالات الثالث ( ٢٦٠٠-٢٣٧٠ ق م ) عثر عليها في مدينة لجش وقسم قليل منها وجد في مدينة نمر وأور وأدب . وكانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من النصوص الاقتصادية والكتابات الملكية . اما النصوص الادبية فلم يكن لها وجود . هذا مع العلم ان أهم هذه الكتابات جاءت من لجش ( سلالة لجش الاولى التي حكم فيها عشرة ملوك بين سنة ٢٥٢٠ و ٢٣٥٥ ق م ) في عصر فجر السلالات الثالث . ثم تلتها كتابات العصر السومري الحديث ( ٢٢٨٠-٢٠٠٣ ق م ) وكان ذلك في اعقاب حكم الاكديين الساميين ( ٢٣٧٠-٢١٥٩ ق م ) فحكمت أولا سلالة لجش الثانية ( ٢٢٨٠-٢١٠٩ ق م ) التي اشتهر فيها كوديا ( ٢١٤٤-٢١٢٤ ق م ) وبعدها حكمت سلالة أور الثالثة ( ٢١١١-٢٠٠٣ ق م ) التي اشتهر فيها أور نمو ( ٢١١١-٢٠٩٤ ق م ) ومن هذه الفترة جاءت اعداد هائلة من النصوص السومرية وبينها اعداد لا تحصى من النصوص الاقتصادية من مدينة لجش وأومة ( جوخا حاليا ) ودرهم ( دكان قديما ) وأور . كما ان كتابات كوديا حاكم سلالة لجش الثانية ( ٢١٤٤-٢١٢٤ ق م ) والذي حكم فترة قصيرة تسبق زمن أور الثالثة تعتبر أولى أنواع الانتاجات الادبية السامية السومرية . وكذلك زودتنا فترة سلالة أور الثالثة تأليف أدبية كثيرة ثم عثر في تل الصليبخ على بعض اللوحات المسمارية التي تضم انتاجات أدبية سومرية تعود الى العصر السومري القديم . ومما لاشك فيه ان الانتاج

الأدبي الذي ظهر في العصر السومري الحديث في النهضة السومرية الجديدة ناجم عن اقتباس السومريين الكثير من مقومات الحضارة السامية بعد ان احتك السومريون بالساميين في خلال حكم الأكديين الساميين الذي شمل كل البلاد ودام حوالي ٢٠٠ سنة .

يتضح مما تقدم ان الحكم السومري بعصره القديم والحديث لم يدم أكثر من ٥٠٠ سنة وهو يعيش في وسط سامي متفوق ثقافياً وحضارياً على الثقافة السومرية . ومما لاشك فيه ان السومريين اقتبسوا الكثير من حضارتهم . الوقتية من الساميين وبخاصة بعد ان استولى الأكديون الساميون على الحكم في كل البلاد (٢٣٧٠ - ٢١٥٩ ق . م) وباحتلال أور والقضاء على حكام أور انتهى امر الشعب السومري في المنطقة نتيجة تزايد عدد الساميين كما ان لغتهم السومرية لم تعد لغة تخاطب يومية ولكنها اقتصرت على الاستعمالات الدينية والفلكية حتى ميلاد المسيح<sup>(١)</sup> .

٩ - عصر فجر السلالات :

لقد تميز عصر فجر السلالات بالنسبة لأحداث السومريين في الامور التالية :

١ - ظهور السومريين لأول مرة في الميدان الحضاري وتعاونهم مع الساميين الذين سبقوهم في الاستيطان في جنوب العراق في صنع الحضارة السامية السومرية . ففي هذا العصر تعرفنا لأول مرة على أولى الكتابات السومرية وبالخط المسماري بعد انتهاء العصر الشبيه بالكتابي (Proto-Literate) (٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ ق . م) وبخاصة كتابات لجش في عهد سلالة لجش الأولى .

٢ - اكتشاف مقبرة أور الملكية \* (انظر الفقرة ١٢ التي تلي) \*

٣ - ظهور ملحمة جلجامش وقصة الطوفان (انظر الفصل الرابع) \*

وكان أهم ما يتميز به هذا العصر نظام الحكم في المدائن السومرية السامية ، فكانت تشكل كل من المدائن دولة مستقلة لها حدود لأراضيها تستقل بها وتدافع عنها \* ففي هذا النظام نشأت لأول مرة فكرة المواطن والمواطنة وفكرة الدولة في الادارة والحكم . وكان لكل من هذه الدويلات عاصمة استقت الدولة اسمها منها \* وكانت هذه الدويلات في اجتراب دائم ما بينها بغية الاستحواذ على الاراضي الزراعية ومصادر مياه الري والاستثمار بالسلطة ، وبينما كانت هذه الدويلات المتعددة مشغلة في النزاع مع بعضها كان الساميون الأكديون ينظمون صفوفهم ويتربصون الفرص للوثوب عليها واتزاع الحكم من ايديها وقد تم لهم ذلك في حدود سنة ٢٣٧٠ بزعامه سرجون الأكسدي \*

وفي نظرنا ان التنافس بين الدويلات السومرية والاكديّة من أجل السيطرة وابتداع أسباب القوة المادية التي تمكن الحكام من تحقيق طموحهم في الفتح والتوسع ، في السيطرة والسلطان ، ثم التسابق في انشاء المشاريع العمرانية على اختلاف أنواعها وأهمها مشاريع الري والزراعة من أجل جمع الثروة والظهور بمظهر العظمة والتفاخر بمثل هذه الانجازات ، والصراع الدامي بين الدويلات الذي دام أكثر من ألفي سنة ، كل ذلك ساعد على بعث التقدم والنشاط المبدعين الذين كانت حصيلتهما اثبات أقدم حضارة في تاريخ البشرية هي الحضارة السومرية الاكديّة بزعامه الساميين .



يتضح مما تقدم ان أكثر النزاعات بين المدائن كان يدور حول توزيع مياه الارواء والسقي وعلى الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة ، حيث كانت الزراعة أهم موارد الوادي ، فكلما اتسعت الاراضي الزراعية ضمن حدود الدولة كلما زادت ثروتها الاقتصادية وقوى كيانها السياسي . لذلك كانت كل دولة تسعى لتوسيع رقعة أراضيها الزراعية على حساب المدائن المجاورة ، فاتسعت المدن على مر الزمن وازدحمت بسكانها وأحيط بعضها بأسوار أقدمها سور الوركاء على زمن ملكها المشهور جلجامش ( انظر ما تقدم عن دور الوركاء في الفقرة ٧٠ هـ من الفصل الثالث ) كما أصبح لكل مدينة كيان سياسي مستقل يرأسها حاكم أو ملك تنحصر فيه غالبا السلطان الدينية والدنيوية ، وكان حاكم المدينة يعتبر زعيمها السياسي وكاهنها الاعظم في الوقت نفسه ، وبمرور الزمن انفصلت السلطتان وأصبح منصب الحاكم أو الملك وراثيا انحدرت سلطته من السماء . وكان حاكم المدينة يعاونه مجلس شوري من رجال المدينة يستمع الى آرائهم في المسائل المهمة وأوقات الازمات والحروب ، وبذلك يكون الساميون والسومريون هم أول من وضع أسس نظم ما نسميه اليوم بالبرلمان .

لذلك أصبحت المنازعات بين دويلات المدن من اهم خصائص وادي الرافدين في ذلك الوقت بعكس الحال في مصر حيث وحدة البلاد كانت من أهم خصائصها في العصور التاريخية القديمة ولان زراعتهم تعتمد على نظام الري الحوضي دون جهد كبير ( انظر الفقرة ٣ من الفصل الاول ) . وهكذا فان الصورة انحضارية في مصر كانت تشمل حياة زراعية صرفة بينما كانت في العراق خليطا بين أهل الريف والمدن .

والفارق بين المدينة والقرية يكمن في ان معظم سكان المدن هم من الحرفيين والتجار ورجال الاعمال والادارة والحكم ، ومعنى هذا ان ظاهرة المدن لا تنتمي الا في اعقاب الانقسام الاجتماعي القائم على اساس تقدم مستوى التكنولوجيا وتوفر فائض الانتاج ، وذلك لتوفير وسائل العيش لسكان المدن غير المشتغلين في الاعمال الزراعية على ذلك الفائض . فالمدينة اذن هي وليدة الحضارة والحضارة وليدة المدينة . وكان الوضع في العراق يدعو الى ضرورة قيام وحدة سياسية أكبر من دويلة المدينة تضم تحت سلطتها السهل الرسوبي كله وتبسط سلطانها على جميع بلاد سومر وأكد . ويلاحظ ان محاولة اقامة هذه الوحدة ما بين دويلات المدن كانت تأتي من الساميين وليس من السومريين . فكان أول من لقب بملك كيش السامية المدعو « مسيلم » احد ملوك سلالة كيش الثانية الذي حكم في نحو عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، وتطور مدلول ملك كيش في العصور التاريخية التالية الى معنى ملك العالم . وتبدل المدونات الاثرية على ان حاكمي لجش وادب كانا تابعين لحكم مسيلم السامي ويرجع البعض ان مسيلم حكم القطر كله . ثم اعقب محاولة مسيلم قيام الامبراطورية الاكدية التي حققت الوحدة المنشودة . هذا مع العلم ان سلالة كيش السامية كانت تتمتع بمركز قيادي سياسي في البلاد وان عدة ملوك قدامى قد اتخذوا لقب ملك كيش الذي كان يرمز الى مركز القيادة السياسية والحضارية في البلاد . وكان قد جرى العرف السياسي ان الحاكم الذي ينجح في مد سلطانه على المدن الأخرى كان يتخذ لقباً سياسياً هو ( ملك كيش )

ولقب الملك ثم تطور مدلول ( ملك كيش ) في العصور التاريخية التالية الى معنى ملك العالم . وقد سبقت الاشارة الى ذلك . ومما يدل على أهمية مركز كيش القيادي انها تولت القيادة السياسية في البلاد بعد الطوفان مباشرة .

والهم ذكره في هذا الصدد انه لم يكن في نظام المدينة أي اثر للنظام القبلي منذ أواخر عصر ما قبل التاريخ ، ولعل العامل في ذلك ان الوحدة السكنية في حضارة وادي الرافدين كانت أولا القرية الفلاحية ثم المدينة المعتمدة على الاقتصاد الزراعي وجهاز الري والتجارة ، فنشأت فيها بدلا من الاقطة القبلية والولاء القبلي اقطة سياسية واجتماعية فريدة من نوعها منذ أبعاد العصور التاريخية مثل مجلس المدينة ومشیخة المدينة ثم ملك المدينة (١٦) .

#### ١٩ - حضارة فجر السلاسل في وادي الرافدين - حضاره دينية :

كانت المعتقدات الدينية تلعب دورا رئيسا في جميع نواحي حياة سكان وادي الرافدين القدامى ، فكل حدث من خير أو شر أو كل مصيبة تحل بالبلاد كانت تعزى الى ارادة الالهة ، وكان لابد من ترضيتها بالنذور والضحايا والقراين ، لذلك كان المعبد ( مسكن الالهة ) مركز الحياة الثقافية في المدن ومحور الحركة والعمران ومظهر نشاط المجتمع في جميع صنوف الحياة . وكان لكل مدينة اله خاص بها تحتمي به ، له حق السيادة وهو ما لكها في الوقت نفسه . وعليه فقد كان السكان في الدولة ملك الاله الذي تنتمي اليه تلك الدولة . وكانت الهياكل تقوم بدور شديد الخطورة ، فكل مدينة عدة هياكل ، وتصنف هذه الهياكل على شكل درجات وفئات ، فتعود الاولوية الى هيكل الاله سيد المدينة وهو اكثر الهياكل غنى . وكان من أهم وظائف الحاكم ، علاوة على قيامه بواجبات الكهانة وحفظ النظام ، السهر على درء اخطار الفيضان والقيام بمشاريع الري وصيانتها وتحسينها ثم قيادة شعبه في حالة الحرب .

وكان يحيط بمجموعة المعابد المركزية في المدن الرئيسية سورعال تعلوه الزقورة «زيكورات» او الصرح المدرج الذي يراه الناس الساكنون خارج المدينة ، وهذا هو المرتفع الذي كان الساميون والسومريين يقيمون على قمته أقدس شعائرهم الدينية . وكانت هذه الزقورة بمثابة حلقة وصل بين السماء والارض وأعظم وأقدم هذه الابراج وأشهرها برج بابل .

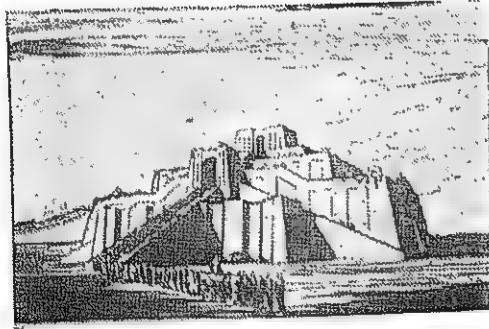
وقد ظهرت أولى المعابد العالية أي الزقورات التي اختصت بها حضارة وادي الرافدين كما تشير الى ذلك المعابد المقامة على مصاطب او دكات اصطناعية . ففي الوركاء كشف عن عدد من هذه المعابد في منطقة معبد « اي-انا » وهو المعبد المخصص للالهة « انا » ( عشتار ) ، كما شيدت معابد أخرى للاله « آنو » في الموضع الذي شيدت فيه زقورته ، ففي المنطقة الأولى وجد مالا يقل عن ستة معابد مشيدة على هيئة ازواج اي على هيئة معبدتين مجاورين . وقد فسر المنقبون هذا الترتيب بان المعبدتين المزدوجين خصص احدهما للالهة « انا » ( عشتار ) والاخر لزوجها الاله تموز . وتمتاز هذه المعابد بانها كانت مزينة بزيينة من الفسيفساء تتألف من مخاريط من الطين المشوي لونت رؤوسها بأصباغ من ألوان (أسود وأحمر وأبيض) وكانت تثبت بالجدران المطلطة بالطين . وقد شاع استعمال هذا الطراز من الخزاف الجدارية في العصر الشبهي بالكتابي . وتعتبر زقورة مدينة الوركاء في منطقة «اي-انا» من أقدم الزقورات . وفي العقير كشف عن معبد

من أولى المعابد العالية: أو الزقورات معاصر في زمنه الى معابد الوركاء وهو قائم على دكة او مصطبة ترتفع أربعة امتار وزينت جدران المعبد العالي بصور جدارية ملونة منها اشكال آدمية واشكال حيوانية تعد اقدم صور جدارية<sup>(١٧)</sup> . ( انظر التصوير رقم ١٥٥ ) .  
وفي كنف المعبد ظهر اعظم اختراع حضاري في منتصف الالف الرابعة أي ظهور الكتابة حين دعت الحاجة الى ايجاد وسيلة لتدوين واردات المعبد واملاكه . ويعتقد ان قوام



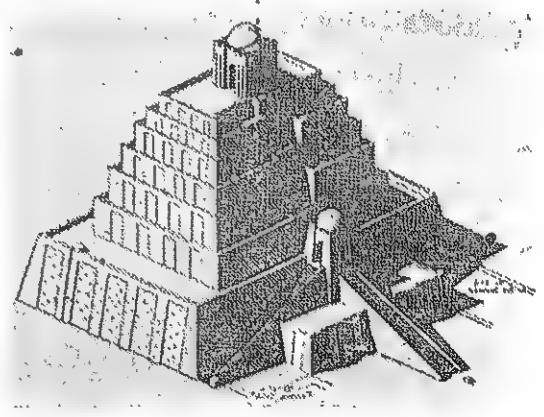
منظر عام تشاهد فيه بقايا الصرح المدرج ( الزقورة ) في أور

General View of the Ziggurat of Ur<sup>4</sup>



نموذج للزقورة التي انشأها الملك اوردنمو ملك اور في اور  
( ٢١١٣ - ٢٠٤٨ ق.م )

Reconstruction of the Ziggurat of Ur Nammu  
( 2113-2048 B.C. ) Woolley " Excavations at



نموذج للزقورة التي اعاد انشاؤها الملك نابونيدس ملك بابل في  
اور ( ٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م )

Reconstruction of the Ziggurat of Nabonidus  
( 556-539 B.C. ) Woolley, op. cit. Fig. 18, p. 218

التصوير رقم ١٥٥ أ نماذج من الزقورات ( انظر الفقرة ٩ أ )

المعابد ومديري شؤونها كانوا اقدم حكام في المجتمعات المعبدية ، فكان الكاهن الأعلى حاكم المجتمع المعبدي وظل يجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية حتى بدأ الانفصال في فترة ما من عصر فجر السلالات حين ظهر الى جانب الكاهن الحاكم الزمني المفوض من اله المدينة وهو وكيل هذا الاله في ادارة دولته الارضية وهو يسمى « انسي » (Ensi) وكان يقرأ « باتيسي » واعقبه ظهور الملك « لوغال » ( طه باقر ، مصدر سابق ، ص ٣٢٨-٣٣٧ ) .

وقد ورد في قصة الخليقة السومرية ان اول من خلق الكون هم الآلهة ، اما الانسان فلم يخلق الا عرضا وبعد زمن وقد خلق من الطين ليعبد الآلهة فالتقصير في ذلك يعرض الانسان الى بطشها فلذلك نرى أن الحصول على رضا الآلهة كان أقصى ما يتوق اليه العبد ويسعى اليه . والآلهة تمتاز عن البشر في أنها تتصف بصفة الخلود فهي بخلاف الانسان لا تموت ، وان مات بعضها فانما يكون ذلك لأمد محدود وان عودة الاله الميت الى الحياة أمر ممكن بعكس الانسان .

وكان أهل اللاهوت من السومريين والساميين قد افترضوا وجود مجموعة من الآلهة وهي كائنات حية شبيهة في هيئتها بالانسان ولكنها فوق الانسان وخالدة ، ومع خلودها فانها تحتاج الى الغذاء وإلى مقومات الحياة المادية الاخرى ، وهي تتعرض للمرض والاشراف على الموت كما أنها تخوض الحروب فتصاب وتقتل . وكان هؤلاء الآلهة يتزاوجون ويؤسسون الأسر ويحسون بالاحاسيس والعواطف البشرية ، ولما كان تصور الآلهة على هيئة البشر فكان بعضهم ذكورا والبعض الاخر أناثا . وكان يعتقد أن هذه الآلهة تسير الوجود وتسيطر عليه بموجب خطط مضبوطة ونواميس معينة مقرر ، وكل واحد منهم موكل بجزء خاص من هذا الكون ليسير شؤونه كالسما والارض والبحر والهواء والاجرام السماوية والشمس والقمر والكواكب وقوى الجو أي الرياح والزوابع والعواصف ، وفي دائرة الارض الظواهر الطبيعية كالانهار والجبال والسهول ومقومات الحضارة وال عمران كالمدين والدولة والسدود والجداول والحقول والمزارع والحبوب وحتى الآلات والادوات التي منها الفأس وقالب الآجر والمحراث . وهكذا كان الكتاب والشعراء يوجهون نشاطاتهم الفكرية الى تمجيد الآلهة وتعظيمهم والاشادة باعمالهم وماثرهم وقد كشف عن أسماء هذه الآلهة المتعددة من القصائد الشعرية والتراثيل الدينية المدونة على ألواح الطين .

ولوجود التفاوت في الاهمية والمنزلة بين أجزاء الكون وضع السومريون تقسيما للمجموعة الآلهية هو التمييز بين صنف الآلهة الخالقة الرئيسة وبين الآلهة الأخرى ، فاستتجوا من ذلك أن الآلهة الاربعة المسيطرة على السماء والارض والماء والهواء كانت هي الآلهة التي خلقت كل ظاهرة كونية وجدت ونشأت مع الآلهة الاربعة المذكورة ، وهؤلاء هم : اله السماء المسمى « آن » واله الهواء « انليل » واله الماء « أنكى » أو « أيا » كما يسميه الساميون ، والآلهة الام العظمى المسماة « نخرساج » ، وكان لهذه الآلهة الاربعة مكان الصدارة في مجالس الآلهة المقدسة .

١ - الاله « آن » اله السماء والاله « انليل » اله الهواء :

وكان الاله « آن » اله السماء الحاكم الاعلى في مجموعة الآلهة ، وكانت أوروك أو « أرك » وهي الصيغة التي وردت بها في التوراة ، موطن الاله « آن » ، لذلك كان لهذه المدينة دور

سياسي بارز في تاريخ بلاد سومر ، مع ذلك فقد اعتبر السومريون الاله « انليل » اله الهواء أهم اله في مجموعة الالهة السومرية وهو الذي كان يترأس تلك المجموعة ، وقد كني في المدونات السومرية بكنية « أبي الآلهة » ، كما لقب بلقب « ملك السماء والارض » وبلقب « ملك جميع البلدان » ، وهو الذي يمنح ملوكية البلاد ويعطي الصولجان الى الملوك ، وتعزى اليه خلق أهم العناصر المنتجة في الكون ، فهو الذي يخرج النباتات والاشجار من الارض ويحمل الخير والبركة الى البلاد ويصنع المحراث والفأس لفائدة الانسان . وكان معبد « انليل » يسمى « ايكور » أي « البيت الجبلي » . وتقول التراتيل السومرية في تمجيد الاله « انليل » انه لولاه لم تشيبد الزرائب والحظائر ، ولم تجلب الانهار مياهها الفيض والآرواء ، ولم تجد السماء بماء السحب السائرة ، ولم تكتمل النباتات أو الاعشاب ، ولم تزدهر الغلة الخصبة في الحقل ، ولم تثمر الاشجار السخ . . . . .

ب - الاله « أنكى » اله المياه :

اما الاله الثالث في مجموعة الآلهة الخالقة فهو الاله « أنكى » أو « أيا » اله مياه الغمر التي تسمى في السومرية « أبسو » وقد نعت باله الحكمة واليه عزى تنظيم الارض ومقومات حضارتها ، وعددت في احدى التراتيل أفعال الاله « أنكى » الخالقة في تنظيم الظواهر الطبيعية والثقافية اللازمة لل عمران والحضارة . ومن تنظيماته انه أوكل الى الاله « أنييلولو » رعاية شؤون نهري دجلة والفرات بعد أن ملأها بالماء النмир الرائق ، وإلى الاله « ابن كيش » رعاية شؤون البحر (الخليج) ، وإلى الاله « أشكر » رعاية شؤون الرياح . ثم نظم بعد ذلك أمر المحراث والنير والحقول والمزروعات ، فجعل الغلة تنمو في الحقول طيلة أيام السنة وتكدس في الاهراء . وقد أوكل الى الاله « انكميدو » رعاية شؤون الري والقنوات والجداول ، وإلى الالهة « أشنان » رعاية شؤون الحبوب والغلة وإلى الاله « لهار » رعاية شؤون الماشية وقد وصف بكونه الراعي الذي افاض في خيرات الحظائر . والتفت الاله « أنكى » بعدئذ الى الفأس وقالب الاجر فعين لتنظيم شؤونهما اله الاجر المسمى « كبتا » ، ثم أوكل أمر انشاء المساكن الى الاله « مش دما » المنعوت بالبناء العظيم لانليل ، كما جعل السهول مغطاة بالنبات والاعشاب وعين على شؤونها اله اسمه « سومجان » الموصوف بملك الجبل . وأخيرا شيد أنكى الحظائر والزرائب وملأها بالبن والزبد وعين عليها الاله الراعي المسمى « ابو » أو « دوموزي » وسماه الساميون ( تموز ) .

وقد كان طبيعيا أن يجعل سكان وادي الرافدين القدامى الانهار والمجاري المائية من أبرز المعبودات من قوى الطبيعة ، لذلك فقد لعب دجلة والفرات دورا هاما في هذا المضمار ، فهما يسقيان الارض ويرسبان الغرين ويهيئان وسائل المواصلات المائية لنقل الالهة والناس وبضاعتهم . والاله النهر ذكر اسمه بالاكديّة « نهرو » وهي كلمة مذكّرة أو مؤنثة ، وكان النهر يعتبر مسكنا لاله

الماء « أنكى » وقد حفرته الالهة لاستقباله . وهناك كذلك الالهة « نانشه » (Nanshe) وهي معبودة ترعى الماء الجاري الزاخر بالاسماك ومسكنها القنوات وقد بنى لها « أور - نوشه » (Ur-naushe) حاكم مدينة « لكاش » في أواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد معبدا وحفر قناة توصل الى مدينته اطلق عليها اسم « نانشه » . وقد أقيم لهذه الالهة عدد من الهياكل ، وكانت

لها صلة بمياه الغمر « ايسو » وبمدينة « أريدو » • ومن صفات « نانشه » هذه أنها ترمز للحكمة والعلم وهي ترعى كذلك صناعة الاجر بخاصة الذي بني منه معبد « لكاش » • وكانت تعتبر أحيانا اختا للاله « نجرسو » اله لكاش كما كانت تنسب اليها أحيانا الالهة « نسابا » (Nisaba) بصفتها اختا لها •

ج - الالهة ننخرساج الالهة الأم :

واما رابع الالهة أي الالهة « ننخرساج » أو « نماغ » بمعنى السيدة المعظمة فهي الالهة الام وعرفت أيضا باسم « نتو » أي السيدة الوالدة وكانت تعد زوجة الاله « آنهوان هذين الالهين كانا والدي جميع الالهة •

د - تقديم النذور والقرايين الى الالهة :

وهكذا كان هدف العبادة ارضاء الالهة بتقديم النذور والقرايين المختلفة اليها وتقديم الماكل والاشربة التي تقرها الطقوس الدينية في ساعات محدودة وأكثر من مرة في اليوم على طاولة مقدسة امام الصنم الالهي وسط الازاهير ودخان البخور المنقى وسيول من الروائح العطرة ، وتنص ألواح « كوديا » على الماكولات التي تتراح لها الالهة وتفضلها على غيرها منها لحوم الثيران والمعز والضأن واليمام والدجاج والبط والسماك ، ومن الماكولات والمشروبات التمر والتين والعسل والخمر والحليب والخيار والزبد والزيت والكعك • ويعلق ديورانت على ذلك فيقول : « ولنا أن نستدل من هذا الثبت على ان الموسرين من أهل البلاد كانوا يتمتعون بالكثير من أصناف الطعام ويلوح أن الالهة كانوا في بادئ الامر يفضلون لحم الآدميين فلما ارتقت أخلاق الناس لم يجدوا بدامن الاقتناع بلحم الحيوان » •

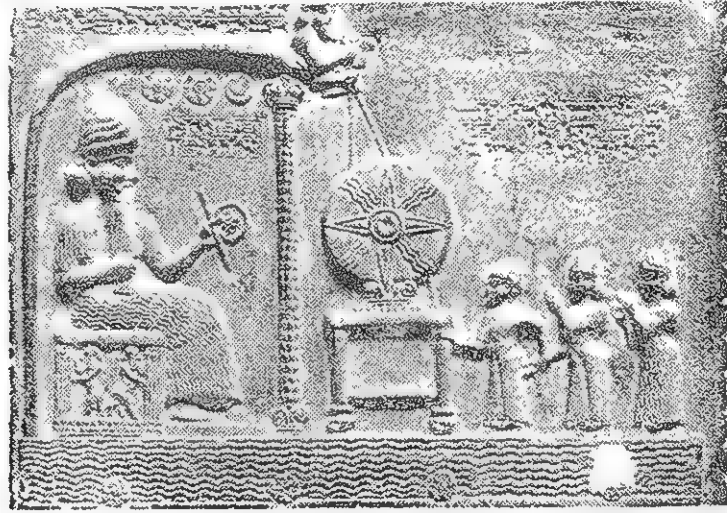
وفي التصوير رقم ٥٥ ب نقش منحوت على الحجر عثر عليه في أطلال مدينة لجش عند خرائب



التصوير رقم ٥٥ ب مراسيم طقوس العبادة وتقديم القرايين (انظر الفقرة ١٩)

معبد الالهة القمر يشاهد في القسم الاعلى منه رجل عار تماما عملا بما تقتضيه طقوس العبادة وهو يصب السكبية المقدسة في اناء امام صورة الاله الجالس . ويشاهد خلف الرجل ثلاثة أشخاص يرتدون لباس التعبد ولعلمهم من الكهنة، كما يشاهد الرجل العريان نفسه في القسم الاسفل من النقش وهو يصب السكبية المقدسة أيضا أمام محراب المعبد وقد مشى خلفه ثلاثة أشخاص الاثنان الاخيران يحملان سحلة لتقديمها قربانا للالهة .

وفي التصوير رقم ٥٥ ج منظر لعبادة الاله الشمس « شمش » في معبد سيار يشاهد فيه الاله الشمس وهو جالس على عرشه داخل فسطاط ماسكا يده قرصا وقضيبا وفوق راسه شعارات ثلاثة للقمر والشمس وكوكب الزهرة . وعلى مصطبة امام الفسطاط استقر شعار القرص الشمسي وقد ثبت في مستقره بجبال مدلاة من يدي الهين قد تمسكا بركن سقف الفسطاط . ويقوم الفسطاط على سطح مياه البحر السماوي وقد ظهرت في داخله أربعة شعارات للقمر . ويشاهد امام شعار القرص الشمسي كبير كهنة الاله شمش وهو يقود متعبدين خلفه الى جهة الاله لاداء مراسيم العبادة .



التصوير رقم ٥٥ ج عبادة الاله شمش ( الشمس ) ( انظر الفقرة ١٩ )

##### ٥ - معتقدات اهل العراق القدامى عن الخليقة واصل الاشياء :

ومعتقدات السومريين عن الخليقة واصل الاشياء او التكوين هي ان في البدء لم يكن في الكون سوى العماء المكون من « البحر الاول » او « المياه الاولى » ، وكانت هذه المياه اصل الحياة متمثلة بهيئة اله المياه العذبة « ايسو » او ميساه الانهار والالهة تيامة التي تمثل الماء المالح اي مياه البحر ومثلها كلمة تهامة العربية ، وقد ولد هذان الالهان آلهة اخرى . وحدث بعد دهور ان نشبت حرب بين الآلهة القديمة والآلهة الحديثة قتل فيها الاله « ايسو » ثم دارت حرب أخرى بين تيامة زوج ايسو والآلهة الحديثة قضى فيها على « تيامة » ومن بقايا جسمها خلق العالم المشغل بالسماء والارض وقد اطلق على ذلك مصطلح « آن - كي » وهي كلمة مركبة تعني السماء

والارض . ولما كان الاله « آن » اله السماء ذكرا والالهة « كي » اي الارض كانت اثني فمّن اتحاد هذين الالهين ولد الاله « انليل » اله الهواء ، ثم فصل الاله « انليل » هذا السماء عن الارض واخذ امه الارض وهياً لخلق الانسلن والحيوان والنبات وتأسيس المدنية ، اما عن أصل الاجرام فقد اعتبروا الاله القمر المعروف بالاسمين « سين » و « نار » ابن الاله « انليل » ، كما اعتبروا الاله الشمس المسمى « اوتو » ابن « سين الاله القمر » . وعن ولادة الاله القمر اسطورة تروي ان الاله « انليل » وقع في غرام الالهة العذراء « نليل » ، فدعا وزيره المسمى « نسكر » واطلعه على شوقه وهيامه بـ « نليل » فهيناً نسكر قارباً اغتصب انليل الالهة نليل في أثناء سير القارب في النهر فحملت بالاله القمرسين وعندها فزع الآلهة وغضبوا تلك الفعلة المنافية للاخلاق فنفوا الاله « انليل » الى العالم الاسفل على الرغم من انه كان ملك الآلهة . فانصاع الاله « انليل » الى المصير الذي اراده الآلهة ولكن نليل وهي حبل لسم تشأ ان تظل وحدها من بعد ارتحال « انليل » فتبعته وهو في طريقه الى منفاه القسري في العالم الاسفل . وتمضي الاسطورة فتروي ان الالهة « نليل » حملت من « انليل » ثلاثة من آلهة العالم الاسفل وصارت هذه الآلهة بدلا من اخيها الكبير ( اخ الالهة الثلاث ) الاله « سين » الذي اصبح نتيجة لذلك حزا وصعد الى السماء .

و - اله العالم الاسفل :

ومن المكتشفات الآثرية المهمة التي توصل اليها علماء الآثار في حفرياتهم في اطلال مدينة اور السومرية الاناييب الفخارية تحت انقاض ابنيسه المدينة ، وهي مكونة من سلسلة قطع من الاناييب الخزف طول وقطر كل منها ثلاث وخمس اقدام على التوالي مركب بعضها على بعض ، وقد صممت كل قطعة بنتوء في أحد طرفيها كي تدخل في القطعة الثانية من الجانب الخالي من تنوء ، وهذه الطريقة مستعملة في يومنا هذا في مد الاناييب الخزف او الكونكريت . والغريب في هذه الاناييب انها وجدت مدفونة تحت الارض ، وممتدة بصورة عمودية الى عمق زهاء اربعين قدماً وفيها ثقب جانبي لصرف المياه داخل الارض مما يجعل اعتبارها مجاري للمياه القدرة بعيد الاحتمال . لذلك يعتقد انها دفنت تحت الارض بهذا العمق دون منفذ بغية ائصال النذور والقرايين الى الآلهة الذين في العالم الاسفل ، وقد ورد ذكرهم مقروناً بـ « نهر العالم الاسفل » كما وردت اسماء ملاحين في العالم الاسفل مما يؤكد اعتقاد السومريين بوجود نهر في العالم الاسفل من خلق الآلهة تتولاه الالهة « ايرشكيكال » (Ereshkigal) الهة الظلام والدجى والموت . ويستدل الباحثون على ذلك بما عثروا عليه في داخل الاناييب المتقدمة من شقف الاواني التي رميت من فتحة الانبوب تحت ارضية البناء وهي من نوع الاواني التي كان السومريون يقدمون فيها نذورهم الى الآلهة فوق الارض ( انظر التصوير رقم ٥٥٥ ) . وكان السومريون والبابليون يعتقدون ان تحت الارض كهفا هو ماوى الموتى كما كانوا يعتقدون بوجود جزيرة في مكان ما يسكنها بعض الآلهة ويذهب اليها الذين يمنحون الحياة الخالدة من البشر ليعيشوا فيها انصاف آلهة الى الابد .

١٠ - دور سلالة كيش الاولى وسلالة لاجش الاولى في تكوين حضارة العصر السامي السومري القديم :

لقد سبق ان ذكرنا في الفقرة ٦ من هذا الفصل اننا تعرفنا لأول مرة على العصر السومري





التصوير رقم ٥٥٥... الاناييب الخزف في جوف الارض لا يصال النذور والقرايين الى آلهه العالم الاسفل

( انظر الفقرة ٩ و )

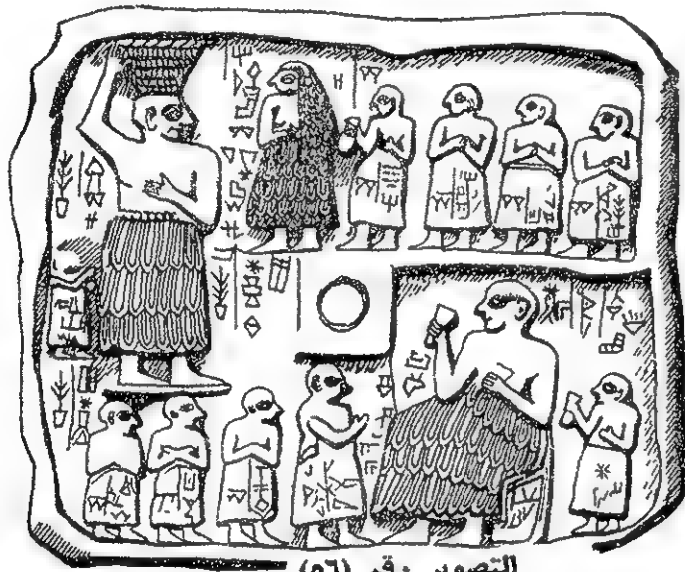
في عصر فجر السلالات حيث كانت حضارة سومر مزدوجة ( حضارة سامية سومرية ) ، لذلك رجحنا تسمية العصر السومري القديم بالعصر السامي السومري القديم ، وكذلك بالنسبة للعصر السومري الحديث نطلق عليه اسم العصر السامي السومري الحديث . اما معلوماتنا عن العصر السامي السومري القديم فقد جاءتنا اولا عن طريق سلالة كيش الاولى التي حكمت في حدود ٢٨٠٠ ق م ثم عن طريق سلالة لجش الاولى التي أسسها الملك « اور نانشه » أو « اور نانا » في نحو سنة ٢٥٢٠ قبل الميلاد حكم ٣٠ سنة واتخذ مدينة لجش عاصمة له وهي « تللو » او « الهبة » حاليا . فكانت هذه السلالة قوية حكمت ١٦٥ سنة ( ٢٥٢٠ - ٢٣٥٥ ق م ) وبلغ عدد ملوكها عشرة ملوك تركوا وراءهم اخبارا كثيرة عن مآثرهم العمرانية والحربية ونصوصا تاريخية مهمة عن تلك الحقبة من الزمن ( العصر السامي السومري القديم ) التي ازدهرت في حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد .

وكانت هذه السلالة تحكم منطقة سومر في جنوب العراق وكانت تشاركها في الحكم دويلات اخرى كسلالة اوروك الثانية وسلالة اور الثانية وسلالة ادب من بلاد سومر يقابلها من الساميين في شمالي سومر مباشرة سلالة كيش الاولى عدد ملوكها ٢٣ ملكا حكموا جميعا ٢٤٥١٠ سنوات حسب تقدير اثبات الملوكة السومرية ( حول مشكلة اعمار الملوك انظر ما تقدم في الفقرة ٥ من الفصل الرابع ) وقد ورد في نص تاريخي اسم آخر ملوك سلالة كيش « اكا » حارب جلجامش خامس ملوك سلالة اوروك الاولى ( حول جلجامش وملحمته انظر ما تقدم في الفقرة ٨ من الفصل الرابع ) .

وقد حكمت سلالة كيش الاولى في بداية الالف الثالثة قبل الميلاد وهي أول سلالة حكمت بعد الطوفان مباشرة . وهذا ما يفسر لنا الحقيقة التاريخية في ان عدة ملوك قدامى قد اتخذوا لقب

ملك كيش اشارة الى اتساع سلطانهم السياسي في البلاد وتطور مدلول هذا اللقب في العصور المتأخرة . اما الاسماء السامية في ملوك « ملالة كيش الاولى فاسماء ما لا يقل عن ١٢ ملكا من ملوك هذه السلالة البالغ عددهم ٢٢ او ٢٣ ملكا وهذا ان دل على شيء انما يدل على تفوق الساميين في البلاد من حيث السلطة السياسية والاحوال الاجتماعية والثقافية .

ومن المهم ان نذكر هنا بان في حوالي عهد « اورنشأ » نزل الساميون الغرييون من ماري على وادي الفرات الاوسط الى الفرات الاسفل وبسطوا نفوذهم على سومر واكد ، مما يدل على ان الساميين كان لهم تأثير عميق على سومر واكد في بداية ظهور السومريين على مسرح الاحداث (١٨) . ( انظر التصوير رقم ٥٦ ) .



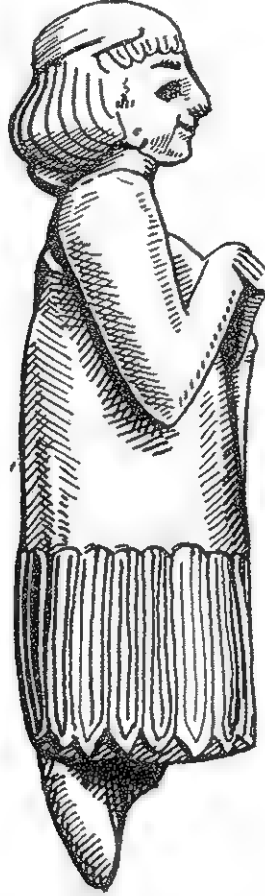
التصوير رقم (٥٦)

صورة منحوتة على الحجر في حوالي ٢٩٠٠ ق م تمثل حاكم لكش ( وهو الجالس ) واسمه اور نينا أو اور - نانسه .

وقد اقترنت سلالة لجش الاولى منذ تأسيسها بصراع لازمها طول كيانها الحضاري ، وهذا الصراع كان بين لجش واومه السومريين أصل سببه يدور حول النزاع على مياه الري والاستحواذ على الاراضي الزراعية الخصبة . وخلاصة هذه القصة ان المنطقة التي تعرف اليوم بالشرطة في جنوبي شط الغراف كانت مزارع مستمر بين امارتي لجش واوما السومريتين للسيطرة على مياه الري ، وكان مركز الاولى في منطقة لجش أو ( كيرسو ) تقع على الجانب الايسر من شط الغراف الحالي على مسافة حوالي عشرين كيلومترا من شمال غربي الشرطة ومركز الامارة الثانية في منطقة اوومه المعروفة اطلالها اليوم باسم « تل جوخة » تقع على الجانب الايمن من شط الغراف الحالي شمال شرقي بلدة الرفاعي . اما شط الغراف الحالي فلم يكن موجودا آنذاك

( انظر المرسوم رقم ٢ في الفصل الرابع ) .

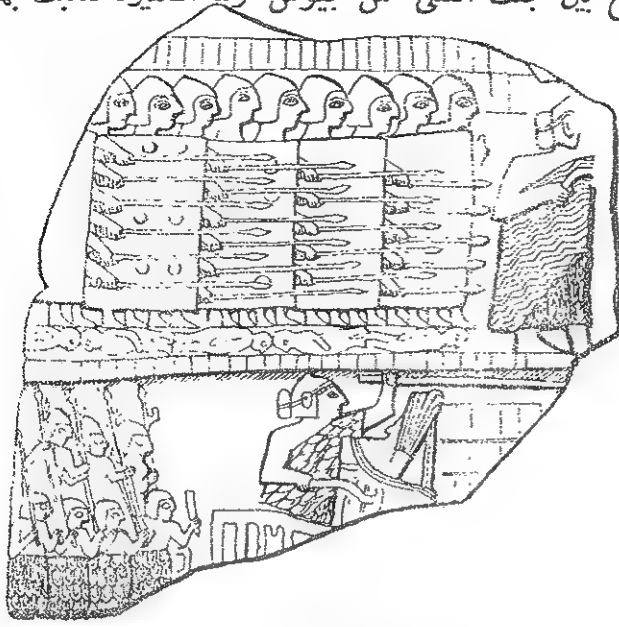
وكانت أراضي الامارتين ترويان من جدول مشترك يأخذ من مجرى نهر الفرات القديم من شمال شرقي مدينة كيش يدعى « اي - تورونكال » فيمر أولا بأراضي امارة أوما الواقعة في الشمال الشرقي من لجش ثم ينتهي الى أراضي امارة لجش حيث تقع على حدودها مقاطعة ( كوديناك ) الخصبة مما جعل امارة أوما تتحكم بالمياه بحيث تستطيع ان تسيطر على مياه الجدول وتستأثر بها لصالحها أو قد تعتمد تحويل المياه عن الجدول بقصد حرمان منطقة لجش من المياه والحق الضرر بزروعها ، وفي الوقت نفسه كانت أومه تطمع بالاستيلاء على مقاطعة ( كوديناك ) وضمها الى أراضيها ( انظر التصوير رقم ١٥٦ ) . فثشب نتيجة هذا الوضع المتأزم نزاع بين الامارتين ،



التصوير رقم (١٥٦) - حاكم سومري من عهد ما قبل سرجون ( انظر الفقرة ١٠ ) .

لجش وأوما ، دام مدة حتى تطور الى توتر في العلائق السياسية والى حروب طاحنة مستمرة بين الامارتين كل منهما يسعى للسيطرة على مصدر المياه من جهة وعلى مقاطعة (كوديناك) ذات الارض الخصبة من الجهة الاخرى . وفي غمرة هذا الوضع المتأزم تولى الحكم في لجش احد الملوك الاشداء المدعو « اياناتم » ( نحو ٢٤٧٠ ق.م ) فنشبت معركة حامية بين جيشي البلدين كان النصر فيها حليف الملك ( اياناتم ) على خصمه ( ايناكالا ) فقتله وأكره أوما على دفع الجزية وأقيم على الحدود نصب سمي بنصب النسر نقشت عليه مشاهد المعركة التي تصور « اياناتم » وهو يقود جيش لجش المنظم الى المعركة وقد دونت الكتابة المنقوشة على النصب المذكور اقتصار لجش على

أهل أوما ومعاهدة الصلح التي فرضت عليهم ، وقد سمي هذا النصب ( نصب النسر ) على اعتبار ان النسر كانت تسرح بين جثث القتلى من جيوش أوما الكثيرة فتعشب بها وتاكل لحومها ( انظر التصوير رقم ٥٧ ) •



التصوير رقم (٥٧)

مسلة النور : مشاهد معركة حربية تصور الملك اياناتم ملك لكاش ( ٢٥٥٠ ق.م. ) وهو يقود جيش « لكاش » الى المعركة ، وتدون الكتابة المنقوشة انتصاره على أهل « أوما » ومعاهدة الصلح التي فرضت عليهم .

*The Stele of the Vultures : representing the army of Eannatum ensi of "Lagash" ( Telloh ) ( 2550 B.C. ) in commemoration of his Victory over the ensi of "Umma" ending in a peace treaty imposed Umma".*

وهنا نقف وقفة تأمل واستيضاح ونسأل : « هل كان هذا النصب من صنع سومري بحت ؟ فصنع مثل هذا النصب يمثل هذا المستوى الفني يحتاج الى خبرة مئات بل آلاف السنين من استمرار حضارة راقية حتى يمكن التوصل الى مثل هذا المستوى الفني . فمن كان وراء هذا الانجاز العظيم غير الساميين الذين سبقوا السومريين في استيطان جنوبي العراق باكثر من ألفي سنة على أقل تقدير ؟ وهل يعقل بان السومريين انجزوا مثل هذا العمل الفني لوحدهم بعد ان نزحوا الى جنوب العراق مباشرة دون ان يكون قد سبقهم في الاستيطان شعب ذو حضارة استقوا منه خبرتهم الفنية . والمعلوم لدى دارسي تاريخ الحضارات بانه كلما نجد حضارة قامت لوحدها دون أن تكون قد استعانت بمن سبقها مبسن الحضارات بطريق التقليد والاقتباس .

ولنواصل الآن بحثنا عن أعمال اياناتم : لقد توسع اياناتم في فتوحه للمدائن المجاورة فنجح في الاستيلاء على أور وأوروك وكيش وسيطر على المنطقة التي تمتد الى نهر دجلة شمالا . ثم مات اياناتم دون ان يترك نسلا فخلفه أخوه « اين اناتم » ( الأخ ) فجددت أوما في عهد ملكها « اورلوما » الصراع وقامت بهجوم عنيف على لجش حتى احتلت لجش نفسها ، فرفع « اورلوما » رسم الحدود الذي كان قد أقامه مسيليم ملك كيش وفسخ المعاهدة التي سبق ابرامها في عهد اياناتم والظاهر ان اين اناتم قتل في المعركة ، فتولى السلطة بعده ابنه « أتمينا » الذي تغلب على الأعداء وطردهم الى خارج حدود منطقة لجش وأعاد للجش مجدها وسلطانها وحكم نحو ٣٠ سنة ( ٢٤٣٠-٢٤٠٠ ق.م ) فتمكن ان يعيد سيطرته على جميع المنطقة التي

تمتد الى نهر دجلة شمالا ، فعقد العزم على وضع نهاية لتحديات حكام اوما وذلك بشق جدول يأخذ من نهر دجلة بدلا من اعتماده على الجدول الذي يأخذ من نهر الفرات والذي تسيطر على مياهه اماره اوما في الصدور ، فانشأ جدولا فنياكسا اسمه بالآجر والقار وأقام على جوانبه سدودا واقية حتى أوصل المياه الى أراضي منطقة لجش التي تقع على بعد حوالي ١٣٠ كيلومترا من نهر دجلة ، الا أن الجدول أخذ على مر الزمن بالتوسع عمقا وعرضا بتأثير انحداره الشديد صوب أراضي لجش المنخفضة حتى أصبح هذا الجدول فرعاً لدجلة الرئيسي ( شط الغراف الحالي ) ، ومنذ ذلك الوقت أخذت كل المنطقة المجاورة الى لجش تعتمد في ارواء أراضيها على مياه نهر دجلة . وتدلنا الحوادث التي سجلتها المدونات السومرية على ان كثرة المياه التي أخذت تنحدر صوب منطقة لجش أدت الى انتشار المستنقعات وارتفاع مستوى المياه الجوفية فتراكت الاملاح في الاراضي وفقدت بعد مرور ثلاثمائة عام خصوبتها وانحط انتاجها<sup>(١٩)</sup> . لذلك فالعراق مدين لهذا الملك الذي فتح شط الغراف قبل أربعة آلاف وخمسمائة سنة ومن عهد « اتمينا » عثر على مكتبة هيكل « نين كيرزو » اله الري وزوجته « نينا » ملكة المياه المؤلفة من ٣٥٠٠٠ لوح من الطين المطبوع وكانت هذه اللوح تحتوي على كثير من النصوص الاقتصادية والتدوينات الملكية ولكن لم يكن بينها نصوص أدبية . وفي عهد اتمينا اشتهر الكاتب السومري المشهور « دودو » الذي دون كثيرا من الاساطير السومرية . ولهذا الكاتب تمثال بديع في المتحف العراقي ( انظر التصوير رقم ٥٨ ) . وبعد اتمينا تولى الحكم في لجش ملوك ضعفاء فظهرت سلالات أخرى شاركت مدينة لجش سلطانها كسلالة كيش الثالثة وسلالة مدينة أكشاك وسلالة كيش الرابعة حتى تسلم الحكم في لجش « اوروكاجينا » المصلح السومري الشهير وحكم في نحو عام ٢٣٥٥ ولكن لم يحالفه الحظ بالبقاء بسبب ظهور لوكال زاكيزي ملك اوما الذي فتح مدينة لجش نفسها وقضى على اوروكاجينا آخر ملوك سلالة لجش ، ولكن الموجات السامية حينذاك قد ملأت البلاد حيث قدمت من الجزيرة العربية على طريق سورية والفرات حتى تمكن سرجون الأكدي من القضاء على لوكال زاكيزي وانهى بذلك عهد دويلات المدن السامية والسومرية وبها انتهى عهد فجر السلالات .

وتدلنا المدونات السومرية والتسجيلات السومرية من عهد ملوك لجش على قيامهم بالعديد من مشاريع الري والسدود والخزانات على ضفتي نهر الفرات القديم ، ومن هذه المشاريع التي ترجع الى ما قبل سرجون القناة المسماة « خومادشا » التي انشأها اياناتم والتي ألحق بها خزاناً واسعاً يستوعب ٣٦٠٠ « لور - مين - لو » حوالي ٤٨٠٠ جالون من الماء ، وكان يأخذ من الخزان جدول يسمى « لوماكين - شار » . وقد وسع خلفه « اين اناتم » الخزان فجعل سعته ١٨٤٠ « لور ساكال » ( حوالي ٤٩٠٠٠ جالون ) . وقد رمم اتمينا ابن أخ اياناتم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى تصل النهرين ، كما رممه كذلك فيما بعد زمن وجيز الملك اوروكاجينا الذي أصلح قناة « جرسو » القديمة المعروفة باسم « نجرسو - أمير - في - نيور » وكان طول هذه القناة ٢٨٠ مترا وقد تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة<sup>(٢٠)</sup> . ومن هذه المشاريع أيضا السد الفاطس ( Weir ) الذي انشأه « أين اناتم » على جدول « جرسو » في مدينة لجش ، وهناك



## دودو 𐩣𐩣𐩣 DUDU

التصوير رقم (٥٨) - تمثال الحكيم « دودو » الكاتب السومري الشهير وزير الملك « انمينيا » في حدود سنة ٢٤٣٠ ق.م ( انظر الفقرة ١٠ ) .  
سد آخر من النوع نفسه انشاء خلفه انمينيا ( حوالي سنة ٢٤٠٠ ق.م ) وتتجلى لنا ضخامة هذه المشاريع في كمية القار التي استعملت في انشاء السدين المذكورين ، فقد استعمل في السد الاول ما لا يقل عن ٢١٩٢ لير في بنائه في حين بلغت الكمية التي استعملت في بناء السد الثاني

٢٦٤٩٩٠ لیترا • اما عدد الآجر المفخور الذي استعمل لانشاء سد اتيمنيا فقد بلغ ثمانية ملايين آجرة (٢١) • ومن أهم مشاريع الري الكبرى التي انشئت في العهد السامي السومري القديم الجدول الذي شقه الملك « اتيمنيا » من هردجلة الى منطقة لجش لمسافة ١٣٠ كيلومترا ، وهو الجدول الذي يجرى فيه اليوم شط العراف الحالي وقد سبقت الاشارة اليه (٢٢) •

ومما يذكر ان ملوك سومر وأكد كانوا يتباهون ويتفاخرون بما يقومون به من أعمال الري كشق الجداول التي تنقل المياه الى الاراضي الزراعية البعيدة ، وتقوية السداد لحماية الاراضي الزراعية من الغرق وما الى ذلك من المشاريع كالخزانات والنواظم والقناطر وغيرها ، بقدر ما كانوا يفخرون بفتوحاتهم وأعمالهم الحربية المنطوية على البسالة والشجاعة ، وكانت الاراضي السهلة الخصبة المتسدة على جانبي الفرات الميدان الشاسع الذي فسح المجال الواسع للدخول في مباراتهم العمرانية في هذا المضمار • وأول شيء يلاحظه المرء لدى استعراضه تاريخ العراق القديم هو أن أكثر الملوك والامراء تركوا لهم آثارا في الجداول والقنوات والقصور والمعابد والمشاريع التي انشأوها وقد خلدت هذه الآثار ذكراهم عبر السنين والعصور حيث كان معظمهم يسمون تلك المشاريع بأسمائهم مقرونة بأسماء الآلهة • فقلما نجد ملكا من الملوك السومريين الاقوياء لا يفاخر بانه شق قناة وبذل عناية في سبيل انجاز مشروعات الري • ولا شك في أن شق هذه القنوات قد استلزم اتقان المناهج القائمة على الفن الهندسي مع الافتراض ان اقامتها قد تمت على مراحل متتابعة مقرونة بتحسينات مستمرة خلال التنفيذ الذي لا بد انه تطلب زمنا طويلا حتى بلغ العمل ذروة الدقة والاتقان • ففي ذلك يقول الخبير الآثاري ديلاپورت : « وعلى ذلك فنحن مضطرون الى ان نعتقد انه كانت هناك دراسات تمهيدية ثم تخطيطات مبدئية ثم خطة نهائية تتطلب استعمال أجهزة للقياس والتسوية وعمليات حساسية تسجل نتائج المقاسات التي تمت على الارض ومقدار العمل المطلوب تنفيذه • • • • • وقد وصلت الى ايدينا بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل سرجون ومنها مثلا قطعة من لوحة خطت عليها قناة هومادمشا التي شقت بامر الملك ايانا تم ملك لجش (٢٥٣٠ ق م) • وألحق بها خزان تزيد سعته على الالف هكتولتر • • وكان العمل المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين » (٢٣) •

#### ١١- دور سلاتني لجش الثانية واور الثالثة في تكوين حضارة العصر السامي السومري الحديث :

قلنا في الفقرة ٦ من هذا الفصل ان العصر السومري يقسم الى حقتين منفصلتين ، الاولى تعرف بالعصر السومري القديم والثانية بالعصر السومري الحديث وقد اقترحنا تسميتها بالعصر السامي السومري القديم والعصر السامي السومري الحديث لان حضارتهما تناج جهود مشتركة ( سامية - سومرية ) لا يمكن فصلهما ، وقد سبق ان بحثنا في الفقرة السابقة دور سلالة لجش الاولى في تكوين حضارة العصر السامي السومري القديم ، ونواصل الآن بحثنا عن العصر السامي السومري الحديث الذي شاركت في صنع احداثه التاريخية والحضارية سلاتنا لجش الثانية واور الثالثة • وقد اشتهر في الاولى جوديا ملك لجش (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق م) وفي الثانية اورنمو (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق م) • ويتميز هذا العصر بالانبعاث السومري الجديد بعد ان

شهدت البلاد حكم الاكديين الساميين الذي دام نحواً من قرنين وحكم الكوتيون الذي دام نحو قرن واحد ( انظر التصويرين ٥٩ و ٦٠ ) .

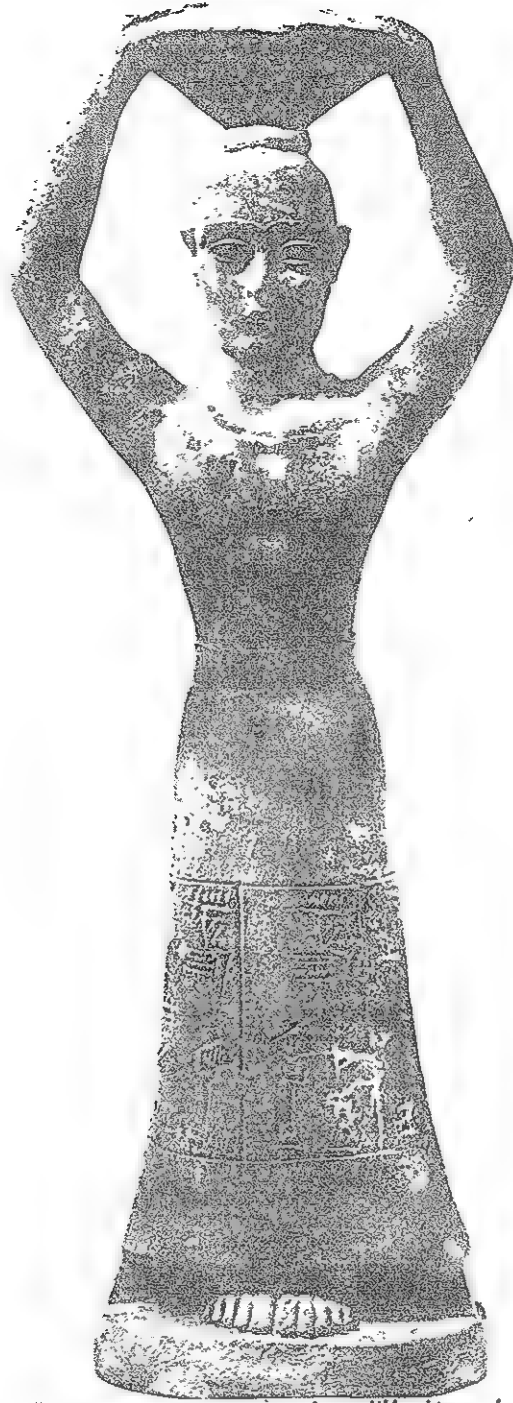
وقبل البحث في العصر السامي السومري الحديث لابد من الرجوع الى الوراء لشرح الظروف التي أعقبت حكم الاكديين الذي مهد السبيل لوقوع الانبعاث السومري الجديد : كان قد تغلب سرجون أولاً على دويلات سومر وأكد وأسس منها ومما جاورها مملكة موحدة قوية



التصوير رقم (٥٩) - « غوديا » ملك لجش

شملت معظم العراق وتلقب ( بسلط سومر واكد صاحب سلطان الدنيا ) واسس مدينة (أكادة) واليها نسبت الاكدية ، وانتقل العراق من طور دويلات المدن في عصر فجر السلالات الى طور مملكة موحدة ضمت كل الميسن ثم توسعت فشملت أقطاراً أخرى غير العراق ، والظاهر ان سرجون لم يصرف همه أولاً الى جنوب العراق لانه لو قام بذلك لعرض مملكته لهجوم القبائل الشمالية ، فلذلك وجه أولى حملاته على مدينة « ماري » السامية ، الواقعة على الفرات الاوسط ثم هجم على آشور على دجلة ثم على اربيل ( أربيل الحالية ) وما حولها ضامناً بذلك طاعة العراق الشمالي . ثم زحف من بعد ذلك الى ( الكوتيين ) قبائل زاغروس في شمال العراق وشرقيه ، واندفع جيش سرجون الى الشمال فاضع قبائل الاناضول ثم رجع جنوبياً الى البطائح شرقي دجلة ثم استولى على لجش وحارب « لوكال زاكيزي » حاكم مدينة « أوما » الذي كان قد هجم على لجش واستولى عليها وهزم أخسر ملك من ملوك سلاله لجش الاولى « اوروكاجينا » واتخذ الوركاء عاصمة له وحكم فيها خمساً وعشرين سنة ضايق خلالها مدينة كيش حتى قهره سرجون الأكدي ، واستولى سرجون على أور وهي من أعظم المدن السومرية واحترم شعائر دينها وجدد جميع حارة المعبد وعيّن كبرى بناته كاهنة للالهة « نثار » وكذلك فعل بمعبد « نر » . حكم سرجون العظيم أكثر من نصف قرن ولكنه مع نجاحه في الحروب لم يستطع





التصوير رقم (٦٠) - تمثال من البرونز يمثل الملك «أورنمو» مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١١: - ٢٠٩٤ ق.م.) وهو يحمل على رأسه سلة مواد البناء لتشييد المعبد ، والتمثال من نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ( انظر الفقرة ١١ ) .

منع الدسائس والاختلاف بين رجال البلاط وكان عهده مملوءاً من الثورات والقتل والاضطرابات ، وزادت الحال سوءاً وشراً بغزو الكوتيين ، ثم انتهى أمرهم بأن طردوا من البلاد بعد أن حكموا فيها نحواً من قرن واحد قضوه بالانتهاب والاستلاب ( انظر الفصل الثامن من الكتاب ) .

اما الكوتيون فهم أقوام جبلية نزحوا من المنطقة الشرقية لجيبسال زاغروس من أطراف لورستان ، في نحو عام ٢٢١٠ قبل الميلاد وانحدروا نحو سهول العراق الخصبة ، فاختاروا منطقة كركوك ( اربخا ) مركزا لحكمهم ثم فتحوا بلاد أكد وسومر . ولم نعرف للكوتين حضارة قديمة قبل نزوحهم الى العراق ، ولم يكونوا يعرفون طراز الحكومات المنظمة والدول المحكمة ، فصار مسجل الاخبار في أيامهم يسأل من الملك منهم ومن غير الملك ؟ حتى يذكر اخبارهم ، اذ لم يجد ما يدونه غير أخبار اضطرابهم . لكن الكوتين انصهروا في بودقة حضارة وادي الرافدين كما انصهر غيرهم مسن كانوا في مستواهم الحضاري ، ومن امارات الاندماج انهم أخذوا باللغة الأكديّة وبها كتبوا أخبارهم القليلة . وقد ذكر ثبت الملوك واحدا وعشرين ملكا من الملوك الكوتين حكموا جميعا ٩١ سنة وأربعين يوما وكان آخرهم « تريقان » الذي حاربه أمير أوروك السومري المدعو « اوتوهيكال » وتغلب عليه في نحو عام ٢١١٦ ق م . وطرّد بذلك الكوتين من العراق . فأسس « اوتوهيكال » في مدينة الوركاء مملكة ولقب نفسه بملك سومر وأكد ، ولكنه لم يستطع ان يحافظ على مقامه ، من حيث هو محرر لسومر زمنا طويلا ، فقد ثار عليه أحد ولاته وهو « اورنمو » صاحب مدينة أور وأسس اسرة حاكمة فيها ، سميت عند المؤرخين « سلالة أور الثالثة » التي يعد عهدها في العراق من العهود الذهبية لما حصل فيها من تقدم في الحضارة ورخاء في العيش بفضل تعاون الساميين الاكديين والسومريين في صنع هذه الحضارة المزدوجة .

اما اصل الكوتين فيقول الدكتور سبايزران ان الشعب الكوتي شعب من شعوب زاغروس من الوجهة اللسانية واللغوية ، فلذلك لا يمكننا ان نقول بساميته ولا بأريته على انه لا ينكر ان هذا الشعب قد اندمج فيه بعض العناصر الآرية فيما بين النهرين في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد ، حتى صار معظم سكان جبال زاغروس اريين في الالف الاولى قبل الميلاد ، ولكن هذا لا يقوم دليلا قاطعا على ان يكون الكوتين اريين أيضا (٢٤) . وقد ذكر فريق من المؤرخين ان ( الكوتين ) هم أسلاف الاكراد (٢٥) .

ان اضطراب الوضع في عهد الكوتين ساعد على نهضة الجنوب واصبح في استطاعة المدن السومرية مثل لجش وأور وأريدوا وأوماو لارسا ان تستأنف هوضها وتستعيد سلطانها ، وكانت الكلمة النافذة بينهن لمدينة أور وصارت لها الزعامة على غيرها ، واختلط الساميون الاكديون بالسومريين لعلهم ان التفرقة شقاء للأمتين وتعس للشعبيين ، ولكن الاكديين فقدوا سلطانهم المسيطر ، ورضوا بان يكونوا اتباعا بعد ان كانوا متبوعين وان يكونوا رعايا بعد ان كانوا ملوكا ، فساهموا في التنظيم الجديد ، وأصبحت الامة الجديدة تدعى باسم سومر وأكد ولقب الملك ( بملك سومر واكد ) وازدهرت البلاد في تلك الأعصار ، وبذل الحكام بالتعاون مع الاكديين كل ما في وسعهم ليصلوا الى أعلى مراتب الحضارة السامية - السومرية المعروفة ايامئذ ، فحققوا ما سمي بعد ذلك الحضارة البابلية (٢٦) . ولم يكن الاتحاد مقصورا على الاكديين والسومريين فقد انضمت اليهم بقايا « الكوتين » .

قلنا فيما تقدم بان سلالة لجش الثانية وسلالة أور الثالثة قد لعبتا دورا بارزا في قيام العصر السامي السومري الحديث والانبعث الجديد في سومر ، فكانت سلالة لجش الثانية

قد سبقت سلالة أور الثالثة في استعادة ومواصلة نشاطها الحضاري متعاونة مع الأكسديين وذلك لقرب عهدها بسلالة لجش الأولى التي سبق ان لعبت دورا طلائعيا في تكوين حضارة العصر السامي السومري القديم . حكمت سلالة لجش الثانية ١٧١ سنة (٢٢٨٠ - ٢١٠٩ ق م) حكم فيها ١٦ ملكا كان اشهرهم « گوديا » الملك الثاني عشر حكم ٢٠ سنة (٢١٤٤-٢١٢٤ ق م) ( انظر التصوير رقم ٥٩ ) ، وجد له عدة تماثيل ازدان بها متحف اللوفر في باريس ، وهذه التماثيل تشير الى الطراز الفني للسومريين وقد عثر من آثار ذلك العصر على نماذج أدبية سومرية لكوديا تعد من أرفع الادب القديم في العالم . ومن الواضح ان هذا التقدم الحضاري في الناحية الأدبية في دور الانبعث الجديد في العصر السامي السومري الحديث حصل نتيجة احتكاك السومريين بالاكديين الساميين في فترة حكم الأكديين الذي دام حوالي ٢٠٠ سنة وتأثيرها في تقدم الحضارة السامية السومرية ، لان النصوص التي عثر عليها من عصر سلالة لجش الأولى في العصر السامي السومري القديم كانت خالية من النصوص الأدبية ( انظر ما تقدم في الفقرة ٨ من هذا الفصل ) . وقد اشتهر « گوديا » أيضا بأعماله العمرانية الأخرى فقد شيد معابد فخمة وغيرها من العمارات ووسع الصلات التجارية ، وقد وجد الاثاريون الفرنسيون مئات من النقوش الكتابية التي دوت أعمال « گوديا » العمرانية التجارية . ومن مشاريعه الزراعية انه شق القناة المسماة « تجرسو أو شومجال » وهو حدث محلي خلد في اسم لاحدى سني حكمه ، ولابد انه عمل على ابقاء القنوات التي كانت موجودة قبل عصره في حالة صالحة للملاحة ، ذلك لان نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء ، وتطلب انزالها الى البر اقامة رصيف بالقرب من احدى بوابات المدينة ، وقد عثر في بلاط آلهة تجرسو بصيانة القنوات والجسودول وأدوات الري الى مزارع الارض المقدسة ( ديلابورت « بلاد ما بين النهرين » ص ١٢٨ ) . وفي نهاية حكم « گوديا » كانت مدينة الوركاء تمتد العدة للقيام بثورة ضد الكوتيين حيث تمكن « اوتوهيكال » ملك الوركاء من طرد الكوتيين ، وقد سبق ان اشرنا الى ان « اوتوهيكال » لم يستطع ان يحافظ على مقامه كمحرر لسومر فثار عليه أحد ولاته وهو « أورنمو » صاحب مدينة أور وأسس أسرة حاكمة فيها عرفت بسلالة أور الثالثة التي تولت الزعامة بعد لجش ، وبذا فقدت لجش استقلالها في نحو ٢١٠٩ ق م بامتداد فتوحات سلالة أور الثالثة .

تسلمت سلالة أور القيادة في أعقاب عهد سلالة لجش الثانية فحكم في هذه السلالة خمسة ملوك أكثر من مائة سنة (٢١١١ - ٢٠٠٣ ق م) أسس هذه السلالة أورنمو اثر ثورته على « اوتوهيكال » ملك الوركاء الذي قضى على حكم الكوتيين فحكم ١٧ سنة (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق م) ، وأول شيء اتضح في تاريخ أورنمو الذي كان اسمه يقرأ « اور انكور » انه كان ملكا قديرا راغبا في الاصلاح وعاملا على تقدم أور وان اسمه وألقابه المختوم بها الآجر تشهد بأنه قد جدد جميع العمارات المهمة تجديدال يعرف له مثل من قبل ، وتشمل هذه العمارات المستجديات المعابد الموقوفة على الالهين « تار » و « نكال » والصرح ( الزقورة ) القائم أكثره اليوم في أطلال أور وكذلك القصر الملكي وسور مدينة أور وتجاوزت أعماله الاصلاحية ومنشأته

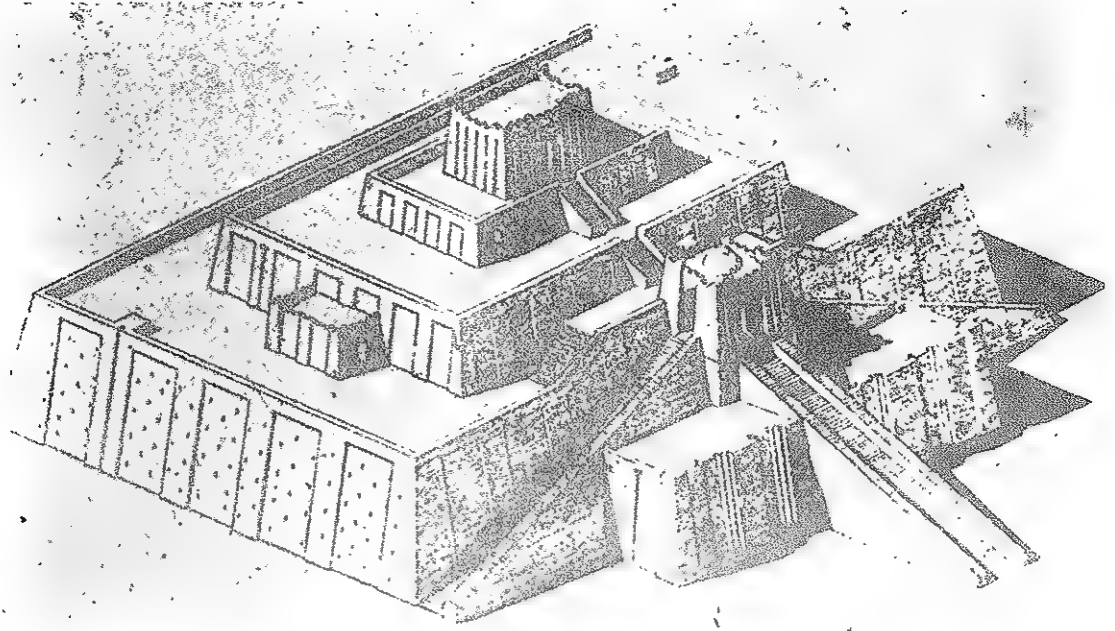
التميرية الى « لجش » و « اريدو » و « اوما » و « لارسا » و « ادب » فقد جسد معابدهن وكرى أنهار الارواء وقنواتها لاعادة الرخاء الى بلاد سومر لان الاضطراب السياسي الذي نشأ عن النزاع بين الاكديين والگوتيين سبب اهمال كرى الأنهار وشغل الحكام عن العناية بأمور الارواء ، وقد ساعده على ذلك استتباب السلم في بلاده ، وندور نشوب حرب فيها . ( انظر التصوير رقم ٦١ ) .

ومن جملة مشاريع أورنمو الزراعية انه شق قناة الحدود المسماة « نانا جوجال » ويساوي خوضها امواه البحر ، وهناك لوح من ذلك العهد يحتوي على اجور النساء اللواتي استخدمن في عمل سد من القصب عند رأس القنبرة ( ديلابورت ، « بلاد ما بين النهرين » ، ص ١٢٩ ) . وفي عهد « أورنمو » تقدمت الحضارة نتيجة للتعاون القائم بين الاكديين الساميين والسومريين فبلغ السومريون شوطا كبيرا في تقدم فن العمارة اذ وصلوا الى ابتداء القصور والدور والمعابد نماذج فريدة باسلوب بنائها واعملتها وجدرانها المزخرفة بالفسيفساء ، كما برع السومريون في فن النحت والنقش فكانوا ينتحون تماثيل للأشخاص والآلهة . وكانوا قد برعوا أيضا في نقش الرواسم ( الاختام ) فيصرون عليها الآلهة وطقوس العبادة والندور ومناظر من أراضيهم وبناتينهم وماشيتهم ، وهي كثيرة جدا ، وذلك يدل على ان استعمالها كان شائعا لتمثيل سيرتهم الاجتماعية ، وبرعوا أيضا في صناعة أدوات الزينة من الذهب والفضة وغيرها .

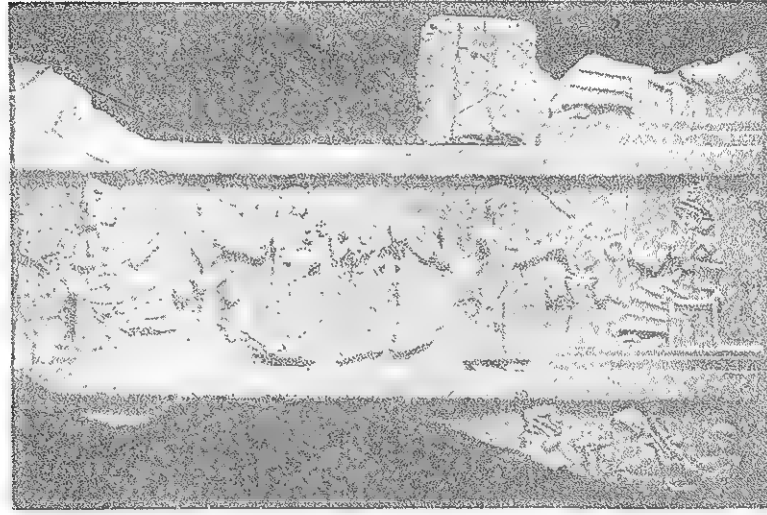
ويتجلى مدى تقدم فن النحت في المسلة المسماة « مسلة أورنمو » التي عثر عليها ليونارد وولي في تنقياته في أور عام ١٩٢٤ وهي الآن في متحف جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا . ويرينا القسم المتبقى من المسلة الملك « أورنمو » ملك أور ( ٢١١١ - ٢٠٩٤ ق م ) وقد مثل امام الاله القمر « ننا » اله مدينة أور الجالس الى اليمين وهو يصب السكية المقدسة امامه ، ثم يتكرر المنظر نفسه امام الاله « تنجال » زوجة الاله « ننا » وهو يسلم أدوات البناء الى الملك « اورنمو » وهي الاشارة لبناء المعبد . وفي الجزء المتبقى من الحقل الاسفل صورة الملك « أورنمو » وهو يحمل أدوات البناء يتقدمه الاله « ننا » ويساعده على حمل تلك الادوات الثقيلة خادم حليق اللحية ، وقد دون اسم « اورنمو » في الحقل الأعلى على القسم الأسفل من رداءه ( انظر التصوير رقم ٦٢ ) .

وقد عثر في ثمر على تمثال برونز يمثل الملك « اورنمو » وهو يحمل على رأسه سلة مواد البناء لتشييد المعبد والتمثال يعود الى نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ( انظر التصوير رقم ٦٠ ) .

وعرف السومريون أيضا صناعة المعادن منذ زمن قديم وكان منهم صناع مهرة عرفوا كيفية طرق الصفر وصببه ، وعرفوا صناعة الشبه ( البرنج ) وهو أصلب من الصفر ، وصنعوا من



التصوير رقم (٦١) - زقورة اورنمو في اور ( انظر الفقرة ١١ ) :



التصوير رقم (٦٢) - منظر من مسلة . اورنمو ملك اور تمثل اورنمو وهو يمثل امام اله القمر « ننا » اله مدينة اور ( انظر الفقرة ١١ ) .

الصفحة أسلحة وآلات وأدوات للزينة وغيرهما وتماثيل لمعبوداتهم ، ثم توصلوا الى معرفة الذهب والفضة ، استجلبوا المواد الساذجة (الخام) من بلاد أخرى ، وقد ساعدهم صوف الغنم على تطوير صناعة النسيج واعداد ملابس صوف مع العلم بان الازار الذي يرى على خصور السومريين في رسومهم المنقوشة كان من جلود الغنم على الأرجح . ونختم دور سلالة أور الثالثة في تقدم الحضارة المزدوجة (السامية - السومرية) بما ذكرته الباحثة روث وايتهاوس في كتابها « أولى المدن » حيث تقول ما نصه : « وان كان هناك انبعث سومري لغوي وأدبي في زمن سلالة أور الثالثة غير ان لغة الكتابة في ذلك الوقت كانت الاكادية السامية كما كانت الاكادية لغة

التخاطب في جميع البلاد العراقية في الالف الثانية قبل الميلاد بالاضافة الى انها كانت لغة التجارة الدولية في جميع أنحاء الشرقين الأدنى والوسط (\*) .

١٢ - مقبرة أور الملكية :

اكتسبت مدينة أور السومرية شهرة واسعة بفضل ما اكتشف في مقبرة أور الملكية من قبور اثارت الدهشة في العالم الحديث في اثارها وكنوزها الذهبية والفضية . فقد كشفت التنقيبات التي قام بها سير ليونارد وولي في أور في الأعوام ١٩٢٢ - ١٩٣٤ مجموعات متنوعة من المقابر منها ما يعود الى عهد سلالة أور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٠٣ ق م) وأهمها المقابر الملكية العائدة الى ملوك هذه السلالة - وهي قبور بالمعنى الصحيح ولكنها وجدت خالية معبوثا بها بحيث لم يعثر فيها على رفات أصحابها . وقد سجل من هذه القبور ما يناهز ٢٥٠٠ قبر أمكن تعيين أسماء البعض منها ، اذ أمكن تشخيص ما لا يقل عن ستة عشر قبرا بكونها قبور ملكية . وتمثل هذه المكتشفات ثروة من المعلومات الثمينة حول حضارة وادي الرافدين القديمة التي كانت سائدة في بلاد سومر وأكسد في عصر فجر السلالات . كما انها تمثل لنا أصدق تمثيل لمظاهر حضارة وادي الرافدين السامية السومرية في أوج عظمتها (حوالي ٢٦٠٠ ق م) . وبرز تلك البقايا الآثار التي تعود الى الملكة « شبعاد » فقد وجدت جثتها في حفرة مستطيلة مع جثث حاشية من الوصائف والاتباع بلغ عددها ٥٩ جثة الغالب عليها انها جثث نساء ورجال من الجند والاتباع ، كما وجدت بقايا عربتين مع حيواناتهما من الحمر الوحشية السومرية وسائقيهما . اما الكنوز الأخرى فتعد من أروع الآثار النفيسة منها الحلي الذهبية والقلائد النادرة المصنوعة من الذهب والحجارة الثمينة كحجر اللازورد والعقيق والشذر ومنها لباس الرأس والاسورة والدبابيس والأوراد الاصطناعية وكلها مقتنيات سيدات مجتمع ذلك العصر . وتعد القيثارتان الذهبيتان برأس ثور من الذهب الخالص اللتان عثر عليهما في قبر الملكة شبعاد من أروع وأفنى ما عرفه المسالم القديم من آثار وهما تمثلان أقدم الآلات الموسيقية المركبة المعروفة في التاريخ القديم وقد وجدت بقايا من صندوقيهما الصوتيين وهما من الخشب المطعم بالصدف وحجر اللازورد ( انظر التصاوير المرقمة ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ ) .

وكان من تقاليد ذلك العصر ان يتبع جميع أفسراد الحاشية ملكهم الى الموت فيدفنونه مع الملك عند مماته وهم أحياء ، فكان الملك يدفن في مقبرة خاصة في حفلة جنازية دينية وكان يصحب جنازته الى قبره جميع أفراد حاشيته من الزوجات والضباط والجنود والخدم والموسيقيين حيث ينزلون في الحفرة المعدة لتكون قبر الملك ثم يقدم لهم كأس من مادة مخدرة كالبنج فيشربونه الواحد تلو الآخر بعد اجراء مراسيم دينية خاصة وعندما يفقدون الوعي جميعا يهال عليهم التراب فيدفنون .

ولقد أوضح سير ليونارد وولي حادثة لها دلالتها فقد وجد عندما أجرى حفريات في قبر الملكة شبعاد في أور ان جميع خادمتها ووصيفاتها اللواتي متن معها كن بكامل زينتهن وترتدين

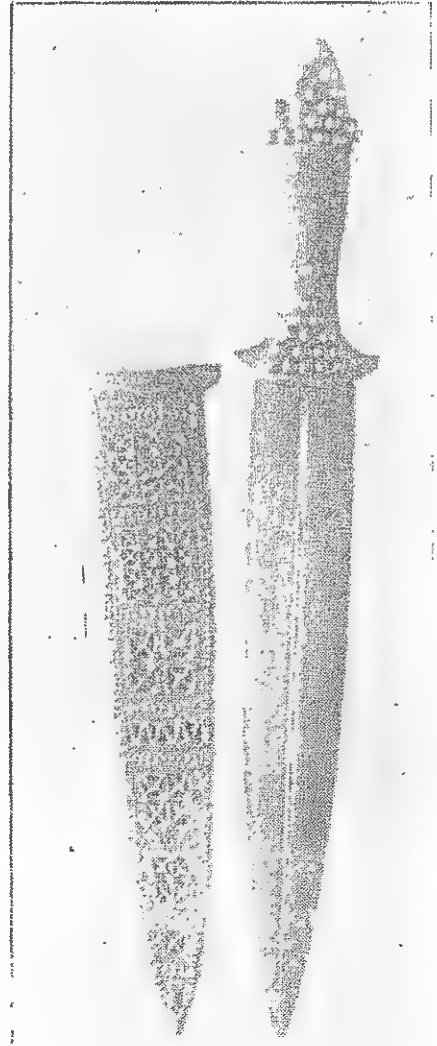
(\*) Ruth Whitehouse: "The First Cities", London 1977, p. 40.



### التصوير رقم (٩٣)

حلى لدوية سومرية من ذهب مطعم بزمرد وياقوت للملكة « شوب-آد »  
اكتشفت في المقبرة الملكية في اور وهي ترجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد .

*The head dress and jewellery of Queen "Shub-ad" found at the Royal Cemetery of Ur, on a reconstructed model, dating back to the third Millenium B C.*

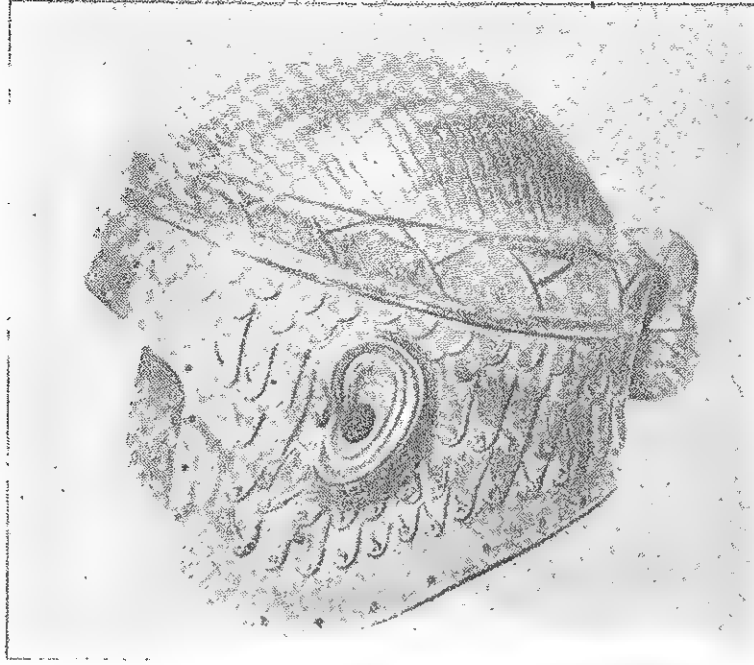


### التصوير رقم (٩٤)

الخنجر الذهبي من مقبرة أور الملكية وقد صنع غمده من الذهب المرصع بالاحجار  
التمينة وقد اشتهر بدقة صنعه وهو يعود الى الالف الثالثة قبل الميلاد .

*The Gold Dagger from the  
Royal Cemetery of Ur*

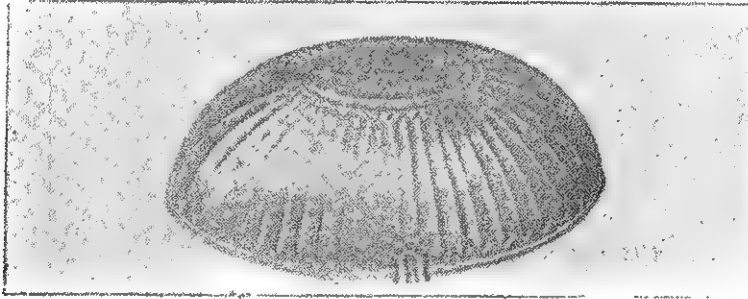
*This is the famous gold dagger found in the royal tombs of Ur , the blade of which is of pure gold; its hilt is of blue lapis lazuli decorated with gold studs and its sheath of gold beautifully worked with an open work design derived from plaited grass. ( " Excavations at Ur. " By Sir L. Woolley, p. 60 ).*



التصوير رقم (٦٥)

الخوذة الذهبية المشهورة التي اكتشفت في المقبرة الملكية في اور ويرجع تاريخها الى الالف الثالثة قبل الميلاد

*The Gold Helmet of Mes - kalam - dug from the Royal Cemetery of Ur dating back to the third Millenium B.C. it is made of one sheet of 15 carat gold.*



التصوير رقم (٦٦)

طاس من الذهب من المقبرة الملكية في اور

*A Gold bowl from Queen Shub - ad's tomb ( From the Royal Cemetery of Ur ).*

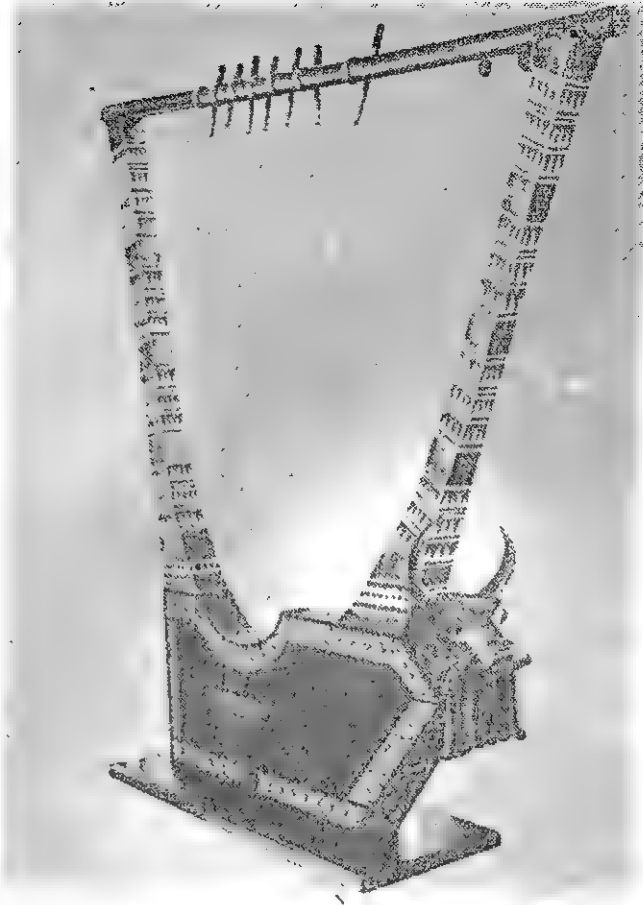
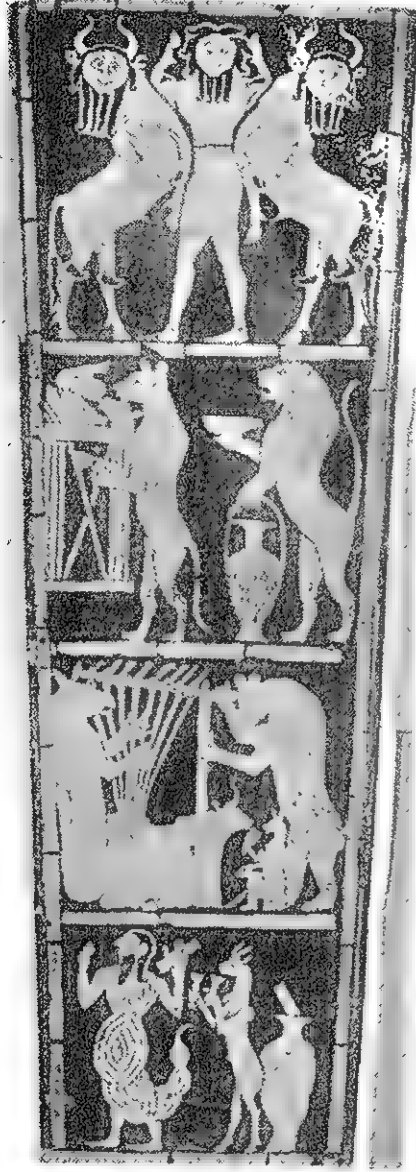
جميع أوشحتهن وحليهن الذهبية والفضية وعلى رؤوسهن أكاليل من الورد الاصطناعي ، ما عدا واحدة من الوصيفات لم يكن وشاحها عليها ، بل كان الى جانبها في الموقع الذي كان فيه جيب ثوبها . ويظهر ان هذه السيدة قد أتت متأخرة الى حفنها ، فلم يكسّن لها وقت الكافي لارتداء وشاحها الذهبي ، بل نسيته في جيبها .

ويجب أن نلاحظ هنا ان هذه اللقى مع أفهامثل ابداعا ماديا يرمز الى مرحلة بعيدة في التقدم والارتقاء الانساني في مجالات التمدن ، ولكن ينبغي أن لا تنسى ان هذه المظاهر الحضارية لم تكن وليدة الموقع أو حصيلة الزمن الذي وجدت فيه ، اذ لابد ان تكون قد سبقتها حضارات



### الصورة رقم (٦٨)

تشاهد في التصوير تحت هذا الشرح قطع النقوش  
الصدفية الاربعة على صندوق صوت القيثارة السومرية



### التصوير رقم (٦٧)

آلة موسيقية وترية سومرية مطعمة بالاحجار الملونة والمعتيق ومزينة في  
مقدمة صندوقها الصوتي برأس عجل من الذهب الخالص ، اكتشفت في المقبرة  
الملكية في أور يرتقي زمنها الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، وقد نقش  
على صندوق الصوت تحت رأس الثور نقوش صدفية لحيوانات تعمل عمل  
الانسان يتمثل فيها تقدم فن النقش السومري .

*A Sumerian bull - headed harp discovered at the Royal Cemetery of Ur  
in King Abargi's tomb - Beneath the bearded bull's head made of pure go'd,  
is a set of four shell plaques engraved with mythological scenes of animal playing  
the parts of men. These plaques are shown on Fig. 31 above.*

لأقوام أخرى غير السومريين وأهمهم الساميون اقتبس السومريون منهم الكثير حتى بلغوا هذه المرحلة التي عاشوها في حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد . وفي تعليق للدكتور ناجي الأصيل على علاقة السومريين بالأقوام الأخرى وأثرها في تقدم الحضارة السومرية يقول : « ان البحث عن الشعب السومري واللغة السومرية لا يزال جاريا لمعرفة أصل هذا الشعب وعلاقة لغته باللغات المعروفة ، ويعمل العلماء لحل هذه المشاكل مستندين على دراسة آثارهم وكتاباتهم وهياكلهم ، وربط هذه الدراسة مع ما يتوصل اليه من الحقائق عن شعوب أخرى سبقت السومريين في الزمن أو عاصرتهم في الحياة والحكم » . ثم يضيف الدكتور الأصيل الى ذلك قوله : « ومن البديع ان ينهى السير ليونارد دولي أبحاثه القيمة في الحضارة السومرية بالجملة الآتية : « اما تقدم السومريين من الناحية الروحية فقد كان قليلا نسبيا اذا ما قورن بالنواحي الأخرى . وكان التقدم في هذه الناحية على أيدي قوم غرباء عن السومريين ، هم الساميون الذين تمت على أيديهم القوانين ، وظهرينهم الانبياء » .

وقد يقال ان مقبرة أور الملكية التي تم اكتشافها تمثل أقدم حضارة سومرية (٢٦٠٠ ق م) وهي تعود الى زمن يسبق ظهور الأكديين الساميين ولكن وجد في بعض المدن الأخرى ما يصح تسميته بالقبور الملكية وان لم يعثر فيها على ما يشبه النفائس الأثرية التي تميزت بها مقبرة أور ، حيث وجد في كيش السامية قبور قديمة العهد بعضها يرجع زمنه الى عصر فجر السلالات الثاني ، وعثر في بعض قبورها على أجزاء من عربات وآثار أخرى لا تضاهي آثار مقبرة أور من حيث نفاستها ، كما وجدت في كيش نفسها مقبرة أخرى أرجع زمنها الى عصر فجر السلالات الثالث ولعلها تعاصر مقبرة أور في الزمن ووجدت قبور مماثلة في مدينة السوس عاصمة عيلام (٢٧) . وفضلا عن ذلك ان أهم القبور الملكية التي وجدت في مقبرة أور الملكية كانت تعود الى عهد سلالة أور الثالثة (٢٨) ومعنى ذلك ان أهم ما وجد في مقبرة أور يعود الى عصر الانبعاث السومري الأخير أي الى ما بعد عهد الأكديين الساميين (٢٩) .

### ١٣- مراحل التطور الزراعي عند السومريين - التطور الأول :

نستخلص من دراستنا لتطور الحضارة السومرية ان الحياة الزراعية السومرية مرت بثلاث مراحل في مجرى تقدمها ، أولاها تبدأ في أوائل عهد استيطان السومريين الأصليين وتوطيد حياتهم الزراعية البدائية في منطقة الأهوار ، والمتفق عليه أن هذه هي المنطقة الشبه بطائية التي في جنوب دلتا الرافدين . وقد كان السكان في هذه المرحلة من القلة بحيث لم يستطيعوا ان يمارسوا الزراعة على مقياس واسع فاستغلوا ما هيأته لهم الطبيعة من موارد وهي تقتصر على الاستفادة من سواحل الهور وجزره وأحراشه المنتشرة لسكانهم واعاشة مواشيهم ، فكانت الادغال في المستنقعات والجزر ونبات القصب الطري تكون الغذاء لماشيهم وسيقان القصب الناضجة المادة لبناء مساكنهم . وكان السمك غذاءهم الرئيسي كما هي عليه الحال بالنسبة لسكان الأهوار في الوقت الحاضر . واذا صح نزوح السومريين الأوائل الى هذه المنطقة من بلاد عيلام الإيرانية فلا بد ان يكونوا قد عرفوا بعض الشيء عن الزراعة في موطنهم الاول المتكون من منطقة بطائية شبيهة بالمنطقة التي نزحوا اليها مما يمكنهم من ممارستها في موطنهم

الجديد ، والراجع انهم مارسوها على مقياس محدود وبشكل بدائي بدون ارواء حيث أمكنهم ان يستفيدوا من رطوبة الارض في زراعتهم على الطريقة المتبعة في مصر وهي المعروفة بطريقة الري الحوضي وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وهناك من الدلائل على ان النخل كان موجودا في هذه المنطقة على ضفاف الانهر والجداول فيشير الخبراء الى ثبوت وجوده في عصر العبيد ( أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ) .

٤١- أهوار جنوبي العراق موطن الجاموس منذ أقدم العصور :

وتدل الاكتشافات الاخيرة على ان الجاموس الذي يكثر في منطقة الاهوار من جنوبي العراق اليوم والذي يؤلف أهم مورد اقتصادي لسكان الاهوار كان موجودا في أهوار ومستنقعات جنوبي العراق منذ أقدم الازمنة في حالته الوحشية ، ثم دجن في منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد شأنه في ذلك شأن الثور الاحدب الوحشي (٣٠) .

وقد استطاع السومريون ان يجعلوا من الثور الوحشي ذي القرون الطويلة الملتوية ومن الحمار والخنزير والضأن والطيور حيوانات داجنة ، وكانوا يحاربون مستندين الى المهارة والقوة والحيلة الحيوانات المضرة التي تعيش في المناطق المجاورة من الصحارى والمستنقعات . ويقول الدكتور جارلس ريد استاذ علم الحيوان في جامعة اللينوى الامريكية ان الآثار التي اكتشفت في منطقة الوركاء في جنوبي العراق تدل على أن الاغنام والابقار بالاضافة الى الكلاب والماعز دجت هناك في حدود ٤٠٠٠ ق.م. أما في مصر فان معظم هذه الحيوانات لم يتم تدجينها الا بعد مدة تتراوح بين خمسمائة الى ألف عام . اما طريقة التدجين فيرى الدكتور ريد أنه من الممكن ان بعض الحيوانات الاولى كانت تؤخذ صغيرة وترضع كالطفل من ثدي النساء المرضعات ولما كانت تلك الصغار من الحيوانات المرضعة صار من السهل تربية الحيوانات الاخرى باطعامها من الحليب المتوفر (٣١) .

وكان الجاموس الوحشي من الحيوانات المرعبة التي كان يخافها السكان أكثر من خوفهم من الاسود والثيران الوحشية ، وتشاهد في كثير من النقوش السومرية القديمة صور لابطال اسطوريين أنصاف آلهة وهم يصرعون الجاموس الوحشي ، ومن أقدم هذه النقوش نقش يشاهد فيه البطل الاسطوري جلجامش الذي تردد اسمه في ملحمة المشهورة وتكرر تصويره على الألواح والاختام لأعماله البطولية في مصارعة الاسود والجاموس وهو يقاتل الجاموس الوحشي ( انظر ما تقدم عن ملحمة جلجامش في الفصل الرابع ) ، كما يشاهد في نقش آخر يرجع الى العهد السومري الاكدي يمثل البطل الاسطوري نفسه جلجامش وهو يستقي الجاموس من كأس ينبجس منها مجريان يمثلان دجلة والفرات ، وقد كرر المنظر على النقش بغية التنسيق الفني والتناظر وتشاهد على الارض التي يقف عليها البطل والجاموس المياه والحصى مما يشير الى ان المنظر يقع في منطقة الاهوار ، ويعتقد ان هذا النقش يمثل هبة المياه ونعمتها على حياة البشر والحيوان أو لعله يمثل قوة البطل جلجامش على ترويض الجاموس الوحشي وتدجينه . ومما لا شك فيه ان الجاموس كان موجودا في منطقة الاهوار قبل ان يظهره السومريون الفنيون على أختامهم والواحهم بزمان طويل . ويعتقد انه كان أول الحيوانات الوحشية التي افقرضت في جنوبي

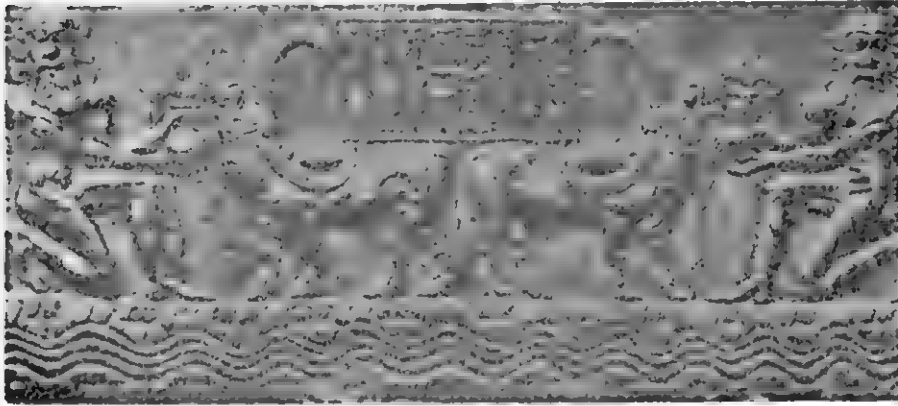
العراق حيث اختفى كحيوان وحشي بعد منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد ( انظر التصاوير ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ )  
الجاموس - قديماً وحديثاً

### The Water Buffalo - Past and Present

الجاموس في منطقة الاهوار في جنوب العراق كما صورهُ السومريون قبل حوالي ٤٥٠٠ عام

*The Buffalo in the Marshy Region of Southern Iraq as depicted by the Sumerians about 4500 years ago.*

الصورة رقم (٦٩)



يشاهد في هذا النقش الذي يرجع الى العهد السومري الاكدي البطل الاسطوري كلكاش وهو يسقي الجاموس من كأس ينبس منه مجريان يمثلان دجلة والفرات ، وقد كرر المنظر على النقش ، وتشاهد على الارض التي يقف عليها البطل والجاموس المياه والحصى مما يشير الى ان المنظر يقع في منطقة الاهوار . ويمتد ان النقش يمثل هبة المياه ونمتهاعلى حياة البشر والحيوان وخاصة الى الجاموس الذي يمشي في الماء .

*This is an impression on an Akkadian seal representing the mythic hero Gilgamesh watering a buffalo from a flowing vase, the same scene being repeated symmetrically. The two streams springing from the vase represent the Tigris and Euphrates. Water and gravel are depicted along the ground on which the buffalo and the hero stand, which bears in mind that this whole scene is in the marshy region of the lower Euphrates. The design is evidently mythological and represents the gift of water to a water animal and so to the world. ( See : W. H. Ward, op. cit., Fig. 26, pp 20- 21; H. Frankfort, op. cit., Plate XVIIc, pp. 9, 51, 55, 80, 83, 85, 88, 89, 90, 91, 166 ) .*

منظر لتطبيع من الجاموس في منطقة الاهوار الحالية في جنوب العراق

*A Flock of Buffalos in the Present Marshy Region of Southern Iraq*



الصورة رقم (٧٠)

وهذا يكشف عن خطأ النظرية القائلة بأن الجاموس عرف أول مرة في العراق في عهد ولايية الحجاج بن يوسف الثقفي حين أتى محمد بن القاسم الذي اقتحم بلاد الهند والسند باناس من شط السند والهند ومعهم أهلوههم وأولادهم وجواميسهم وأسكنهم البطيحة ، ولعل المقصود بذلك هو جلب بعض جاموس الهند لتحسين نسل الجاموس العراقي كما هو متبع في الوقت الحاضر في تحسين نسل الماشية فقد ثبت ان هناك نوعا من الجاموس الوحشي لا يدر الحليب لذلك فالأرجح ان الحجاج جلب من الهند النوع من الجاموس الذي يدر الحليب . كما جلب معهم عوائل هندية للعناية به وتحسين نسل الجاموس العراقي . ففي الفيليين لا يزال الجاموس عندهم من النوع الذي لا ينتفع من حليبه أي انه لا يدر الحليب . ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان الطابع الوحشي الذي يتسم به الجاموس في الاصل ما زال متأصلا في طبيعة هذا الحيوان رغم تدجينه ، وذلك فيما نشاهده من هياج فحل الجاموس المدجن الحالي في بعض المواسم بحيث يرجع الى طبيعته الوحشية الاصلية فيحدث الرعب والهلع بين السكان .

#### ١٥ - منطقة اهوار(\*) جنوبي العراق في الازمنة القديمة :

لقد سبق ان ذكرنا بان في حكم المتفق عليه ان منطقة جنوبي العراق أي الاهوار ، لم تكن مغمورة بمياه البحر في الازمنة القديمة كما كان يعتقد ، وان النظرية القائلة بان حد ساحل الخليج كان في جوار سامراء قبل الالف الرابعة قبل الميلاد ثم انسحب نحو البحر جنوبا في حدود الساحل الحالي بنتيجة تراكم الراسبات الغرينية حتى أصبح مجاورا لمدينة أور القديمة في جوار الناصرية قد أصبحت مردودة من حيث الاساس ، اذ ثبت جيولوجيا وتاريخيا ان حد الخليج في جنوبي العراق كان في الحسد الحالي للخليج العربي وان السومريين استوطنوا هذه المنطقة بالذات كما اشرنا الى ذلك فيما تقدم ( انظر الفقرة ٢ من الفصل الاول ) .

#### ١٦ - منطقة أهوار جنوبي العراق الحالية :

قلنا ان أكثرية الباحثين يعتقدون بان السومريين نزحوا من بلاد عيلام في جنوب شرقي بلاد فارس حيث السهل البطائحي في أسفل دلتا نهري كارون والكرخة المشابه للمنطقة التي نزحوا اليها في جنوبي العراق . ولدينا في نمط معيشة السكان الحاليين لاهوار المنطقة الجنوبية من العراق أوضح عرض لنمط الحياة التي كان يعيشها هؤلاء النازحون في مستوطنهم الجديد في منطقة أهوار العراق . لذلك يحسن قبل البحث في تطوّر الحياة الزراعية في المستوطنات السومرية القديمة ان نستعرض أولا نمط الحياة التي يعيشها سكان الاهوار في جنوبي العراق اليوم وهي المنطقة نفسها التي استوطنها السومريون القدامى في مكان ما من بحيرة الحمار الحالية ، وذلك لتوضيح أوجه الشبه بين نمط حياة سكانها الحاليين ونمط الحياة التي كان يعيشها النازحون القدامى الى هذا العالم البطائحي :

(\*) الهور وجهة الاهوار اصطلاح شائع استعماله في العراق للدلالة على البحيرة الواسعة الانتشار وتكون عادة ضحلة قليلة الغور في اكثر اماكنها وتسودها المستنقعات والاحراش المائية المكونة من القصب والبردي في الغالب .

تتكون منطقة الاهوار الحالية في جنوبي العراق من مجموعة من المستنقعات والبحيرات تغطي مساحة من الاراضي تقدر بعشرة آلاف كيلومتر مربع معظمها يمتد فيما بين النهرين دجلة والفرات والبعض الآخر يمتد على الجانب الايسر من نهر دجلة المحاذي لايوان . والمصادر التي تتمون منها هذه الاهوار بالمياه هي : حوض نهر دجلة ويتفرع منه عدد من الجداول والمصارف في محافظتي واسط وميسان فتكون هذه المجاري منطقة بطائية واسعة تمتد على ضفتي النهر ، ثم حوض شط العراف ويتفرع منه عدة جداول تمتد فيما بين دجلة والفرات في محافظتي ميسان وذي قار ، فحوض نهر الفرات ويتفرع من ذنائبه فروع كبيرة في محافظات بابل والقادسية وذي قار فحوض نهر كرخة الذي تنحدر مجاريه من مرتفعات ايران وتنصب في المنخفضات الواقعة الى الشرق من نهر دجلة في محافظة ميسان . وتنصب أكثر مياه نهر دجلة بعد اجتيازه العمارة في الاهوار حتى يصبح النهر بين العمارة والعزير صغيرا جدا لانه يكون قد فقد حوالي (٨٠) بالمائة من مياهه في المسافة الممتدة بين القرنة والعزير ، الا ان بعض هذه المياه يعود الى النهر في المسافة الممتدة بين القرنة والبصرة وهي المسافة التي يتكون فيها شط العرب . اما نهر الفرات فيصب مياهه في الاهوار الكائنة في جنوب الناصرية وأكثر هذه المياه يتصل بشط العرب أيضا عند كرمة علي في جوار البصرة شمالا .

#### ١٧- مميزات منطقة الاهوار وخصائصها :

وتتميز هذه المنطقة بساخا الصحراوي الجاف الذي تقل فيه الامطار شتاء وتنقطع فيه صيفا حيث تشتد الحرارة ، كما تتميز بانخفاض أراضيها حيث تقل درجة انحدارها فتساب اليها مياه الانهار والادوية والقنوات والبزول من كل صوب فتنتشر فوق السهل الرسوبي مخلفسة الكثير من المواد الغرينية والعضوية والاملاح المعدنية . ولا يزيد عمق مياه هذه المستنقعات والاهوار عن بضعة أقدام وتوجد فيها عدة جزر فوق مستوى المياه تقع عليها القرى التي يسكنها زراع الارز ورعاة الجاموس والغنم . وتنبت في أكثر أقسام هذه الاهوار غابات كثيفة من القصب والبردي وتمر فيها بعض المسالك المائية الخاصة ، ويستعمل القصب والبردي في انشاء بيوت السكان المعروفة بالصرائف واقامة السدود لحماية الاراضي من الغرق . وللقصب فوائد أخرى منها صنع الحصان المعروفة بالبوابي ( جمع بارية ) وتستعمل هذه في بناء وفرش البيوت وحفظ الاطعمة والحبوب وفي أغراض أخرى ، وتستعمل شتلات القصب وهي صغيرة لرعي الجاموس ( انظر التصوير رقم ٧١ ) .

ومن أهم ما تتميز به هذه المنطقة هو أنها في تغير مستمر ، ففي السنوات التي تصبث فيضانات عالية وطويلة الامد تتسع حدود الاهوار فتغمر مساحات شاسعة في حين أن هذه الحدود تقلص في سني الجفاف ، كما ان للترسبات الغرينية التي تتركها مياه الانهر في الاهوار تأثيرا في احداث مثل هذا التغير ، فيقدر ما يلقي من المواد الرسوبية في داخل الاهوار حوالي ٩٠ بالمائة من مجموع الترسبات التي يحملها نهر دجلة في بغداد ونهر الفرات في هيت . وينتظر ان تقلص مساحة هذه الاهوار والمستنقعات أو يجف بعضها بعد اكمال انشاء الخزانات للنهرين دجلة والفرات التي ستسحب أكثر مياه الفيضان ، الامر الذي سيؤدي الى استحالة أكثر أراضي الاهوار

### الصورة رقم (٧١)

كوخ قصي في منطقة الأهوار وصيد الأسماك  
يشاهد في هذا التصوير أحد سكان الأهوار في جنوبي  
العراق وهو يصيد السمك بالكلاب ، كما يشاهد  
قريباً منه الكوخ القصي الذي يسكنه ، وهو على وجه  
التأكيد لا يختلف عن الكوخ الذي سكنه السومريون  
في منطقة الأهوار قبل أكثر من خمسة آلاف عام .

*Reedy Hut of the Marsh Dweller  
and Catching Fish*

*This is a typical dweller of the Marshy  
Region in Southern Iraq, catching fish  
with his hook. Near by is his reedy  
hut which is most certainly very similar to that used by the Sumerians in their early marshy settlement  
in Southern Iraq more than five thousand years ago.*



الى أراضي زراعية تضاف الى أرض العراق الزراعية . وأهم أهوار هذه المنطقة وأوسعها هور  
الحويزة على ضفة نهر دجلة اليسرى وهو يتصل بالمستنقعات في ايران ومساحته داخل الحدود  
العراقية أكثر من ١٢٠٠ كيلومتر مربع ، ثم هور الحمار ومساحته حوالي ٢٥٠٠ كيلومتر مربع ،  
وأهوار منطقة الشامية والمشخاب وتقدر المساحة التي تغمرها مياه الفيضان في هذه المنطقة بنحو  
١٦٠٠ كيلومتر مربع .

١٨- النخيل والاسماك والطيور :

ويكثر نخيل التمر في سواحل الاهوار الخارجية ويستد الى مسافات بعيدة على طول  
ضفاف الانهار والجداول ، كما تكثر الاسماك في المنطقة والذي يؤكل منها هو البني والقطان  
والشبوط والشلق والحبري والصبر والخشني . وفي الربيع من كل سنة يهاجر الصبور  
بكميات كبيرة الى الاهوار لبضعة أسابيع ، ثم بعد اشتداد الحرارة في الصيف يترك البني  
والقطان والشلق الهور المكشوف لبضعة أسابيع فيتجه نحو اقليم شط العرب حيث المناخ البارد  
نسبياً . وفي أواخر موسم الشتاء تتم هجرة القطان والشلق الى أعالي دجلة والفرات لوضع  
البيض ، وينتج هور الحمار وحده حوالي ألفي طن من السمك سنوياً أي حوالي خمسة كيلو  
غرامات في كل مشارة من الهور ، ويفقد الهور كمية كبيرة من الاسماك سنوياً نتيجة انحسار  
المياه عن بعض البرك وجفافها بالتبخر في موسم الصيف .

ومن الطيور التي يأكلها سكان الاهوار : الخضيرى والبط ودجاج المساء والرخيسوي  
والبريزجي والهيلجي ، وتكثر هذه الطيور المائية في منطقة الاهوار في موسم الشتاء حيث يشتهي  
جميع أنواع الخضيرى الاوروبى كما يشتهي الوزا المالح حيث يظل فيها للتفريخ في منابت البردي

الواسعة ، ويفتش السكان عن أعشاشه ليأخذوا بيضه ويفرخونها تحت الدجاج . اما في موسم الصيف فتكاد تهجر من الاهوار جميع أنواع الطيور ولا يبقى الا النزر اليسير في حشافات منابت البردي .

#### ١٩- تقسيم منطقة الاهوار :

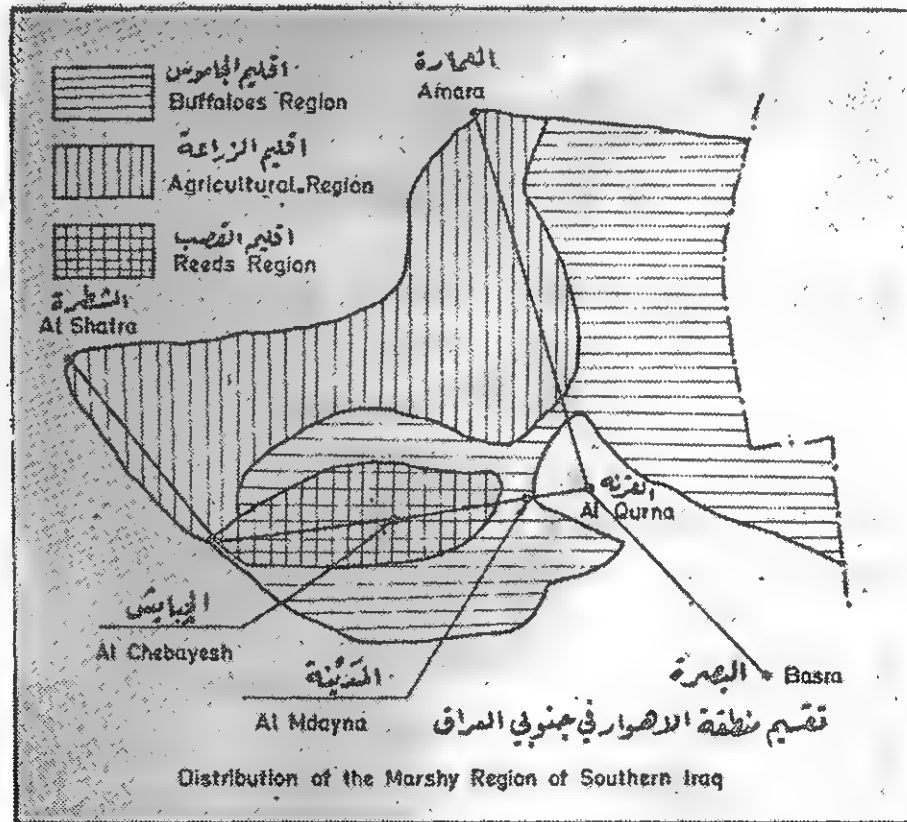
يقسم الجغرافيون منطقة الاهوار الى ثلاثة أقسام هي : الاقليم الزراعي و اقليم الجاموس و اقليم القصب . ويقع الاول في أطراف هـور الحويضة في محافظة ميسان وفي الاطراف الغربية من هور الحمار في ناحية كربة بني سعيد وعيككة حيث يزرع الارز كمحصول رئيسي ومعه الذرة كمحصول ثانوي . اما الاراضي المجاورة لدجلة وجدوله في محافظة ميسان فتستغل في انتاج الشعير والتمور كمحصولين رئيسيين والارز كمحصول ثانوي ، ومثل ذلك في الجباب من حوض شط الفراف الاسفل ، ثم تضاف اليها الاراضي الممتدة بين القرنة والبصرة وبين القرنة والمدينة حيث تكون التمور المحصول الرئيسي . والزراعة في هذه المناطق تعتمد كلياً على مستوى المياه في سطح الهور ، ففي سني الفيضانات العالية والطويلة الامد يتأخر انحسار المياه الامر الذي يؤدي الى فوات اوان الزراعة الصيفية لذلك تعتبر الزراعة في هذه المناطق غير مستقرة وغير مضمونة .

ويقع اقليم الجاموس في هـور الحويضة شرقي دجلة حيث تكثر قطعان الجاموس مع امتدادين ثانويين له يعبران دجلة من جنوب محافظة ميسان يمتد احدهما الى أهوار الفراف السفلى والاخر الى هور الحمار جنوبي مجرى الفرات القديم . ويعرف أصحاب الجاموس بالمعدان وهم رعاة يتنقلون بقطعان الجاموس من اقليم الى آخر شأنهم شأن رعاة الغنم والابقار أو الجمال في المناطق البرية الذين ينتقلون مع ماشيتهم من مرعى الى آخر بحسب المواسم ، ويعتمد هؤلاء أكثر اعتمادهم في معيشتهم على تربية الجاموس ولما كان الجاموس لا يعيش الا على الماء حيث يغطس أكثر وقته فيه فيلازم المعدان جاموسهم شريطة ان تكون حياتهم في الهور ، وهكذا نجد المعدان قد اكتسبوا طابعا حضاريا خاصا بهم هو طابع حضارة المعدان ، سكان الاهوار . وهذا لا يعني ان تربية الجاموس تقتصر على هؤلاء الرعاة فقط ، فانا نجد كثيرا من الفلاحين المستقرين الذين يعتمدون في معيشتهم على الزراعة يتعاطون تربية الجاموس أيضا بالإضافة الى أعمالهم الزراعية وبذلك صاروا معدانا بمعنى اصحاب الجاموس ، ويملك بعض هؤلاء قليلا من الابقار ولكن كلا الفريقين أي رعاة الجاموس والفلاحين هما من سكنة الاهوار . والجاموس أعز ما في حياة المعدان فيقضون جل أوقاتهم في العناية به وينظمون حياتهم وفقا لحياة ماشيتهم وخاصة في تنقلاتهم الموسمية . ويمسك الجاموس المعدان بالحليب والزبدة والقشطة ( الكيمر ) وفي بعض الاماكن بالجبن ولا يذبح المعدان جاموسهم أبدا لأكل لحومها الا اذا كانت مريضة أو على وشك الموت .

واما اقليم القصب فيمثل قلب منطقة الاهوار وهو يمتد من المدينة شرقا الى كربة بني سعيد غربا ويحدده من الشمال والجنوب الامتدادان المذكوران لاقليم الجاموس وبذلك



ينحصر في مجرى الفرات القديم مع الاهسوار الممتدة على طرفيه . وتكثر في اقليم القصب الجزر التي تفصل بينها ممرات مائية تعرف باسم « كواهين » وهي الطسوق الوحيدة التي تربط مختلف أجزاء الاقليم بعضها ببعض كما تربط الاقليم بالخارج . وأهم مركز لهذا الاقليم واوسع قراه قرية الجبايش وهي اليوم مركز لقضاء الجزائر . ويلعب القصب دورا مهما في دعم اقتصاديات هذه المنطقة ، اذ يعتبر من أهم موارد الثروة الصناعية عند سكان الاهوار فيستخدم القصب في صنع الحصر ( البواري جمع بارية ) وبناء المساكن ، والقصب هو المادة الخام الضرورية في صناعة الورق . وتصدر كميات كبيرة من هذه الحصر وكذلك كميات كبيرة أيضا من القصب الخام فيحزم حزما كبيرة ثم تربط هذه الحزم ببعضها وتطلق في الهور ومنه تسير منحدره مع تيار الماء في طريقها الى مدينة البصرة . وتقدر كمية القصب التي تقطع سنويا في منطقة الجبايش بخمسين ألف طن الى سبعين ألف طن على مساحة تقرب من حوالي ١٢٠٠٠ مشاركة(\*) . وقد دلت عمليات المسح التفصيلي التي اجريت لتقدير كميات القصب المتوفرة في منطقة الاهوار على ان القصب يغطي مساحة تقدر بحوالي مائة ألف هكتار (٤٠٠٠٠٠ مشاركة) ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الحصر كانت معروفة منذ أقدم الازمان التاريخية وقد وجدت اثارها في كل من أور وأوروك وهي تشير الى صلتها بالاهوار منذ آلاف السنين ( انظر المرسوم رقم ١٢ ) .



المرسم رقم (١٢) - تقسيم منطقة الاهوار في جنوبي العراق ( انظر الفقرة ١٩ ) .

( عن الدكتور محمد حامد الطائي ، مجلة الأستاذ ، ١٩٦١ ، ص ٣٦٢ )

## ٢٠- هور الحمار في جنوبي الفرات :

ومن أهم الاهوار في جنوبي العراق هور الحمار الواقع في ذئاب الفرات والراجح انه يمثل المنطقة التي ترح اليها السومرون الاوائل نظرا لجاورته لاقدام المدن السومرية مثل أور وأريدو وأوروك ولجش ، ويمتد هذا الهور من سوق الشيوخ على نهر الفرات ومن القرنة على نهر دجلة في الاتجاه الجنوبي الشرقي الى ان يتصل بشط العرب في كربة علي الواقعة على بعد مسافة حوالي عشرة كيلومترات من شمسال مدينة البصرة . ويسمى القسم الجنوبي من الهور الذي يمتد من ذئاب نهر الفرات الى كربة علي باسم هور السناف ، ويعطي القسم هذا كله تقريباً بمياه نهر الفرات ويصب في شط العرب في الماجدية وكربة علي والمصب الذي في كربة علي والذي يقع في الجنوب يزود شط العرب بأكبر كمية من المياه . اما القسم الشمالي الشرقي من البحيرة الذي يأخذ مياهه من أهوار نهر دجلة فانه يصب في شط العرب في القرنة والشافي . وتبلغ مساحة هذا الهور حوالي ٢٥٠٠ كيلومتر مربع ولا يزيد عمق المياه فيه عن القدمين أو الثلاث أقدام .

ويتلقى هور الحمار أكثر مياهه من نهر الفرات عن طريق فرعين ، الفرع الغربي وهو ذئاب الفرات وينتهي في جنوبي سوق الشيوخ الى ثلاثة جداول رئيسة هي : بني سعيد والحفار وام نخلة ، وقد انشئت مؤخراً نواظم في صدور هذه الجداول لتنظيم المياه وتوزيعها فيما بينها بمقادير معينة والفرع الشرقي وهو شط السفحة وينتهي الى جدولين هما جدول العيكة وكربة حسن . وتصب مجموعة هذه الجداول وتشعباتها في هور الحمار فتتشر في داخل الهور باتجاه الجنوب الشرقي حتى تخرج منه لتصب في شط كربة علي ، ونهر الفرات ودجلة بعد التقائهما عند كربة علي يكونان شط العرب الذي ينتهي الى الخليج العربي قرب مدينة الفاو .

## ٢١- تاريخ تكوين هور الحمار :

اما تاريخ هور الحمار فهناك دلائل تدل على أنه تكون نتيجة الفيضان الهائل الذي حدث سنة ٦٢٨ - ٦٢٩ للميلاد ، فيروي المؤرخون ان الرافدين دجلة والفرات ، طغيا طغيانا هائلا مرة واحدة ، وكان الطغيان من الشدة بحيث لم يعد بإمكان أي مجهود بشري ان يقف بوجهه ، وقد كانت التخريبات التي أحدثها مضاعفة ، منها انهيار السدود ومشاريع الري الرئيسية ، هذا عدا تحول الانهر عن مجاريها الاصلية ، فانقلبت المناسق الجنوبية الى مستنقعات وأهوار واسعة تمتد بسعتها كالبحر وصارت تعرف هذه الاهوار في زمن العرب باسم « البطائح » ، ولقد كتب أكثر المؤرخين العرب عن البطائح فتبسطوا في وصفها وبيان أسباب تكونها ثم كيفية اصلاح قسم من أراضيها للاستفادة منها في الزراعة .

وان أحدث النظريات التي لاقت تأييد أكثر الباحثين ان هذه المنطقة - منطقة هور الحمار - كانت منذ العهد السومري القديم منطقة مستنقعات وأهوار تكثر فيها الجزر كما هي عليه اليوم بخلاف ما كان يعتقد من انها كانت مغورة بمياه البحر في تلك الازمان القديمة . وقد سبقت الإشارة الى ذلك ( انظر ما تقدم حول تكوين أرض دلتا الرافدين في الفقرة ٢ من الفصل الاول ) .

واذا تجولنا في قلب هور الحمار الحالي وهو على ما نعتقد اشبه بالمنطقة التي لجأ اليها السومريون القدامى ، بل لعله المنطقة نفسها التي نزحوا اليها ، نجد أن أرض هذه المنطقة منبسطة بحيث ان حدوث ارتفاع قليل في مستوى المياه في موسم الفيضان الاعتيادي يغمسر ما يقارب خمسمائة ألف مشسارة من أراضي الهسور . ويساوي مستوى قعر الهور معدل مستوى سطح البحر ويرتفع قرب القرنة الى ٢٥٠ مترا فوق سطح البحر . اما مستوى المياه فيه فيبلغ ٧٠ سنتمترا فوق معدل مستوى سطح البحر ، أي فوق مستوى قعر الهور في أوطأ حالاته في موسم الصيف . ويرتفع مستوى سطح المياه في موسم الفيضان الاعتيادي الى مترين فوق معدل سطح البحر وفي الفيضان العالي الى ٢٧٠ مترا وبذلك يكون التفاوت في مستويات المياه في هذه المنطقة بين معدل مستوى مياه الفيضان وأوطأ مستوى للمياه في الموسم الواطيء في الصيف حوالي ١٥٠ سنتمترا فقط ولم تتأثر منطقة هور الحمار بالمد والجزر الذي يحدث في سطح مياه البحر . يتضح مما تقدم ان مساحة اليابسة التي يمكن استثمارها في الاغراض الزراعية داخل منطقة الهور محدودة جدا وان ما يظهر منها فوق سطح الماء على هيئة جزر أو ما يظهر على سواحل الهور بعد انخفاض المياه في أعقاب الفيضان هو أثنى ما في المنطقة من ثروة زراعية وخاصة بعد ان تكون قد تركت المياه وراءها بعد انحسارها المادة الغرينية الدسمة على سطحها .

#### ٢٣- السومريون الأوائل وسكان الاهوار العاليسون في جنوبي العراق :

ولا نخال الاقوام الاولين الذين اختاروا منطقة أهوار جنوبي العراق ليتخذوا منها مستوطنا لهم قبل حوالي خمسة آلاف عام يختلفون كثيرا عن أحفادهم سكان الاهوار الحاليين في نمط حياتهم ، في أساليب معيشتهم ، في هياكلهم ، في تنقلهم بين غابات القصب ، في بناء أكواخهم القصية وسط المباء ، في صيدهم للأسماك والطيور ، في اعداد العلف لقطعان الجاموس . . . فقد هيات الطبيعة لكليهما في هذه المنطقة وسائل العيش ومقومات الحياة دون ان يحتاجوا الى عناء كبير في تدبير معاشهم اليومي . اما السومريون الاولون فقد أوجدت لهم الطبيعة في منطقة الاهوار واحراشها ملجأ آمنا يقيهم شر هجمات الوحوش وخطر الغزو البشري . وهذه المستنقعات ذات الأجم القصية الكثيفة هي بالنسبة لبني البشر أصلح مكان يختبئ فيه الانسان . ولا أدل على ذلك مما نشاهده في عصرنا الحاضر في حرب فيتنام وكيف استطاع الفيتناميون مقاومة احدث وأقوى معدات الحرب الحديثة في الاهوار والمستنقعات والأجم الكثيفة . اما من حيث الغذاء فقد وفرت لهم الطبيعة أنواع الطيور المائية والأسماك فيها بوفرة أيضا ، ففتحت أمامهم أوسع المجالات لممارسة مهنة القنص والصيد التي اشتهر بها الانسان منذ ظهور الجنس البشري على الأرض . والا هم من كل ذلك أن الطبيعة قد وفرت لهم في هذه المنطقة العناصر الأساسية للحياة وهي الماء العذب والشمس والتربة ، ماء وفير دائم سهل تناوله ، وشمس غامرة تبعث حرارة الحياة ، وتربة هشة لينة سهل نمو جذور النباتات فيها على رطوبة الأرض دون جهد .

كما ان الجزر والمستنقعات تكون مصدر عيش السكان وغذاء ماشيتهم حاليا ، كذلك كانت - أي الجزر والمستنقعات - عماد الحياة للسومريين الاوائل ، فالطبيعة قد هيات لهم فيها كل مقومات الحياة ، اذ لا يحتاج الفلاح الى غناء كبير في ممارسة زراعته في هذه الجزر ، فالكلأ ونباتات الهور وفيرة للماشية والارض خصبة وفيها من الرطوبة ما يكفي لانضاج الزروع دون سقي كالحبوب وغيرها من المحاصيل الصيفية . وأكثر الجزر تغمر بمياه الفيضان وفي هذا الموسم ينتقل السكان الى قراهم على سواحل الهور اوالى بساتينهم على ضفاف الافر ، ثم تنحسر المياه عنها تاركة مادة غرينية على سطحها فتجدد خصوبتها عاما بعد عام . اما مساكن السكان الحاليين فلا تختلف كثيرا عما كانت عليه مساكن الاقدمين وهي اكواخ من القصب والبردي اللذين يتوفران بكثرة في المستنقعات وينميان بصورة طبيعية ( انظر التصوير رقم ٧١ ) . وتشاهد هذه الاكواخ اليوم مكتظة في مدخل الهور بين نخيل التمر المزدهمة حيث تتخللها مبات السواقي المتشابكة وهي تنحدر من النهر متجهة نحو الهور فتؤلف طرق المواصلات المائية بين القرى ، كما انها تكون الطرق المائية المؤدية الى الهور والكشيف ، وكان وما زال القارب المسمى اليوم بالمشحوف من أهم وسائل النقل في هذه المنطقة البطائحية .

#### ٢٤- « المشحوف » في منطقة الاهوار :

« المشحوف » وجمعه « مشاحيف » قارب خفيف يستعمله سكان الاهوار في تنقلاتهم المائية وهو مستطيل الشكل وضيق بحيث لا يستطيع المرء ركوبه الا اذا مد رجله في قعره وهو يتسك بطرفيه لضمان التوازن خشبية انقلابه . وفي المشحوف حوض من الطين في مؤخرته يمد لشي السك فيه وهو أهم غذاء سكان هذه المناطق ، ويصنع المشحوف من الواح خشبية ومن قطع خشبية محفورة ومطوية من الخسارج بالزفت ( القير ) ، وتصنع أحسن المشاحيف في منطقة « الهور » الواقعة على هراترات يصنعها أناس متخصصون توارثوا هذه المهنة عن أجدادهم منذ أقدم العصور ، والمشاحيف تدار بأعمدة طويلة قوية من القصب تعرف بالمرادي ، ويفضل ملاحوها دائما طريقة دفعها بالمرادي على طريق الغرف الا اذا كانت المياه عميقة الغور ، لانها أسرع سيرا وأقل جهدا ، ويستطيع الملاح ان يقطع في مشحوفه في اليوم الواحد خمسين أو ستين ميلا بكل سهولة ، وفي الاهوار مسالك مائية يسلكها أهل الهور في تجوالهم بين جزيرة وأخرى وبين أجزاء الهور المختلفة لا يعرفها سواهم .

والمشحوف من أهم مقتنيات سكان الاهوار التي لا يسكن ان يستغني عنها أي بيت من بيوتهم ، ففي المشحوف ينتقل ساكن الهور لصيد الاسماك والطيور ، وفي المشحوف يحصلون من نبات القصب والبردي لنقل العلف لماشيته ، وفي المشحوف يحمل منتوجاته لبيعها في قرى عالمه البطائحي ، وفي المشحوف ينتقل بين قرية وأخرى وأحيانا من بيت لآخر في منطقة الجبايش ( انظر التصوير ٧٢ و ٧٣ ) .

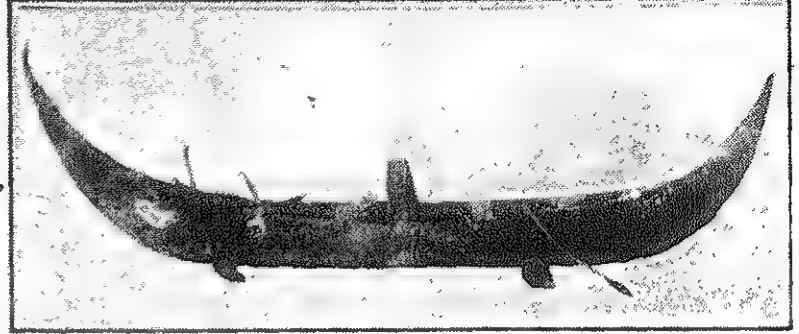
وهذا المشحوف نفسه كان يستعمله السومريون في مستوطنهم البطائحي في جنوب العراق ، اذ صوروه على نقوشهم التي ترجع الى أقدم الازمنة . ومن الدلائل الملموسة على ذلك

## المشحوف - قديماً وحديثاً

### The "Mashhoof" of the Marsh - Past and Present

الصورة رقم (٧٣)  
المشحوف قديماً

The old Sumerian "Mashhoof"



هذه صورة نموذج مصغر لزورق مصنوع من الفضة عثر عليه مع مجاذيفه في المقبرة الملكية في « اور » يرجع تاريخه الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وهو نسخة طبق الاصل تماماً للمشحوف الذي يستعمله سكان الأهوار في الوقت الحاضر في جنوبي العراق كما يتضح من صورته ادناه ، والنموذج معروض الآن في المتحف العراقي .

*This is a silver model of a rowing boat, identical to the "Mashhoof" in use to-day on the marshes of the lower Euphrates as shown below. The model was found in the Royal Cemetery of Ur from the tomb of the Sumerian king A-bar-gi dating from the third early dynastic period of Ur about the middle of the third millenium B.C. It is about two feet long, and has five seats, and amidships an arched support for the awning which would protect the passenger. The leaf bladed oars are still set in the thwarts. The model may be seen at the Iraqi Museum. ( See : " Excavations at Ur ". By Sir L. Woolley, 4th imp., 1963, Plate 9b facing p 80 )*



الصورة رقم (٧٢)  
المشحوف الحالي

The Present "Mashhoof"

وهذا هو « المشحوف » الذي يستعمله سكان الأهوار حالياً في تقلاتهم في منطقة الأهوار في جنوبي العراق وهو طبق الاصل تماماً لنموذج القارب السومري المثبت أعلاه والذي كان يستعمله السومريون قبل أكثر من خمسة آلاف عام في مستوطنهم البطائحي في جنوبي العراق .

*This is the type of boat used at present by the dwellers of the marshy region of southern Iraq and known by the name of "Mashhoof" which is an exact replica of the boat used by the Sumerians more than five thousand years ago in their marshy settlement in southern Iraq as shown on the model found at the Royal Cemetery of Ur.*

النموذج المصغر للمشحوف الذي عثر عليه مع مجاذيفه في المقبرة الملكية في أور وهو طبق الاصل للمشحوف الذي يستعمله سكان الاهوار في الوقت الحاضر . والنموذج هذا ، وهو يشاهد اليوم في المتحف العراقي ببغداد ، مصنوع من الفضة يبلغ طوله قدمين وفيه خمسة مقاعد وفي الوسط مسند مقوس لمظلة تحمي الراكب من حرارة الشمس أو المطر وقد عثر على المجاذيف في المواقع المعدة لها . ويعود هذا النموذج الى أوائل عصر السلالات ، أي حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد (انظر التصوير رقم ٧٣) وقد عثر مع هذا النموذج على نموذج آخر من النحاس وهو في حالة محطمة مفتتة .

٢٥- صور وخواطر تثيرها بيئة الاهوار في جنوبي العراق :

وقد تيسر لي وأنا في دور الشباب ان اجوب منطقة أهوار جنوبي العراق وبخاصة هبور الحمار ، فقضيت في الهور بين سكانه حقبة من الزمن مستطلعا محققا ، فكان تجوالنا فيه على ظهر المشحوف السومري ، ولما كان معظم أقسام الهور ضحلا قليل الغور فكنا نسير في أكثر الحالات مشيا على الاقدام خياضا وسط الماء هربا من تعب الجلوس الطويل في المشحوف دون حركة . وكان مبيتنا ليلا في الجزر بين الاغنام على العشب الاخضر ، فلم أجد طيلة مدة تجوالي في هور الحمار ما يضايقني ، فالنخ معتدل رطب غير موبوء(\*) والنسيم عليل والمياه صافية عذبة تتزاحم فيها أنواع الاسماك من كل صوب . فكان قوتنا طيلة مدة الرحلة على الاسماك التي لا يحتاج المرء الى أكثر من ان يمد يده فيمسك السمكة من تحت الماء ، وكثير منها كان يقبض ويحط في المشحوف فنختار الجيد منها لشيء في حفرة الطين في مؤخرة المشحوف ونطلق الصغار منها . وكان الحجب ( الرقي ) وهو طازج لذيذ منعش يوزع علينا على طول الطريق في الهور مجانا وذلك بطريق نقله في المشاحيف الى القرى في ساحل الهور ، اما المادة الوحيدة التي نقلناها معنا بكمية كبيرة فهي الخبز . والظاهر ان هذا الصنف من التغذية ملائم كل الملائمة لنمو جسم الانسان اذ زدت خلال المدة التي قضيتها متجولا في الاهوار على الرغم من عدم توفر وسائل الراحة التي تتمتع بها في بيوتنا . وكنت وأنا في وسط الهور الكشيف بين سكان هذا العالم المنعزل النائي ترتسم في مخيلتي صبور تلك الاقوام القديمة التي سكنت هذه المناطق لأول مرة في قديم الزمان وهم لم يزالوا محتفظين بسمة حياتهم البطائية الانعزالية الخاصة بهم حتى يومنا هذا رغم مرور آلاف السنين على ممارستهم هذا النمط من الحياة ، فيمر أمامي الشريط الذي يعكس لنا صورة حقيقة لنمط حياة اولئك الناس الاوائل الذين اتخذوا من هذه المنطقة مستوطنا لهم بعد نزوحهم من وطنهم الاصلي ( ان لم يكونوا هم سكان الاهوار الاصليين ) فتركوا بقايا مستوطناتهم القديمة في باطن التلوي الاثرية المنبثة في وسط الهور وهي التي يدور حولها اليسوم أغرب القصص والاساطير . فالطبيعة التي هيأت لسكان الاهوار القدماء وسائل سكنهم وعيشتهم في قلب هذه المنطقة البطائية والتي هيأت لسكان الاهوار الحاليين سبل العيش فيها ، هي هي نفسها لم تتغير برغم انصرام ما يربو على خمسة آلاف عام

(\*) هناك مناطق موبوءة بالبعوض وهذه تقع في وسط المنطقة التي تربي فيها قطعان الجاموس بكثرة وهي تسكن اهل الجبايش وقد قضيت فيها ليالي عسيرة لاتطاق .

على ظهور السومريين في هذه المنطقة . ومن يدري لعل التلاح الحالي الذي احتضنته هذه البيئة واحتضنها ان هو الا أحد أحفاد اولئك الناس الذين عاشوا في هذا المحيط البرمائي النائي المنعزل قبل أكثر من خمسة آلاف عام . ( انظر التصويرين ٧٤ و ٧٥ ) .



مظر أمباري لبحنة الامار  
A Typical Scene in the Marshlands  
الصورة رقم (٧٤)



اجمة قصبية تكتنفها ازهار مائية  
Reeds and Water Lilies of the Marshes  
الصورة رقم (٧٥)

## ٢٦- ملائمة منطقة جنوبي العراق لتطور الحضارة السومرية :

لقد كان عامل الطبيعة اداة لجعل سهول جنوبي العراق مطمح الاقنار فاغرت الانسان على استكشافها واستيطانها لخصوبة أرضها الرسوية المستوية وتوفر مياه الري السحيية فيها على طول السنة ، بالاضافة الى مناخها المشبع بالحرارة ، فأصبحت ميسدا فسيحا لجهود اناس تلك الادوار القديمة في تطوير نمط حياتهم وانتقالهم الى طسور جديد تتمثل فيه وسائل التمدن والعمران ، وبخاصة ممارسة الاتناج الذي يفوق الاكتفاء الذاتي . وهكذا راح الانسان القديم في هذه البقعة الخصبة يشق طريقه وينمي طساقاته وخبراته مكتسبا مهارات جديدة في استثمار هذه الارض الطيبة ، فظهرت على اثر ذلك المبدن والقرى على محاذاة مجرى نهر الفرات القديم وبرزت في الوقت نفسه فكرة الدولة والحكم والنظام والدين والملوكية ، فصارت تعرف هذه المدن بدويلات مدائن سومر واكد ( انظر التصويرين ٧٦ و ٧٧ ) .

## ٢٧- مراحل التطور الزراعي عند السومريين -الطور الثاني :

وقد بدأت المرحلة الثانية من حياة السومريين الزراعية عندما كثر عدد السكان والماشية بحيث لم تصد تكفي أراضي الجزر الصغيرة لاعاشتهم فساقتهم الحاجة وهي ام الاختراع والابداع ، الى احياء اراضي جديدة من منطقة المستنقعات وذلك بتسويرها بسدود ترابية وتجفيفها ثم انبات الزروع فيها واسقاها سيجا بأحداث فتحات في أسوارها على قدر الحاجة للارواء . ولما كان الماء قليل الغور فالضغط على هذه السدود لم يكن من الشدة بحيث يحتاج الى أعمال ضخمة . وهذه الطريقة ، أي طريقة تجفيف المستنقعات واستغلال أرضها في الزراعة ، بقيت متبعة في منطقة الاهوار في العصور التي تلت الى الوقت الحاضر . فقد ورد في لوح يعود الى عصر سلالة اور الثالثة ( حوالي ٢١٠٠ قبل الميلاد ) ما يدل على أن طريقة تجفيف الاراضي في مناطق الاهوار والمستنقعات واستصلاحها لاستغلالها في الزراعة على الري السحيي الدائم كانت تستعمل في العهد السومري المتأخر ، ففي هذا اللوح ما يشير الى ان « اورنمو » أول ملوك سلالة اور الثالثة ( ٢٠٥١ - ٢٠٣٤ ق.م ) استصلح « پشبدوا » ( Peshadua ) وحوطها بأسوار لحمايتها من الفيضان تمتد مسافة ٤٤٧٦٠ مترا ، ويضيف انه سجل لنفسه في عمله هذا مفخرة خالدة لمنطقة اور . ويقبول خبراء التربة ان المزارعين القدامى الذين كانوا يمارسون الاعمال الزراعية في هذه المنطقة منذ الالف الخامسة قبل الميلاد لم يجابهوا أية مشاكل بسبب الملححية (Salinity) لان الطبيعة كانت تضمن لهم استمرار خصوبة التربة فضلا عن توفر مياه الري بصورة مستمرة (٣٢) . ويؤكد ويلكوكس في هذا الصدد ان السومريين اتخذوا أقدم موطن لهم داخل السهل الذي تصل اليه المياه طول أيام السنة ، فاقاموا هنسالك من السدود المحكمة ما يحميهم من خطر الفيضانات التي لا يتجاوز ارتفاع الماء فيها ثلاثة أقدام عن مستوى سطح الارض . وقصد شييدوا مدنهم ومعابدهم في الاماكن التي يتقون فيها شر الوحوش الضارية وعدوان عرب الصحراء . وكانوا يتعاطون مهنة الزراعة ويروون أراضيهم بأحداث فتحات في تلك السدود حتى تصل المياه السحيية اليها (٣٣) . ( انظر التصوير رقم ٧٨ ) .

ونعتقد ان هؤلاء السومريين كانوا قصد بدأوا بتجفيف المستنقعات والبطائح التي كانت قرب رأس الخليج العربي قبل سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وأخيرا امتدت قرى أكواخهم المبنية من

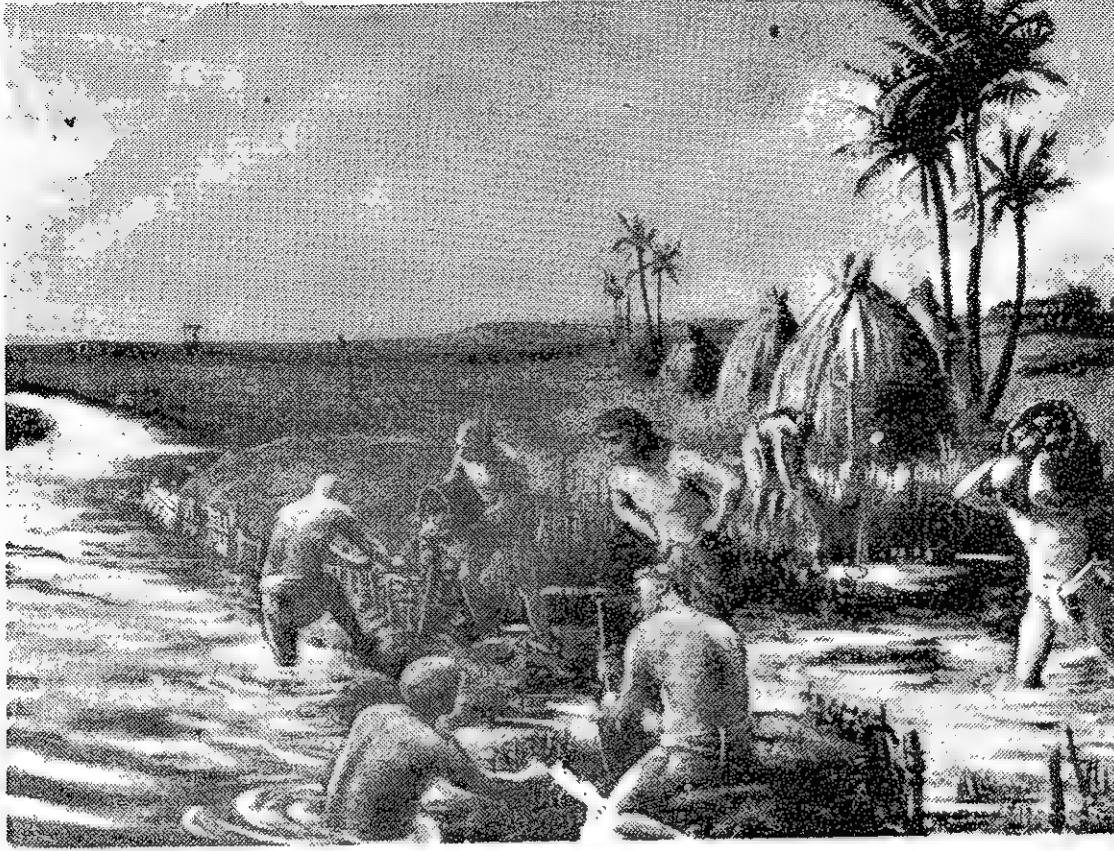




أحد سكان الأهوار إلى جانب مشحوفه  
*A Marsh Dweller and his "Mashhoof"*  
 الصورة رقم (٧٦)



أحد جزر الأهوار الصناعية في منطقة الأهوار  
*An Island Home in the Marshes*  
 الصورة رقم (٧٧)



*From a painting in Hutchinson's "Story of the Nations"*

الصورة رقم (٧٨)

### اقامة السومريين السداد في منطقة الاهوار

يمثل هذا اللوح منظراً لسكان الاهوار القدامى ( السومريين ) وهم ينشئون سداً من القصب والتراب عبر الاهوار لاستصلاح أراضي الأهوار بتجفيفها واستخدامها في الأغراض الزراعية . وكان السومريون ينشئون السداد لدرء أخطار الفيضان ايضاً .

#### The Sumerians Building a Dam Across the Marshes

The earliest settlers of the marshes (the Sumerians) are here shown building a dam of reed and earth across the marshes to reclaim lands from the marshes for the purposes of agriculture. They also piled up earthen embankments as a protection against flood.

اللبن ، وتعلم السومريون كيف يحتفظون بمياه الري وذلك بعمل سدود لها وعرفوا أيضا توزيع المياه في قنوات وحصاد محصولات الحبوب أي الغلبة وكانوا في تلك الايام يزرعون الشعير والحنطة ويقتنون الماشية وخصوصا الضبان والماعز والبقر ، وقامت هذه الماشية بدور كبير في قصة حياتهم حتى جعلوا احدى آلهاتهم على صورة بقرة واعتقدوها حامية لقطعان ماشيتهم (٢٤) .

ومما يذكر ان الامويين قاموا بمثل هذه الاعمال الاستصلاحية في منطقة الاهوار في جنوبي العراق ، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان وليا عبد الله بن دراج مولاه خراج العسراق واستخرج له من أرض البطائح ( الاهوار ) ما بلغت غلته خمسة آلاف الف درهم (٢٥) .

ومن الاعمال الحديثة التي تذكرنا بمشاريع السومريين الاستصلاحية التي أقاموها في أهوار هذه المنطقة لاستغلالها زراعيًا المشروع الجبار الذي انجزه ناصر باشا آل سعدون متصرف الناصرية حوالي عام ١٨٧٠ والمعروف بـ « سدة ناصر باشا » وهو عبارة عن سد ترابي واق من الفيضان أقيم على طول الضفة اليمنى لمجرى ذئاب نهر الفرات بين سوق الشيوخ على نهر الفرات والقرنة على نهر دجلة ، وذلك بغية تجفيف الأراضي البطائحية الشاسعة من هور الحمار الممتدة جنوب شرقي السد لصد مياه الفيضان عنها واستغلالها في الأغراض الزراعية . وفي الفترة التي بقي فيها السد قائما والتي لم تتجاوز العشرة أعوام كانت تلك المنطقة المستصلحة تزرع حنطة وشعيراء في الشتاء وذرّة وارزا في الصيف . وبعد ان هدم ذلك السد بنتيجة النزاعات العشائرية التي نشبت في تلك المنطقة لم تجر محاولة ما لصيافته من الفرق فصار الماء يغمر الأراضي بصورة متواصلة ونبت على سطحها البردي والقصب الكثيف بمساحات شاسعة (٢٦) . وهذه هي نفس الطريقة التي كان قد اتبعها السومريون في المرحلة الثانية من تشيبتاتهم الزراعية مع الفارق ان تشيبت ناصر باشا كان بمقياس أوسع .

#### ٢٨- مراحل التطور الزراعي عند السومريين - الطور الثالث :

اما المرحلة الثالثة من تطور الزراعة السومرية فهي أنضج وأتج مرحلة من مراحل التطور الزراعي في أهوار جنوبي العراق ، حيث كانت لها نتائج باهرة غيرت مجرى تاريخ الحضارة البشرية ، اذ انبثقت أقدم مدنية عرفها التاريخ ، وتتميز هذه المرحلة من حياة السومريين بتغير جوهري في الاسلوب الزراعي ، وهو الانتقال من طريقة الزراعة البطائحية المقتصرة على تجفيف الاهوار واستصلاح أراضيها وارواء هذه الأراضي المستصلحة من مياه الاهوار مباشرة بفتح ثغرات في السدود المحيطة بها الى طريقة الزراعة في السهول التي تعتمد على شق جداول طويلة من نهر الفرات وايصال المياه الى الأراضي الزراعية ، وكان هذا الانتقال نقطة تحول أساسية في تطور الحضارة السومرية وبداية عهد جديد يقوم على العمل الجماعي التعاوني بين الاكديين والسومريين الذي أوجب قيام نظام وحكم يشرفان على شؤون هذه الجماعات في اندفاعهم الجديد نحو تحقيق انتاج جماعي يفوق الاكتفاء الذاتي ، وقد سبق ان أشرنا الى ان الحضارة الحقيقية في العراق بدأت عندما بدأ المستوطنون الاوائل على ضفاف الفرات الاسفل يكتشفون سبل ايصال المساء الى الارض ومن تجاربهم في تنظيم الري وانشاء السدود واليزول والخزانات

كان منشأ علم الري في التاريخ ، كما سبقت الإشارة الى صلة الزراعة المرتكزة على الري بالحضارة . وهكذا نرى علم الري عند السومريين جنباً الى جنب مع الحضارة فالتقوا من الاكديين الساميين هندسة الري وتكنيك سدالبثوق التي يحدثها الفيضان في السدود . وقد مارسوا الزراعة بخبرة ومهارة فكانت أهم زراعتهم الحنطة والشعير ، وقد تعلموا كيف يخزنون الغلال ويستغلونها في تنمية اقتصادياتهم وتربية مواشيهم ، وكان لديهم الكثير من البقر والضأن والمعزى والحمير والخنازير والجاموس ، وكان يستخدم البقر لجر سكك الفلاحة والحمير لجر المركبات والعجلات ، وكان التمر والشعير قوام غذاء السكان .

#### ٢٩ دور الاكديين الساميين في تطوير الحضارة السومرية :

نحن نعلم ان الاكديين الساميين كانوا قد استقروا بعد نزوحهم من جزيرة العرب في البقعة الشمالية من وادي الرافدين ثم انحدروا جنوباً حتى بلغوا حدود مدينة كيش ، فأسسوا مستوطناتهم على طول ضفاف الفرات الى الشمال من منطقة السومريين مباشرة دون ان يلقوا اية معارضة من السكان المحليين وتعاونوا مع السومريين وتصاهروا معهم واختلطوا بهم في جميع المجالات والميادين ، واختاروا هناك أخصب بقعة من وادي الرافدين ليمارسوا عليها مزارعتهم التي تعتمد على مشاريع الري . وهذه البقعة التي اختاروها لم تكن أخصب بقعة في وادي الرافدين في ذلك الوقت حسب بل هي الآن لا تزال كما كانت عليه من قبل ، وهي تقع في قلب العراق النابض بمشاريع الري الحيوية ، وهي تشكل اليوم منظومة جداول الصقلاوية وابي غريب واليوسفية واللطفية والاسكندرية والمسيب معتمدين في حياتهم المعاشية على ممارسة الزراعة المرتكزة على الري .

وتمتاز هذه البقعة التي اختارها الاكديون لمستوطناتهم في جنوبي العراق بوضعها الطبوغرافي الملائم ، فنهر الفرات عندما يدخل هذه المنطقة الواقعة بين النهرين ، دجلة والفرات ، يقترب من نهر دجلة مقابل مدينة بغداد الحالية بحيث يلوح للمشاهد وكأنه ينحدر صوب نهر دجلة ليصب فيه ، اذ يصبح على مسافة حوالي عشرين ميلاً منه فقط في نقطة الاقتراب . وهنا يرتفع عن نهر دجلة بحوالي عشرة أمتار ، أي ان الاراضي في هذا القطاع تنحدر من نهر الفرات نازلة جنوب نهر دجلة بمعدل ١٥٥ سنتيمتراً في الكيلومتر الواحد . ثم يتعد نهر دجلة في سيره في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى يصل الى جوار مدينة الناصرية الحالية . فنجده هنا وقد أصبح أوطاً من نهر دجلة بحوالي عشرة أمتار أيضاً بعد ان كان أعلى منه مقابل مدينة بغداد بالارتفاع نفسه . وكان هذا الوضع يساعد على فتح جداول من الفرات ومن دجلة لارواء الاراضي سيحاً من نهري الفرات ودجلة في الوقت نفسه .

وأوضح دليل على ان السومريين والاكديين كانوا على صفاء وود وتعاون بينهما وانهمسا يشعرا شعوراً متبادلاً بأنهما شعب واحد في الخير والشر ، ان اول جدول سجله تاريخ السومريين هو جدول « ايتورونكال » (Iturungal) الذي انشأه السومريون باشراف الاكديين الفني لان السومريين لم تكن لديهم الخبرة الفنية في هذا المجال بعد ان عاشوا مدة من الزمن في منطقة الاهوار . ويبدأ مأخذ هذا الجدول من الجانب الايسر لنهر الفرات القديم ( انظر ما يلي حول مجرى نهر الفرات القديم في الفقرة ٣١ من هذا الفصل ) أي من المنطقة الاكديّة ثم يمتد

جنوبا مسافة حوالي ١٣٠ كيلومترا فيخترق أولأرض أكد ثم أرض سومر ليروى عددا من أهم المدن الاكدية والسومرية مثل ادب واومة ولجش ولارسه . وكان الجدول في الذئائب يتشعر فرعين فرع غربي يدعى « فورونكال » يروى مدينة « أومة » وفرع شرقي يدعى « يد - نينة - جي - نا » يسقي مدينة لجش المشهورة عبرشط الغراف الحالي الذي لم يكن موجودا آنذاك .

وانتي أعتقد بان جدول « اوتورونكال » هذا كان أول جدول مشترك بين الأكديين والسومريين يروي أراضيها فيخترق بلاد أكدوبلاد سومر في الوقت نفسه ، ولهذا العمل المشترك بين السومريين والأكديين دلالة مهمة في تاريخ تعاون الشعبين السومري والأكدي ، فهو يعد الخطوة العملية الاولى في سبيل وحدة البلاد . كما أنه يوحى بتفوق الأكديين على السومريين في جميع مظاهر الحياة في البلاد .

ويدعى أورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق م) انه هو الذي أنشأ هذا الجدول وجعل حوضه يحاكي مياه البحر بسعته ويقول أيضا انه أعد مبال خاصة لصرف المياه الى نهر الفرات ( انظر ما تقدم عن أعمال أورنمو وعهده في الفقرة ١١ من هذا الفصل ) . وهذا ما يدل على ان السومريين والأكديين كانوا يمارسون أعمال اليزل للتخلص من ملوحة الارض . غير انني اعتقد ان هذا الجدول كان موجودا في عهد الاكديين الذين حكموا البلاد حوالي ٢٠٠ سنة قبل ظهور أورنمو على المسرح (٢٣٧٠ - ٢١٥٩ ق م) . وعلى كل فاذا صح اعتبار أورنمو هو الذي انشأ هذا الجدول فمعنى هذا انه انشأ بعد حكم الأكديين أي في عهد الانبعثات السومري (٢٢٨٠ - ٢٠٠٣ ق م) الذي يمثل وحدة الحضارة السامية السومرية واورنمو قام بتطهيره وتحسينه أو توسيعه وأنشأ أعمال اليزل للتخلص من ملوحة الارض . ( انظر ما يلي حول هذا الجدول في الفقرة ٣١ من هذا الفصل ) . وهكذا اتقن السومريون أعمال الري ومارسوها مع الاكديين لتوسيع أراضيهم الزراعية والحصول على غلال وافرة ، كما تعلموا كيف يخزنون فائض الغلة والمتاجرة فيها . فمارسوا الاعمال الزراعية التي تعتمد على الري بخبرة ومهارة واتقنوا تكتيك سد البشوق التي يحدثها الفيضان في السدود ، وكانت أهم زراعتهم الحنطة والشعير وقد تعلموا كيف يحتفظون بالغلة ويستغلونها في جميع المواسم لتنمية اقتصادياتهم وتربية مواشهم فكان لديهم الكثير من البقر والجاموس والضأن والمعزى والحمير والخنازير وبعض الجاموس في الاهوار ، وكان يستخدم البقر لجر سكك الفلاحة والحمير لجر المركبات والعجلات وكان التمر والشعير قوام غذاء السكان ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وقد اتقن السومريون انشاء السدود باستعمال القصص أو البردي مع التراب لدرء أخطار الفيضان كما اتقنوا انشاء المسينات بالآجر والقار لصيانة الضفاف من التآكل والانجراف بتيار الماء . وتشير تسجيلاتهم الى انهم كانوا يكسون قصور جداولهم بالحجر والحصى لمنع التآكل فيها . وكانت صيانة الأنهر الرئيسة وازالة رواسب الغرين من الجداول من الأمور الملزم بها من يستفيد من تلك الأنهر والجداول . وكان يجري ذلك بإشراف الحكومة كما هو متبع في هذا العصر . وهناك تسجيلات عديدة تحدد الاعمال المطلوب انجازها من قبل الزراع بذكر أعماق الاتربة المطلوب رفعها من قصور الجداول . وكان أي مشروع يقام به كفتح

جدول أو انشاء سد يعد من الاحداث الصامة المهمة ، وكانت أخبار هذه المشاريع تشغل جانبا كبيرا من سجلات الملوك الرسمية من أقدم العصور باعتدادها مستوحاة من الآلهة .

وهكذا فقد خرج السومريون الاوائل من عزلتهم في منطقة الأهوار واتصلوا بالساميين فقد انبثق نور من الحضارة المزدوجة نتج عن احتكاك السومريين بالساميين في أواسط الفرات وفي جنوبه وفي المدائن الأكديّة المجاورة لبلاد سومر من الشمال مثل كيش وسييار وكوثي وغيرها من المدائن السامية وانطلق السومريون في السهول الواسعة الممتدة على ضفتي المجرى الاسفل القديم لنهر الفرات مسافة أكثر من أربعمئة كيلومتر لتوطيد مستعمراتهم الزراعية المعتمدة على الري السيحي، فائقنوا في هذه المرحلة فن انشاء الجداول وتنظيم الري ، كما أنهم اتقنوا انشاء السدود والنواظم بالآجر والقار مقبسين ما أمكنهم اقتباسه من خبرة الساميين في ذلك . ففي هذه المرحلة بلغت الحضارة السومرية ، وهي حصيلة التعايش والاحتكاك المذكورين ، اوج رقيها وتقدمها في مختلف النشاطات في الري والزراعة والصناعة والتجارة والسياسة . وتمثل هذه المرحلة نقطة تحول مهمة في تاريخ الشعب السومري ، وهي خروج جماعة من السومريين الاوائل عن عزلتهم في مستوطناتهم في منطقة الأهوار والانطلاق في سهول الفرات شمالا لممارسة نشاطهم الحضاري فيه منتقلين من حياة القرية البطائية الى حياة المدينة المعتمدة على ثروة الزراعة على الري السيحي . ومن هنا بدأ الاحتكاك المباشر بالمدائن الأكديّة السامية ذلك الاحتكاك الذي أدى الى اتحاد الثقافتين السومرية والأكديّة ، والمعروف ان المدائن السامية واغلة في القدم فبعضها وجد قبل الطوفان كما كانت كيش أولى المدائن التي انشئت بعد الطوفان وقد سبقت الإشارة الى ذلك .

وفي اعتقادنا ان هذا الاتصال بين السومريين والساميين قد تم بشكل واضح في أواخر العصر الحجري المعدني الذي يسكن تحديده بالسنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد أي في الطور الثالث من حياة السومريين الزراعية ويذهب الدكتور مورتكات الى ان مركز القيادة للشرق الأدنى في التطور الحضاري للمجتمع الزراعي انتقل في أوائل العصر من الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وبخاصة من منطقة تل حلف ورافق ذلك زحف أهل الجنوب لأول مرة حتى صاروا يجاورون أهل الشمال في كل خطوة يخطونها ( انظر ما تقدم عن العصر الحجري المعدني في الفقرة ٧ من الفصل الثالث ) .

### ٣٠- التحريات الأثرية لانهر ومدن وقرى سومرواكسد :

ان أهم التحريات الأثرية لانهر وجداول بلاد سومر والمدن والقرى التي ازدهرت على ضفافها هي التحريات التي قام بها معهد الدراسات الشرقية للمدارس الاميريكية في بغداد بالاشتراك مع معهد جامعة شيكاغو للدراسات الشرقية في سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لمنطقة سومر التي تمتد بين مدينة « نيبور » ومدينة « اور » ونظما خارطة لانهر والجداول القديمة في هذا القسم ثبتت فيها مواقع المدن والقرى القديمة والتلول الأثرية المنتشرة هناك على طول ضفاف نهر الفرات القديم من الجانبين مع ذكر أسمائها القديمة وأسمائها المعروفة بها محليا . وتعد هذه الدراسة من أهم الدراسات الاركيولوجية التي اجريت في منطقة سومر من حيث تتبع آثار الانهر والجداول

القديمة وتثبيت مواقع التلول الاثرية وتشخيص أسمائها الأصلية . وقد بلغ عدد المواقع الاثرية التي ثبتت على الخارطة أكثر من أربعين موقعاً منها ١٦ مدينة سومرية شخصت بأسمائها الأصلية (٣٧) .

وفي سنة ١٩٥٨ نشر الخبير الآثاري روبرت آدمز نتائج المسح الآثاري الذي أجرته بعثة خاصة برئاسته للقسم الشمالي من الدلتا امتداداً للمسح الذي أجرى للقسم الجنوبي من الدلتا ، ويمتد القسم الشمالي هذا من « نيبور » حتى مدينة « سيار » ويمتد معه مجرى الفرات الرئيسي وفروعه من الجانبين . وبعبارة أصبح يضم هذا القسم المدن الأكديّة السامية أي بلاد « أكد » وبرزها مدينتا « كيش » و « سيار » ، وقد نظمت هذه البعثة ست خارطات للمنطقة كل منها يمثل دوراً تاريخياً خاصاً أقدمها الخارطة التي تشتمل على آثار مستوطنات دور العبيد ودور عصر الكتابة (Protoliterate) وهي الحقبة الممتدة من أواخر الألف الخامسة قبل الميلاد الى نهاية الألف الرابعة . وقد أمكن تثبيت مواقع عدد غير قليل من التلول الاثرية في هذا القسم ، فمن مجموع ٩٦ موقعا أثرياً يرجع تاريخها الى عصور متتالية تمتد من آخر الألف الخامسة قبل الميلاد الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد لم يتسن تشخيص أسمائها أكثر من اثني عشر موقعا (٣٨) ، وقد نشر مستر آدمز مقالا في مجلة « اركيولوجي » ، المجلد العاشر ، ١٩٥٧ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣ بعنوان مستوطنات أكد القديمة (٣٩) .

ومن احدث الدراسات أيضا المقال النفيس الذي وضعه الخبير الآثاري الاميريكي جاكوبسون عن نظام الري القديم في سومر عنوانه « مياها أور » (٤٠) ونشر معه خارطة موضحة ويعد هذا المقال من أحسن ما كتب في هذا الموضوع وقد نشر الاستاذ جاكوبسون أيضا مقالا بالفرنسية عنوانه « جغرافية وطرق مواصلات بلاد سومر » في مجلة الاشوريات ، م ٥٢ ، ١٩٥٨ ، (ص ١٢٧ - ١٣٩) (٤١) .

وفي مقال نشره « جورج رو » في مجلة سومر سنة ١٩٦٠ معلومات عن اكتشاف آثار حضارة قديمة في منطقة هور الحمار في جنوب العراق الممتدة بين تل اللحم جنوب أور وبين البصرة تعود الى العهد البابلي (٤٢) . وفي المنطقة جنوب هور الحمار ما بين هور الحمار ورأس الخليج على طول الضفة اليمنى من شط العرب الحالي بين البصرة والسيبة كشف الدكتور هاورد نيلسون عن شبكة كثيفة من جداول الري القديمة ونشر تفاصيل ذلك في مجلة سومر سنة ١٩٦٢ (٤٣) . ( انظر المرسوم رقم ٢ من الفصل الرابع ) .

٣١- مجرى نهر الفرات القديم في ضوء التحريات الاثرية :

يتضح من التحريات الاركيولوجية المتقدمة ان مجرى نهر الفرات الأسفل القديم كان يسير في غير مجراه الحالي في العصر السامي السومري القديم اذ كان ينحرف من مجراه الحالي في نقطة تقع في جوار صدر اليوسفية الحالي الواقع على بعد ٥٨ كيلومترا من جنوب مدينة الفلوجة حيث يبلغ ارتفاع ضفاف الفرات ٣٦ مترا فوق سطح البحر فيجرى بين نهر دجلة ومجرى شط الحلة الحالي في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة حوالي خمسمائة كيلومتر حتى ينتهي في جوار بلدة الناصرية الحالية عند مدينتي « أور » و « أريدو » القديمتين حيث تصبح الاراضي عندهما على ارتفاع حوالي ٦ أمتار فوق سطح البحر .

وكانت تقع على ضفاف مجرى الفرات القديم عدة مدن وقرى تبدأ من الشمال المدائن السامية وأهمها مدائن «سيبار» (أبو حبة) (\*) و «كوثي» (تل ابراهيم) والعقير و «جمدة نصر» ثم تليها جنوبا بقايا المسدن والقرى السومرية وهي: (تل أبو صلايخ) و «نيبور» (نقر) ومدينة «سيلوشدكان» (درهم) و (تل دليهم) و بلدة «كيسورا» (أبو حطب) و «شروباك» (تل فاره) و (تل الضبايات) و (تل جارين) و «اوروك» (الوركاء) و (ايشان خير) و (تل الصخيري) و «أور» (تل المقير) • وفي جوار مدينة «أور» في الموقع المسمى (دكدكة) تقع بقايا سد قديم كان قد انشئ في هذا الموقع لحجز المياه وتوزيعها على الفروع المتشعبة من ذنائب الفرات منها الفرع الذي يتجه الى «أور» ينتهي عند مدينة كيسيسكا (تل اللحم) • وكان يعترف فرع «أور» بـ «ايد - نون» (Id-Nun) وفرع «أريدو» (بـ «أريدوك» (Eridug) ويعتقد ان هذا السد كان قد انشئ في حوالي أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد • وكان يعرف مجرى الفرات «پوراتم» (Purattum) •

اما الفروع الرئيسة التي كانت تتفرع من جانبي المجرى الرئيسي والتي أمكن تشخيص أسمائها الاصلية فأهم فروع الجانب الايسر الفرع المسمى «زوبي» (Zubi) ، فيأخذ هذا الفرع في نقطة تقع شمال مدينة «سيبار» بقليل ويمتد باتجاه الجنوب الشرقي مارا بجوار (تل الدير) «مدينة أكد؟» ، ثم يأخذ شكل شبه دائرة في امتداده جنوبا حتى يصل الى نقطة شرقي تل جمدة نصر ، ومن ثم يستمر في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى يعود فينتهي الى مجرى نهر الفرات الرئيسي في نقطة تقع شمال (تل أبو صلايخ) ، ويولي الفرع «زوبي» فرع آخر كان يأخذ من الضفة اليسرى للنهر أيضا من عند مدينة «سيبار» فيجري هذا الفرع في الاتجاه الجنوبي الشرقي والجنوبي فيمر من شرق «كوثا» ثم ينتهي الى الفرات قرب جمدة نصر ، ويرى جاكوبسون احتمال كون هذا الفرع النهر الذي اطلق عليه اسم «أير - ني - نا» (Irninna) • وهناك فرع ثالث يسمى «أي - تو - رونكال» (Iturungal) كان يأخذ من الضفة اليسرى للنهر أيضا وذلك في نقطة تقع في جوار (تل جمدة نصر) فيجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى يصل الى مدينة «أدب» ثم يمر بـ (تل جدر) ومن ثم بمدينة «أوما» وبتل (ام العقارب) وينتهي عند (تل المدينة) ، وكان يعترف في قسمه الأخير باسم (فانا - كوكال) (Nanna-Gu-Gal) • ويدعى «أورنمو» ملك «أور» مؤسس سلالة «أور» الثالثة (٢٠٥١ - ٢٠٣٤ ق.م) انه هو الذي حفر هذا النهر وجعل حوضه يحاكي مياه البحر بسعته ، ويقول أيضا انه أعد مابزل خاصة ليؤل فضلات مياه النهر الى الفرات • والمقصود هنا هو ان «أورنمو» قام بتطهير الجدول لان الجدول كان قد حفر قبل مئات من السنين •

وكان يتفرع من نهر «اي - تو - رونكال» فرعان ، فرع غربي ، فيمر الاول بمدينة «زبالام» القديمة (Zabalam) المعروفة اطلالها محليا باسم (أيزيخ) وبعد ان يمر بتلول (صاحب الزمان) و (ام ربيعة) و (حمره) يقطع نهر الفرات الحالي مارا بمدينة «لكاش» (تلو) ثم

(\*) ان الاسماء بين قوسين ( ) تشير الى الاسماء المحلية للتلول الاثرية اما الاسماء بين الاشارتين « » فتشير الى الاسماء القديمة التي شخصت مواقعها •



بمدينة « اوروكو » ( الهبا ) وينتهي عند مدينة « فينا » ( سورغول ) . وكان يعرف هذا الفرع باسم « أيد - نينه - جي - نا » ، ويدعى الملك اوروكاجينا أحد ملوك « لكاش » ( ٢٤٠٠ ق م ) انه قام بتطهير هذا النهر واعد ميازل خاصة ليزل مياهه الى البحر الواسع . اما الفرع الغربي فكان يأخذ من الضفة اليمنى لنهر « اي - تو - وونكال » من جوار « زبالام » ( ايزيخ ) فيجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، ثم ينشط شطرين الشطر الشرقي ينتهي عند تل المدينة والشطر الغربي المسمى « نهر فورونكال » يمر بمدينة « بادتييرا » ( المدائن ) وتل ( علة ) ، ومن ثم بعد ان يخترق مدينة « لارسا » ( سنكره ) يصب في الضفة اليسرى لنهر الفرات الرئيس جنوب مدينة « أوروك » . وتدل المدونات السومرية على ان جدول « ايتورونكال » كان منظما تنظيما فنيا ويمتد أكثر من مائة وثلاثين كيلومترا وقد انشئت عليه سدود غاطسة (Weirs) ونواظم يمكن قياس حجمها من عدد الآجر المفخور وكمية القار الذي كان يستعمل بكثرة في هذه المنشآت . اما الفروع التي كانت تتفرع من الضفة اليمنى لمجرى الفرات فأهمها الفرع المسمى « اراहतو » ( Arahtu ) ، فيبدأ هذا الفرع من قرب مدينة « سيار » ويسير جنوبا حتى يصل الى كيش ، ثم يستمر سائرا في نفس الاتجاه مارا بمدينة « مراد » ( ونة السعدون ) . وكان يعرف القسم الاخير من هذا الفرع باسم « مي - اين - لي - لا » ( Me-En-li-La ) ويعتقد مستر آدمز ان هذا الفرع كان يمر بمدينة « قزالو » القديمة (Kazallu) قبل ان يصل الى مدينة « مراد » . وقد أصبح فرع « اراहतو » في العهد البابلي الفرع الرئيسي المؤدي الى مدينة بابل . وهناك اثر فرع رئيسي آخر يمتد في الجانب الغربي من مجرى الفرات يسمى « ايسينيتيم » (Issinitum) فالقسم الظاهر منه يبدأ من شمال مدينة « نيور » ويمر بـ ( تل بدره ) و ( تل دنغوز ) ثم ينتهي الى بلدة « ايسن » ( تل بحريات ) .

يتضح مما تقدم ان الفروع الرئيسية التي كانت تتفرع من مجرى الفرات القديم في جنوب العراق كانت صدورها تقع في المنطقة الأكسدية السامية ، ذلك ما يدل على ارتباط مصير المدن السومرية الجنوبية بمشئته حكام أكد السامية الذين يسيطرون على مصدر حياة تلك المدن وازدهارها .

بقايا المدن والقرى في منطقتي أكد وسومر

وفيما يلي أسماء المدن والقرى التي تم تشخيص أسمائها الاصلية والتلول الاثرية التي لم تعرف أسماء المدن القديمة التي تمثلها حتى الآن .

- ١ - مدينة « سيار » ( ابو حبة ) الجانب الايسر .
- ٢ - مدينة « كوئي » ( تل ابراهيم ) الجانب الايسر .
- ٣ - ( تل جمدة نصر ) الجانب الايسر .
- ٤ - ( تل أبو صلايخ ) .
- ٥ - مدينة « نيور » ( نهر ) .
- ٦ - مدينة « سيلوشداكان » (Sillushdagam) - ( تل درهم ) .
- ٧ - ( تل دليهم ) .
- ٨ - بلدة « كيسورا » (Kisurra) - ( تل أبو حطب ) .

- ٩ - مدينة « شوروباك » / تل فارة ) •
  - ١٠ - ( تل الضباقيات ) •
  - ١١ - ( تل جارين ) •
  - ١٢ - مدينة « اورك » ( الوركاء ) •
  - ١٣ - ( ايشان خير ) •
  - ١٤ - ( تلول صخير ) •
  - ١٥ - دكدكه ( نهاية الفرات القديم ) •
  - ١٦ - مدينة « أور » ( تل المقير ) •
  - ١٧ - « اريدو » ( ابو شهرين ) - على فرع « اريدوك » ( Eridug ) •
  - ١٨ - ( تل العبيد ) •
  - ١٩ - « كيسيك » ( Kissiga ) ( تل اللحم ) على فرع « ايد نون » ( Id-Nun )
- ب - المدن والتلول على الفرع الرئيسي الشرقي :
- ١ - « أدب » ( بسمايا ) •
  - ٢ - ( تل حيدر ) •
  - ٣ - بلدة « زبالام » ( Zabalam ) - ( ايزيخ ) •
  - ٤ - ( تل ام ربيعة ) •
  - ٥ - ( تل حمرة ) •
  - ٦ - ( تل المحلقة ) •
  - ٧ - مدينة « لكاش » او « كيرسو » ( Girsu ) ( تلو ) •
  - ٨ - مدينة « اور وكو لاكاس » ( Uru-Ku-Lagas ) ( الهبا ) (\*) •
  - ٩ - مدينة « نينا » ( سورغول ) •
  - ١٠ - مدينة « اوما » ( تل جوخة ) •
  - ١١ - ( تل ام العقارب ) •
  - ١٢ - ( تل الفتحة ) •
  - ١٣ - ( تل الناصرية ) •
  - ١٤ - ( تل المنصورية ) •
  - ١٥ - ( تل عظام ) •
  - ١٦ - « بادتييرا » ( تل مدينة ) •
  - ١٧ - ( تل فحل ) •
  - ١٨ - « كوتالا » ( تل صفر ) •
  - ١٩ - ( تل مدينة ) •
  - ٢٠ - « لارسا » ( سنكرة ) •

(\*) ايدت مؤخرًا بعثة قامت بالتنقيب في موقع « الهبا » رأيا ينطوي على الاعتقاد بان تلول الهبا هي « لجش » وليس كما كان يظن من ان اطلال « تلو » تمثل « لجش » •

المدن والتلول على الفروع الغربية

- ١ - « كيش » ( تل الاحيمر ) •
- ٢ - « بابلو » ( بابل ) •
- ٣ - « بورسبيا » ( برس نمرود ) •
- ٤ - « قزالو » •
- ٥ - « مراد » ( ونة ) •
- ٦ - « تل بدره » •
- ٧ - « تل دنغوز » •

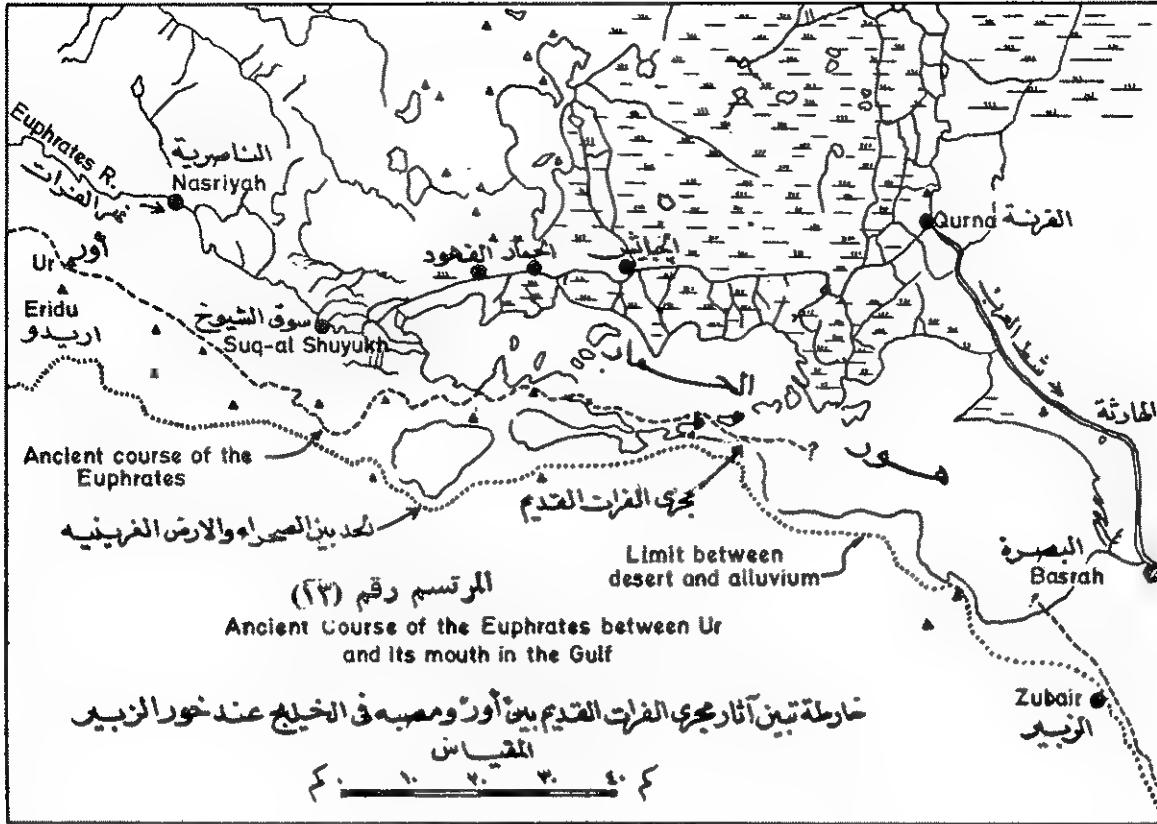
( انظر : المرسوم رقم ٢ خارطة سومر وأكد الفقرة ١ من الفصل الرابع ) •

ومما يذكر ان بعد مرور عدة قرون أخذت ضفتا هذا المجرى القديم الذي شيدت عليه مدائن أريدو ونيبور وأوروك تعلوان بصورة مستمرة بسبب تراكم راسبات الغرين التي كانت تحملها المياه حتى شق النهر مجرى جديدا له باتجاه بابل ، وهكذا جف المجرى القديم وصار من المتعذر إرجاع المياه اليه بدون اجراء أعمال تطهيرية ، وكان على نيبور والوركاء ولارسا أن تروى من فرع آخر يستمد مياهه من مجرى الفرات البابلي الجديد ، كما ان مدينتي « سوروباك » و « أريدو » أصبحتا مغمورتين بالمياه بالنظر لانخفاض أراضيها فوضعت أسس جديدة لمدينة أريدو ولعبيدها وراء ضفاف محكمة السدود في منطقة الأهوار المحصنة وقد نقل الى معبد مردوخ الواقع في بابل حيث منطقة الرخاء والازدهار تحت اسم « او - اي ساجيلا » معبد أريدو السومري المقدس •

اما نهر دجلة فكان في تلك الازمان القديمة يصب في الخليج على اشفراد مقتنيا اتجاه مجرى شط العرب الحالي الذي ينتهي الى ساحل الخليج في الفاو (١٤٣) (انظر المرسوم رقم ١٣) وهكذا نجد ان السومريين والساميين الأوائل قد أسسوا مدنهم وهزارعهم على ضفاف نهر الفرات في البقعة المحصورة فيما بين النهرين دجلة والفرات •

٣٧- التحريات الانثارية في منطقة ديارى :

ومن أهم التحريات الأخرى التي أجريت حول أنظمة الري القديمة في العراق الدراسة الاركيولوجية التي قامت بها سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ هيئة برئاسة الخبير الآثاري الاميريكي الدكتور ثوركيلد جاكوبسون وعضوية خبراء آثاريين من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو الاميريكية ومديرية الآثار العامة لأنظمة الري والزراعة في حوض نهر ديارى • وقد حددت مهمة هذه الهيئة التي تبنى مجلس الاعمار تشكيلها بأن تجري تحريات اركيولوجية في حوض نهر ديارى بغية التعرف على أنظمة الري والزراعة القديمة في هذه المنطقة مع اعارة أهمية خاصة لموضوع ملوحة التربة واعمال الـ (Drainage) • وقد استمرت الهيئة في تحرياتها سنة كاملة في الفترة من ١ حزيران ١٩٥٧ حتى ١ حزيران ١٩٥٨ ، وبعد ان أنهت أعمالها قدمت تقريرا مفصلا عن تاريخ الري والزراعة في المنطقة والاساليب التي كانت متبعة في الازمنة القديمة لمعالجة مشكلة الملحية ( Salinity ) • ويقع هذا التقرير في سبعة فصول تناولت بالبحث أنظمة الري والزراعة القديمة في منطقة نهر ديارى الاسفل وأنواع المحاصيل التي كانت تزرع فيها في مختلف العصور ودراستها مع مشاكل الملحية



وتأثيرها في الطاقة الانتاجية والاساليب المتبعة في تلك الازمان لمعالجتها ، كما تناولت تاريخ المستوطنات القديمة في منطقة نهر دىالى الاسفل وتاريخ مشروع النهروان وتطوره<sup>(٤٤)</sup> . وقد وضع أحد أعضاء الهيئة الخبير الآثاري روبرت آدمز كتابا مفصلا إضافيا عن مستوطنات منطقة دىالى القديمة للفترة من عصر العبيد (٤٠٠٠ ق.م) حتى آخر العهد الاسلامي . وقد سمي مؤلفه هذا « ارض ما وراء بغداد »<sup>(٤٥)</sup> وعززه بخمس خرائط خارطة منها تبين وضع أنهر وجداول دىالى في الفترة ما بين عصر العبيد والعصر الكوتي (٥٠٠٠ - ٢١١٦ ق.م) وتتصل هذه الخارطة بموضوع بحثنا وقد اشر عليها مجرى نهر دىالى الحالي ثم مجسراه القديم مع فروعه ومواضع المستوطنات على ضفافه . فكان مجرى نهر دىالى في تلك الازمان يبدأ بعد عبوره جبل حمرين في نقطة تقع على مسافة قليلة الى الشمال من المجرى الحالي وموازيا له ، أي يسير باتجاه نهر الخالص الحالي ، مخترقا منطقة تكثر فيها الاهوار والمستنقعات ثم بعد أن يخرج من هذه المنطقة يجري جنوب غربي مدينة بعقوبا متجها نحو دجلة فيصب فيه جنوب مصب نهر دىالى في أربعة فروع تنتهي الى نهر دجلة . ( انظر المرسّم رقم ١٤ ) .

وكان يتفرع من الجانب الايسر من النهر الرئيسي في المنطقة الممتدة بين جبل حمرين ونهر دجلة فرعان رئيسان احدهما وهو الشمالي يسير باتجاه جدول مهروت الحالي ويتشعب الى عدة شعب وأهم أطلال المستوطنات القديمة على ضفافه أطلال تل اسمر ( اشنونا ) وتل أجرب ، والثاني وهو الجنوبي يسير باتجاه القسم الاسفل من مجرى جدول النهروان القديم وقد ورد ذكره في

المدونات القديمة باسم « نهر دابان » ومن أهم آثار المستوطنات القديمة على هذا الفرع التل المسمى « تل اشجالي » . وكان هناك فرع ثالث يأخذ من الجانب الايسر للنهر أيضا يجري في الجهة الشرقية من الفرع الرئيسي الاول ، أي باتجاه جدول الروز الحالي ، حيث تشاهد على ضفافه مستوطنات منعزلة . ويرى مستر آدمز ان هذه الفروع كانت بالاصل مجاري طبيعية ثم مع مرور الزمن أخذ السكان الذين استوطنوا هذه المنطقة ينظمون مشروعات للري والزراعة فيها .

كما انه توصل الى ان هذه المنطقة كانت بخلاف ما هي عليه اليوم تكتنفها الاهوار والمستنقعات ويرجح أن حافات هذه الاهوار والمستنقعات كانت تزرع بطريقة الري الحوضي ، أي ان زروعها كانت تنمو على رطوبة الارض بدون ارواء وذلك بعد انحسار مياه الفيضان عنها ، ومن المحاصيل التي كانت تزرع في المنطقة القمح والشعير وفخيل التمر والفواكه ، ويشير أيضا الى ان هناك دلائل على ان المنطقة كانت في العهد البابلي المتوسط معرضة لحركات تكتونية وعوامل أخرى عملت على تغيير شكل سطح المنطقة تدريجيا الى ما هو عليه مظهرها الحالي .

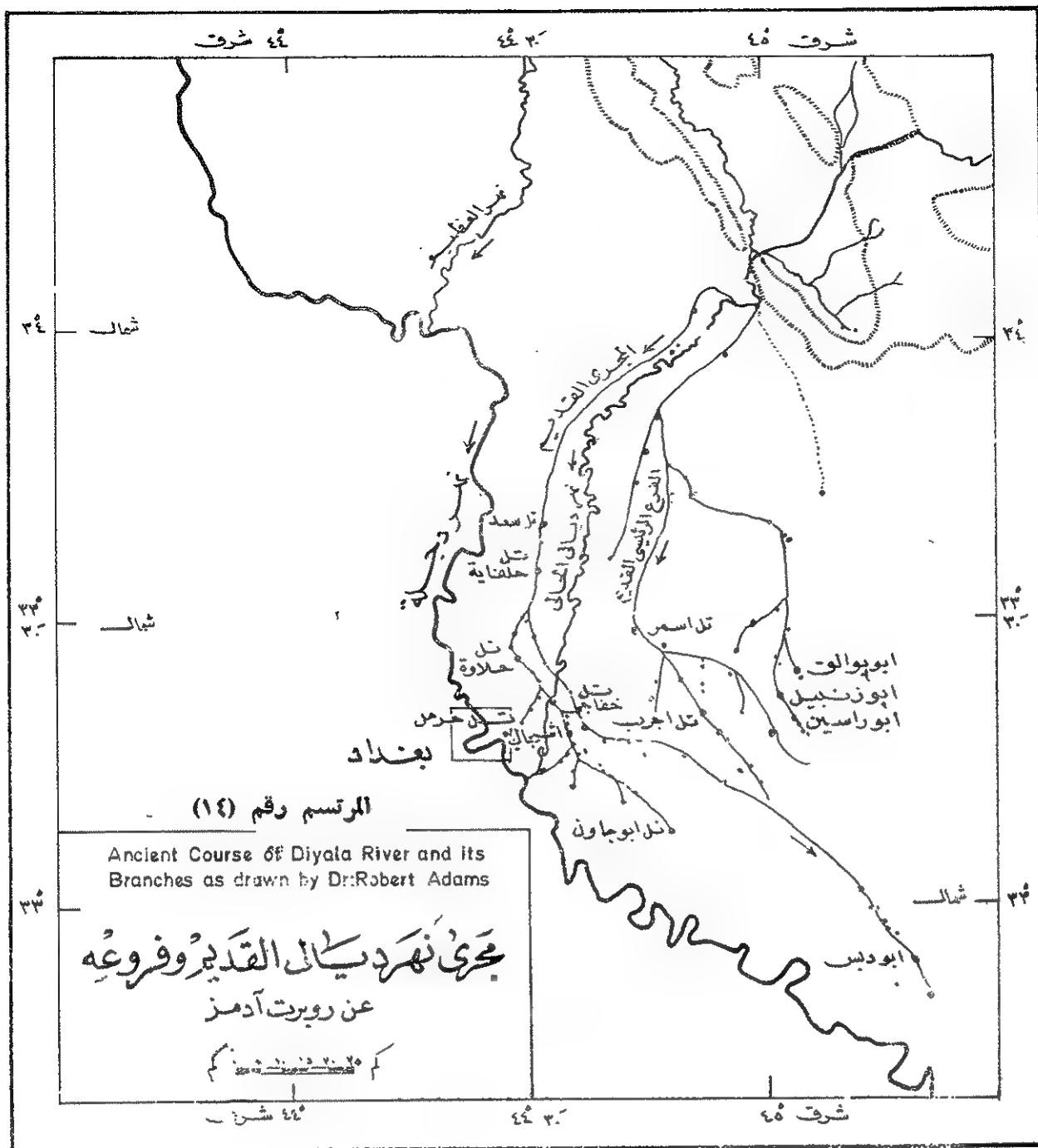
ويخلص مستر آدمز الى ان ممارسة الزراعة في هذه المنطقة ترجع الى الالف الثامنة قبل الميلاد بل الى ما قبل ذلك على الأرجح ، ويضيف قوله ان التطور من هذه المرحلة البدائية التي تنحصر بالجهد من أجل البقاء الذاتي الى مرحلة الانتاج الجماعي هو أحد العوامل الفعالة في تقرير مصير الوجود البشري ، أي الانتاج الذي مكن قسما من الناس ان يطعم الناس الآخرين .

وقد أمكن تثبيت ٩٧ موقعا أثريا في المنطقة قدر حوالي خيسها من عصر فجر السلالات وهذه تتمثل في تل أسمر وتل أجرب وتل خفاجي . وتتكون المواقع من عشر مدن كبيرة وعشرين مدينة صغيرة وسبعة وستين قرية ريفية . وقد استخلص من نتائج الدراسة ان هذه المستوطنات القديمة كانت قائمة منذ عصر العبيد وبقيت خلال عصر الوركاء وعصر الكتابة وعصر فجر السلالات وبعض العصر الاكدي ، ثم شهد العصر الذي يلي العصر الاكدي مباشرة تهقرا وتأخرا في المجال الزراعي حيث هجر أكثر السكان مستوطناتهم بسبب اضطراب الاحوال السياسية والحروب الداخلية مما أدى الى التسبب وفقدان الامن والنظام وسلامة المواصلات والتبادل التجاري .

وكانت هذه الظروف قد حالت دون ممارسة الاعمال الزراعية وصيانة منشآت الري مما آل بالتالي الى تعرض البلاد الى انهيار اقتصادي أضعف مقاومتها للغزوات فسهل على الكوتيين الجبليين الرحل الطامعين بثروة البلاد الاستيلاء على الحكم وتأسيس السلالة الكوتية في أواخر الالف الثالثة قبل الميلاد .

وقد وضع الخبير الآثاري الاميريكي جاكوبسون دراسة عن طوبوغرافيه مجرى نهر ديابالى في العصور القديمة استعرض فيها أطوار مجرى نهر ديابالى القديمة فأشار الى ان نهر ديابالى كان في أحد العصور القديمة يجري في اتجاه جدول الزور الحالي مخترقا منخفضات المريجة وهور الشويجة حتى ينتهي الى دجلة في جوار مدينة الكوت الحالية . وفي طور آخر كان يسلك الاتجاه الذي يسير فيه جدول الخالص الحالي (\*) .

(\*) T. Jacobson, "The Ancient Topography of the Diyala Region" 1958, with map (typewritten). Available at the Library of Antiquities, Baghdad.



ومن أهم المراجع حول ري العراق القديم البحث الذي اعده مسيو ديلاتر باللغة الفرنسية بعنوان « الأعمال الهيدروليكية في بلاد بابل » نشر أول مرة كمقال في مجلة « المسائل العلمية » لشهر أكتوبر ( تشرين الأول ) ، ١٨٨٨ ص ٤٧٦ - ٥٠٧ ، ثم طبع في نشرة مستقلة في بروكسل سنة ١٨٨٨ . ويقع المقال في ٥٩ صفحة ويشتمل على وصف لجغرافية أنهر العراق في زمن البابليين والآشوريين ولمشاريع الري القديمة التي أقيمت على تلك الأنهر في تلك الأزمان ومن جملتها مشاريع الاسكندر (٤٦) .

وفي مقال نشره الاستاذ أولبرايت في المجلة الاميريكية للغات السامية (م ٣٥ ، ١٩١٨ - ١٩١٩ ، ص ١٦١ وما بعدها) بعنوان « مصبات الأنهر » بحث قيم عن تاريخ منبع ومصب نهري

دجلة والفرات في العصور القديمة فيعرض مقارنات عن الاله « ايا » اله المياه والانهاء الفوار وما توجي اليه هذه المقارنات من معان وتخيالات ومعتقدات حول منبع نهري دجلة والفرات ومصبهما في الخليج . ومما يذكر ان الاستاذ اولبرايت يعتقد ان كلا من نهري دجلة والفرات كان يصب في الخليج في مصب مستقل في الازمنة القديمة<sup>(٤٧)</sup> .

وقد اعد المستر فوربس دراسة مستفيضة لآعمال الري والبزل ( الصرف ) القديمة نشرت في الجزء الثاني من مؤلفه الضخم المتكون من تسعة اجزاء ( انظر ص ١ - ٧٢ ) بعنوان « دراسات في التكنولوجيا القديمة » طبع في لندن سنة ١٩٥٥<sup>(٤٨)</sup> . وفي المجلد العاشر تحت عنوان « البيئيوجرافيا القديمة » ( قسم الفنون والتكنولوجيا ) جمهرة من المراجع ذات فائدة عظيمة للباحث في هذه المواضيع ، وقد طبع المجلد في لندن أيضا سنة ١٩٥٥<sup>(٤٩)</sup> .

وفي الجزء الاول من كتاب « تاريخ التكنولوجيا منذ أقدم الأزمنة الى سقوط الامبراطوريات القديمة » الذي قام بتحريره الاساتذة سينكر وهوليارد وهول والذي ساهم في اعداد بحثه عدد من الاختصاصيين ثلاث مقالات ذات صلة بموضوع تاريخ الري والزراعة والبناء نشرت في الجزء الاول من الكتاب ( الطبعة الثانية ، ١٩٥٥ ) وهي : « الموارد المائية والزراعة » بقلم ام . اس . دراورد ( ص ٥٢٠ - ٥٥٧ ) : « زراعة النباتات » بقلم رينر ( ص ٣٥٣ - ٣٧٥ ) : « البناء بالاجر والحجر » بقلم سيتون لويد ( ص ٤٥٦ - ٤٩٤ )<sup>(٥٠)</sup> .

٣١٢ - الماء مصدر الحياة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ( قرآن كريم ) :

كان قدماء العراقيين من سومريين وساميين يعتبرون الماء مصدر الحياة ومنبع الخير والبركة ، لذلك كان من أهم آلهتهم التي يعبدونها ويتركون بها ويقدمون لها القرابين اله المياه الاله « انكي » باللغة السومرية او « ايا » باللغة السامية ، فهو الذي يسيطر على الينابيع ويده أمر الماء العذب ان شاء أطلقه فيشرب البشر ويرتوي وتنتعش الارض فينبت الزرع وتميش الحيوانات ، وان شاء حبسه فيبيد المخلوقات ، كما كان سلطانه يشمل ايقاف مياه الفيضانات عند حدها . ولما كان الاله « انكي » اله المحيطات العذبة التي تمد الأنهار والينابيع بالمياه فقد اتخذ مكان عرشه ومقره في الغور « أبسو » في أريدو قرب منطقة الاهوار ومعبد « اي ساكل » كان أقدس هيكل ديني في أوائل العصور السومرية . وقد نعت سكان سومر الاله « انكي » بشتي أوصاف التعظيم والتقدیس عبروا عنها برموز مختلفة صوروها على أختامهم وألواحهم الحجرية والتماثيل وواجهات المعابد . وقد ورد في ألواح الخليقة ان الاله « انكي » كان من بين الآلهة الكبرى الذين خلقوا كل شيء في هذا العالم وقاموا بخلق النهرين العظيمين وألقوا فيهما الخير والبركة . وقد عثر على نقوش كثيرة تصور الاله « أنكي » في مشاهد دينية مقرونة بمجاري المياه بصورة عامة وبمجري دجلة والفرات بصورة خاصة . وهكذا فقد اعتبرت الآبار والعيون التي تنبع منها الأنهر في عقيدة قدماء العراقيين مقدسة بصورة عامة لانها تمثل رمز الاله « انكي » اله المياه الذي يمنح الخير والبركة ، لذلك كانوا يقدمون له القرابين من الماشية ( انظر التصوير رقم ٧٩ ) .

٣٤- الاله انكي اله المياه :

هو الاله الثالث من مجموعة الآلهة الخالقة وهو اله مياه الغمر التي تدعى بالسومرية « أبسو » وقد نعت باله الحكمة واليه عزي تنظيم الأرض ومقومات حضارتها من ظواهر طبيعية وثقافية . ( انظر التصوير رقم ٧٩ ) .



الصورة رقم (٧٩)

الاله أنكي إله المياه يشاهد جالساً ويجلي المياه تنبع من كتفيه . .

*The Water-god "Enki" with water springing from his Shoulders.*

١ - الاله « انكي » اله المياه في مخدعه في الغور « ابسو » :

ان أكثر النقوش التي تظهر فيها صورة الاله « أنكي » دونت على الأختام السومرية القديمة ، ففي نقش يعود الى العهد الأكدي ( التصوير رقم ٨٠ ) الاله « انكي » جالساً في



الصورة رقم (٨٠) - الاله « انكي » اله المياه في مخدعه في الغور « ابسو » ( انظر الفقرة ٣٤ )

الاله « انكي » في مخدعه في النور « أبسو » مع جلجاش بصفه بواب الاله

*The water-god in his water house "Apsu" with "Gigamesh" as Attendant Porter*  
( Ward, op. cit., Fig. 648, p. 214



الطرف الايمن في مخدعه في الغور « ايسو » وقد أحاطت به المياه من كل جانب ومجريان من الماء يمتدق انهما نهرا دجلة والفرات ينبعان من كتفيه • وقد ظهر امام بيته في الغور معبد مدرج يصعد عليه اله ووراءه شقتا جبل يصعد على احدهما الاله « اوتو » اله الشمس وهو المسؤول عن مياه السماء ( الامطار ) ووراءه بواب الاله « انكي » ويشاهد في آخر النقش من الطرف الأيسر مجريان من الماء ينحدران من أعلى النقش الى أسفله ، والظاهر انهما يمثلان نفس المجريين المنبجسين من كتفي الاله « انكي » • ويلاحظ ان هذين المجريين ظهرا في معظم النقوش التي تمثل الاله « انكي » أو الهة أخرى وهما منبثقان اما من جسم الاله أو من كتفيه أو من « الاتاء القوار » المشهور الذي اتخذهُ السومريون فيما بعد شعارا لهم وسأني البحث عن هذا الاتاء فيما يلي :- ( انظر :

“Enki” The Water-god in his Water House” “Apsu” (S.N. Kramer, “Sumerian Mythology”, p. 40, H. Frankfort, “Cylinder Seals”, Pl. XVII k3.)

ب - « انكي » على ظهر قارب في منطقة الأهوار :

ويمثل ( التصوير رقم ٨١ ) وهو من العهد الاكدي أيضا الاله « انكي » وهو يتجول في منطقة الأهوار في قارب يشبه المشحوف العراقي الحالي المستعمل حاليا في منطقة الأهوار ( انظر ما تقدم حول المشحوف على الفقرة ٢٤ ) • ويشاهد في هذا النقش الاله « انكي » واقفا في وسط القارب وقد نبع من كتفيه نفس المجريين اللذين ظهرا في التصاوير الاخرى ، وقد ظهر المجريان في هذا النقش وعلى ضفافهما نبات القلة • وهناك ملاحان يجذفان وهما واقفان الى جنبي الاله ويبد كل منهما مجذاف طويل • وتظهر نباتات القصب في الأهوار والأسماك تحوم فيها بينها حول القارب •



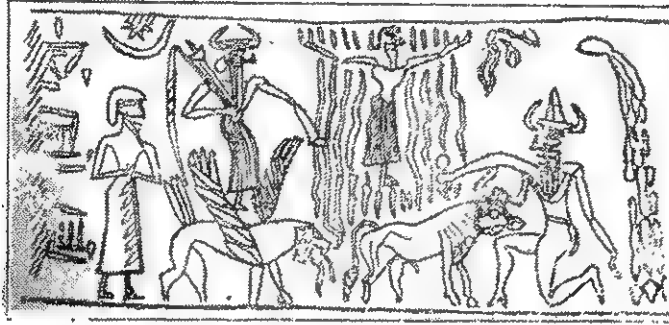
الصورة رقم (٨١)

الاله « انكي » يتجول على ظهر قارب ( مشحوف ) في منطقة الأهوار في جوار ريدو

“Enki” The Water-god Travels in a boat Along the Eridu Marshland  
( S. N. Kramer, op. cit., p. 60; H. Frankfort, op. cit., Pl. XV f ; Ward, op. cit., Fig 102, p. 40 ).

ج - الاله « انكي » مخلق في الجو والمياه تنطلق من السماء :

ويظهر الاله « انكي » في التصوير رقم ٨٢ الذي يرجع الى عصور اقدم عهدا فيشاهد هنا الاله ممتطيا وحشا مجنحا مخلقا في السماء وقف خلفه أحد المتعبدين . وفي أعلى النقش تشاهد ينابيع المياه تنبجس من السماء منطلقة في جريها نحو الارض على هيئة مجار عديدة متوازية ، وقد وقفت الهة مادة ذراعيها وهي تستقبل المياه بيديها ، ويشاهد الاله حاملا بيده سوطا لعله يريد به سوق المياه . وفي الطرف الايمن من النقش تشاهد مياه تتدفق من السماء منحدره نحو الارض أيضا ، كما يظهر في الصور البطل الاسطوري « جلجامش » وهو يطعن ثورا وحشيا بخنجره .



الصورة رقم (٨٢) - الاله « انكي » مخلق في الجو والمياه تنطلق من السماء  
The water-god and the Streams of water from Heavens

( Ward, op. cit., Fig. 129, 49 ; Frankfort, op. cit., Pl. XXIIe )

د - صعود الاله « انكي » الى السماء :

ويظهر في ( التصوير رقم ٨٣ ) الاله « انكي » وقس الالهة التي ظهرت معه في التصوير رقم ٨٠ وهما ممتطيان وحشين مجنحين يسبحان في الفضاء ويبد كل منهما عصا . وتشاهد الالهة وهي دائرة وجهها نحو الاله « انكي » ، كما تشاهد وحوش مجنحة أخرى حائمة حولهما



الصورة رقم (٨٣) - صعود الاله « انكي » الى السماء

"Enki" The Water-god Rising Up to Heavens  
( Ward, op. cit., Fig. 129a, p. 49

في الفضاء • ولعل المراد بهذا التمثيل التعبير عن صعود الاله « انكي » والالهة التي معه الى السماء • ويظهر في النقش نفسه « جلجامش » وعلى رأسه قبعة وهو ماسك بثور وحشي من قرنه ضاغطا على رأسه نحو الأرض لاختضاعه •

هـ - الاله « انكي » في الغور ايضا:

وفي التصوير رقم (٨٤) يظهر الاله « انكي » وهو في مخدعه في الغور « أپسو » وقد أحاطته المياه من كل أطرافه والمجريان الاعتياديان ينبعان من جسمه ، وتشاهد صورة جلجامش متكررة على طرفي المخدع وهو واقف وييده الصولجان ، كما يشاهد اله آخر عدا الاله « انكي » واقفا في الطرف الايسر من النقش •



الصورة رقم (٨٤) - الاله « انكي » في الغور أيضا ( انظر الفقرة ٣٤ هـ ) .

الاله « انكي » في مخدعه في النور « أپسو » مع جلجامش بصفة بواب الاله .

*The water-god in his water house "Apsu" with "Gigamesh" as Attendant Porter*  
( Ward, op. cit., Fig. 648, p. 214 )

وفي ( التصوير رقم ٨٥ ) يظهر الاله « انكي » بوضوح والمجريان ينبعان من كتفيه وتشاهد ثلاث سمكات تسبح في كل من المجريين صاعدة ضد تيار الماء ونعجة رابضة عند قدمي



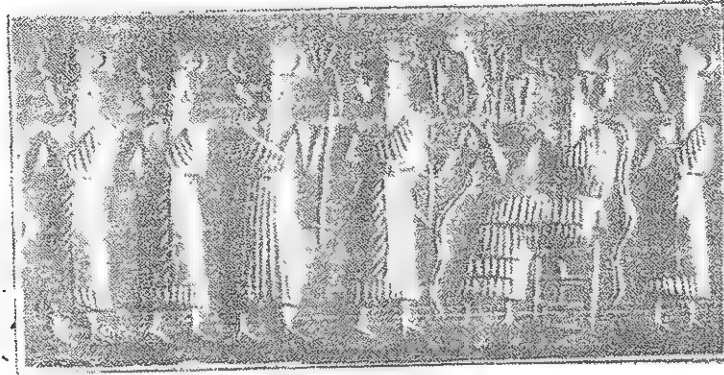
الصورة رقم (٨٥) - الاله « انكي » يصعد الى الجبال حيث الاله « اوتو » اله الشمس

*"Enki" the water-god with Flowing Streams of Water and Swimming Fishes*  
( S.N. Kramer, op. cit., p. 32; Frankfort, op. cit., Pl. XIXa; Ward, op. cit., Fig. 412, p. 156: *The Babylonian Legends of the creation, The British Museum, 1931, p. 21* ).

الاله • ويقف خلف الاله مباشرة رسوله ذو الوجهين « أيسيمود » الذي اقترن اسمه بالاساطير الخاصة بالاله « انكي » ومغامراته • وتظهر سلسلة من الجبال يبدو الاله « انكي » وهو يتسلقها صاعدا اليها حيث مقر الاله « أوتو » اله الشمس الذي يشاهد مع اشعته الحادة وسكينته المنشارية في بطن الجبال ، كما تشاهد الهة اثنى فوق الجبال والى جانبها شجرة وهي تقدم الفاكهة بيدها اليسرى الى الاله « أوتو » وهناك اله في الطرف الأيسر ويده قوس والى جانبه أسد تظهر فوقه كتابة تصويرية قديمة لعلها تحمل اسم صاحب الختم

ز - المعبود « انكي » والمحراث المقدس :

وفي التصوير رقم ( ٨٦ ) الذي يعود الى العهد الأكدي يظهر المعبود « انكي » اله الماء جالسا والمجريان ينبعان من كتفيه وقد تقدم نحوه أربعة من الآلهة اقدمهم يحمل المحراث المقدس لتقديمه الى الاله ( انظر التصوير رقم ٨٦ ) •



الصورة رقم (٨٦) - المعبود « انكي » والمحراث المقدس ( انظر الفقرة ٣٤ ز ) •

*"Enki" Adored with the Sacred Plough Presented to him*  
*Franfort op cit Pl. XXIe; Kramer op. cit. Pl. XIV, p. 60 ).*

ح - « انكي » يبحر على ظهر قارب نحو السماء :  
 وتشاهد في ( التصوير رقم ٨٧ ) ظاهرة غريبة تختلف عما سبقها من نقوش لاله « انكي »



الصورة رقم (٨٧) - « انكى » يبحر على ظهر قارب نحو السماء ( انظر الفقرة ٣٤ ح ) •

*"Enki" the water-god Seated within a boat and Sailing through the Heavens*  
*( Ward, op. cit., Fig 293., p. 103 ).*

وهي انه يشاهد هنا اله ينبع المجريان من كتفيه وهو جالس على ظهر قارب يبحر فيه نحو السماء . ولما كانت هذه الصفة مقرونة عادة باله الشمس الذي نسب اليه الابحار في القارب الى السماء فيعتقد ان اله الماء في هذا التصوير هو الاله « اوتو » اله الشمس . ويظهر الاله في هذا التصوير ملتجيا وهو يرتدي رداءا وينبجس المجريان من كتفيه ويشاهد امام الاله نجمة داخل هلال ، وهناك شخصان ملتحيان يتقدمان وهما يقودان رجلا نصفه الأعلى انسان والنصف الاصل طير . ومع انه يعتقد ان الاله في هذا التصوير هو اله الشمس الا اننا لا نرى ما يفترض فكرة كونه الاله « انكي » نفسه خاصة ظهور الاله بدون شمس اله الشمس المعروف به وهو القرص الشمسي ذو الشماع والسكينة المشاربة

ط - ويشاهد الاله « أنكي » في منظر آخر جالسا ومجريا الماء يتدفقان من كتفيه وينسابان الى الارض . وقد وقف حاجبان عاريان على طرفي الاله يحمل كل منهما صولجانا ، كما يشاهد شخص قادم وهو يتحدث الى أحد الحاجبين ، ويظهر في النقش نجمة عند رأس الاله ( التصوير رقم ٨٨ ) . وفي نقش آخر يظهر الاله « انكي » جالسا ومجريا الماء يتدفقان من صدره وينسابان الى الارض والاسماك تحوم حوله ، ويشاهد شخصان مقلبان على الاله في وضع التعب وقد وقف خلف الاله حاجب عار يبيده الصولجان يرجح ان يكون جلبامش وقد ظهر نصف جسمه الاسفل على النقش ( التصوير رقم ٨٩ ) .

٣٥- التكوين والغليقة عند السومريين والساميين - الماء المصدر الاول للوجود :

لقد أجمعت المصادر القديمة من تاريخية ودينية على ان الماء هو المصدر الاول للوجود ، فقد توصل الباحثون من دراسة الوثائق الادبية والنصوص السومرية والسامية في ما يخص التكوين الى ان المياه الأزلية كانت أصل الوجود<sup>(٥١)</sup> ولما كان البحر يتصف بصفات اللاتناهي والغموض فاعتبروه أزليا ومصدر الوجود ، فاعتقد السومريون ان الالهة ( نمو ) التي كتب اسمها على لوح بالقطع الصوري الذي يمر عن كلمة ( البحر ) وصفت بانها الأم التي ولدت السماء والارض . وعليه فيكون خلق السماء والارض هو من البحر الأول الذي ولد السماء والارض . وكان من اتحاد ( آن ) اله السماء ( الذكر ) و ( كي ) الأرض الاثنى خلق الاله انليل اله الهواء . وقام الاله انليل بفصل السماء عن الارض ، وحينما أصبحت السماء في حوزة ( آن ) والد انليل أصبحت الارض ( كي ) في حوزة انليل وبنتيجة اتحاد انليل بامه ( كي ) تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق الانسان وتأسيس الحضارة . وهناك اشارة الى ان الارض والسماء كانتا متحدتين قبل أن يكون انليل قد خلق وذلك في ملحمة جلبامش والعالم الاسفل .

وبذا تكون أهم النقاط فيما يخص التكوين عند قدماء المراقين :

- ١ - خلق الالهة من البحر الاول ( نمو )
- ٢ - خلق الالهة للانسان من طين
- ٣ - مهمة الانسان حمل نير الالهة وعبادتها
- ٤ - كان للاله ( انكي ) اله المياه دور مهم في عملية خلق الانسان .



الصورة رقم (٨٨) - الاله « انكي » مع حاجبين عاريين يحجبانه ( انظر الفقرة ٣٤ ط ) .

"Enki" the Water-god Seated with two Attendants  
( Ward, op. cit., Fig. 284, p. 99 )



الصورة رقم (٨٩) - الاله « انكي » يتدفق المجرىان من صدره وتحوم الاسماك حولهما ( انظر الفقرة ٣٤ ط ) .

A Seated god with Streams and Fish  
( Ward, op. cit., Fig. 288, p. 99 )

ومهما يكن من امر فان الثابت عند السومريين والاكديين (والبابليين والآشوريين) ان المياه هي المصدر الأول للوجود سواء كانت ازالة الوجود أو خرجت من العدم .  
وعند البابليين بشكل خاص : فقد كانت المياه الأولى تتكون من عنصرين أولهما مذكسر ويسمى (ابسو) ويمثل المياه العذبة والثاني مؤنث (تيامات) وتمثل المياه المالحة ، ونتيجة لامتزاجهما ولد أول جيل من الالهة (٥٢) .

وكذلك نجد ان التوراة اعتبرت المياه المصدر الأول للوجود (٥٣) وان الانسان خلق على صورة الله ذكرا وانثى (٥٤) . وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك اذ جاء في سورة النحل (١٦ : ٤) « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » ( انظر أيضا سورة الانسان (٧٦ : ٢) وقد سبقت الاشارة الى سورة الانبياء ( الآية ٣٠ ) والقائلة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ( انظر ما تقدم في الفقرة ٤ من الفصل الأول ) .

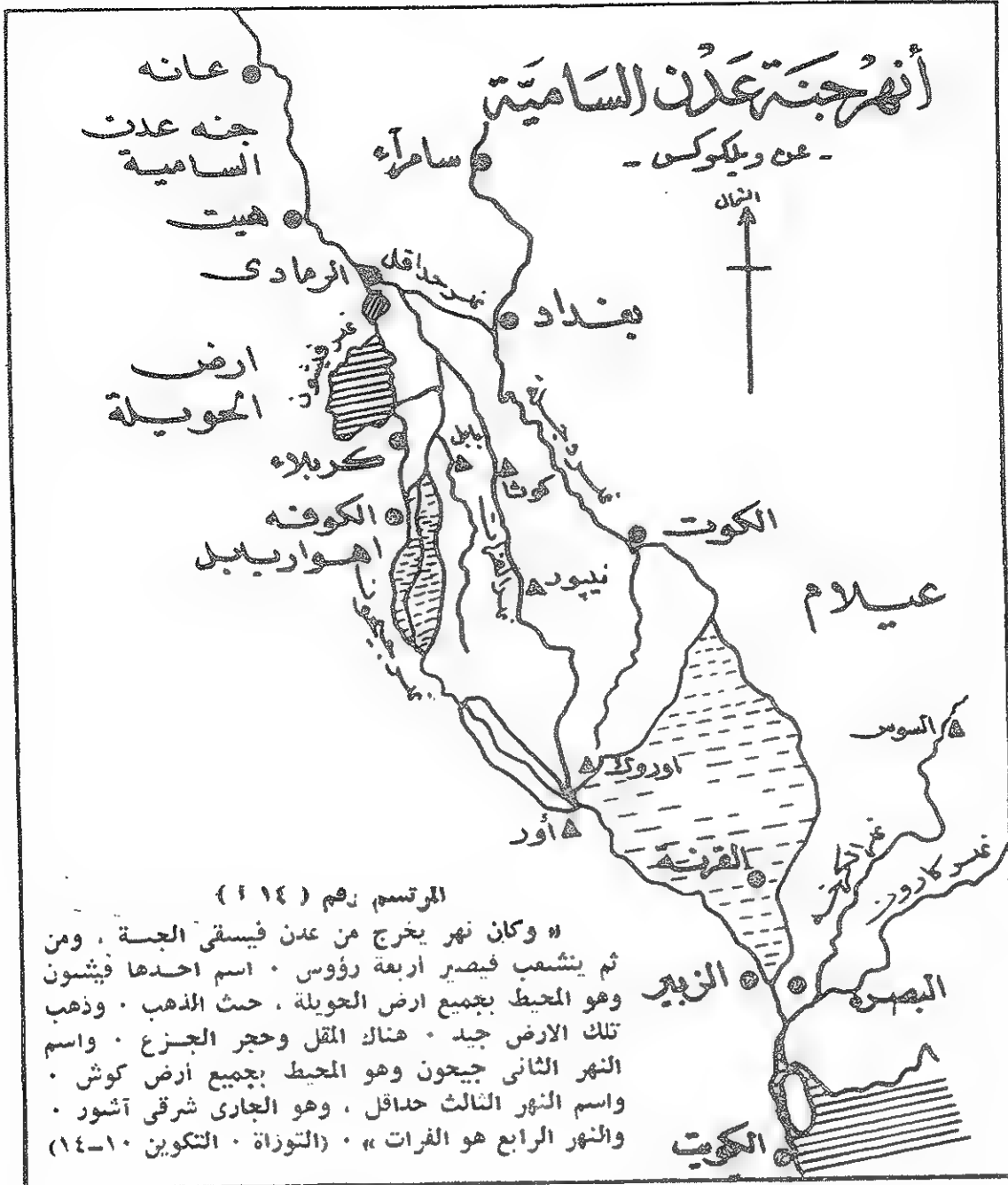
#### ١ - جنة عدن السامية في منطقة عانة وهيت :

ومن المواضيع التي تفرض نفسها عند بحث موضوع الري والزراعة في العراق القديم موضوع جنة عدن التي تناقلتها المصاحف المقدسة : فقد خلص الباحثون في ضوء الاكتشافات الأثرية الى أن فكرة الفردوس (الفردوس الالهي) ترجع الى عهود قديمة ، فكانت هناك جنتان ، جنة سامية وجنة سومرية ، ويخلص سير ويليام ويلكوكس الى أن المنطقة المحصورة بين عانة وهيت على نهر الفرات هي موقع جنة عدن السامية التي نقلت أخبارها التوراة حيث جاءت أوصافها مطابقة لوضع منطقة عانة وهيت التي نزلها الساميون فحدد موقع الجنة في أعلى دلتا الفرات حيث تبدأ تفرعات نهر الفرات ، اذ وصف العهد القديم الجنة بذكره ان نهر الفرات بعد أن يسقي الجنة يتفرع الى أربعة فروع هي فيشون وجيحون وحدائل والفرات ، فيمثل الأول منخفضي الجبانية وابي دبس والثاني نهر الهندية الحالي والثالث مجرى الصقلاوية القديم ، اما الرابع فهو نهر الفرات ، أي المجرى القديم المعروف بنهر كوثي ( انظر المرسوم رقم ١٤ ) . اما الجنة السومرية ، فقد عثر على لوح نقش عليه قصيدة سومرية فيها اوجه الشبه بين المدونات التوراتية والقصيدة السومرية ، فكان موضوع الفردوس في القصيدة السومرية في أرض ( دلون ) التي رجح بعض الباحثين انها كانت في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس ، بينما يرجح البعض الآخر انها كانت في الجهة الغربية من ساحل الخليج العربي ، وقد عين هؤلاء الباحثون المحققون مكانها في البحرين . وتذهب القصيدة السومرية الى ان بلاد ( دلون ) بصفتها أرض الخلود التي لا يوجد فيها مرض أو موت كانت أرضا طاهرة نظيفة ، أرضا معدة للحياة ، الا انه كان ينقصها الماء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات فامر اله الماء السومري « انكي » « اوتو » اله الشمس ان يملأها بالمياه العذبة النابعة من الأرض ، وهكذا تحولت ( دلون ) الى حديقة الهية غناء مملوءة بالاثمار والمروج والرياض .

ويلاحظ هنا ان قصة عدن السامية كيفها الساميون بحسب طبيعة البيئة التي استقروا فيها على ضفاف نهر الفرات في أعلى الدلتا في جوار عانة وهيت ، فحددوا جنتهم هناك حيث تبدأ تفرعات النهر . هذا في حين ان السومريين اكتفوا بوصف الفردوس الواقع في منطقة الغمر ( ايسو ) التي تمثل مياه الاهوار دون التطرق الى تفرعات نهر الفرات لبعدها عنهم شمالا . ومثل ذلك حدث فيما يخص قصة آدم وحواء اذ اتخذ الساميون شجرة التفاح لتمثل شجرة الحياة بينما اتخذ السومريون النخلة لتمثل شجرة الحياة المذكورة وذلك لوجودها في بيئتهم . ومن المرجح ان السومريين أخذوا فكرة القصتين من الساميين فحوروا لتتفق مع بيئتهم ، وذلك على اعتبار ان الساميين سبقوا السومريين في استقرارهم في أعلى الدلتا وهذا يتفق والنظرية التي اخذنا بها وهي ان السومريين اقتبسوا وسائل الحضارة من الساميين الذين سبقوهم في الاستقرار على ضفاف الفرات الاوسط كما تقدم .

#### ب - قصة آدم وحواء واغراء الحية بهما في النقوش السومرية :

ومما يثير الدهشة والغرابة ان ما ورد في التوراة عن قصة آدم وحواء وقصة جنة عدن وقصة الطوفان ترتد جذورها الى عهود قديمة ، فقصة آدم وحواء التي تشير الى اغراء الحية حواء ( ٤٤١ )



وأكل حواء هي وآدم من ثمر شجرة معرفة الخير والشر برغم تحذيرهما من الأكل منه ، ان هذه القصة بذاتها نجدها متمثلة على نقش سومري وقد صور عليه الموقف نفسه ، فنشاهد على هذا النقش رجلا على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة بدون لباس الرأس جالسين الواحد أمام الآخر وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخل تدلى عذقان من الثمر من طرفيها ، ويشاهد الرجل ماداً يده اليمنى نحو العذق الذي أمامه ليقتطف من ثمره ، كما تشاهد المرأة وهي مادة يدها اليسرى نحو العذق الذي أمامها لتقتطف من ثمره أيضا ، ثم تشاهد الحية وهي منتصبة واقفة خلف المرأة تغريها في الأكل من هذا الثمر المحرم عليها أكله . وهذا دليل على أن شجر النخل وجد على تربة جنوب العراق منذ أقدم الأزمنة وان شجرة معرفة الخير والشر الواردة في التوراة هي شجرة النخل



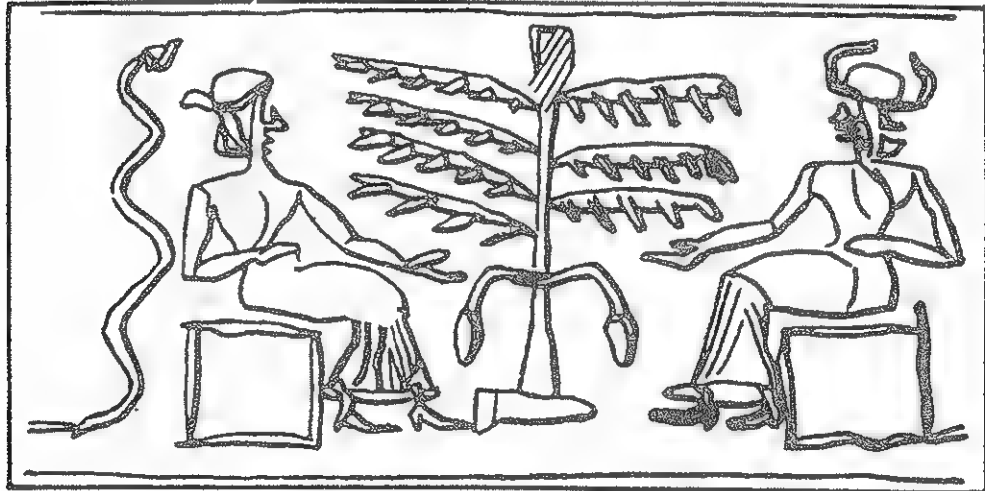
بالنسبة للسومريين • وما يذكر ان هذا النقش التاريخي وضع قبل تدوين التوراة بأكثر من ألفي عام على أقل تقدير لان التوراة لم تسجل بنصها الحالي الا في عهد متأخر أي في القرن الثامن والتاسع قبل الميلاد • ( انظر التصوير رقم ١٨٩ والمرسم رقم ١٩٤ ) •  
٣٦ - قدسية نهر الفرات لدى السومريين والأكديين :

وكان لنهر الفرات حرمة قدسية لدى السومريين والأكديين الذين سكنوا ضفافه وشيدوا حضارتهم القديمة عليه اذ كان مصدر حياتهم وخيراتهم ، كما كان للنيل قدسيته عند المصريين الذين سكنوا ضفافه وشيدوا عليه حضارتهم القديمة ، فالمصريون كانوا يقدمون

### التصوير رقم (١٨٩)

#### The Story of the Temptation of Adam and Eve by the Serpent

يمثل هذا النقش المدون على ختم اسطوانى يعود الى العهد السومري القديم قصة آدم وحواء التوراتية يشاهد فيه رجل على رأسه فلسية ذات قرنين وامرأة بدون لباس الرأس جالسين الواحد أمام الآخر وكل منهما ممد يده لاصطاف الثمر المحرم من شجرة الحياة ( شجرة معرفة الخير والشر ) . وتشاهد الحية منتصبة واقفة خلف المرأة وهي تقرّبها في الاكل من الثمر المحرم عليها أكله . والظاهر هنا ان الشجرة التي حذر آدم وحواء من الأكل منها والتي ورد ذكرها في التوراة ( تكوين ١٥: ٢ - ١٧ ) هي شجرة النخل .



*This scene of Sumerian origin represents the temptation of Adam and Eve by the serpent. On one side of the "Tree of Life" sits a bearded personage in a two horned headdress, while facing him on the other side of the Tree is a seated female figure without the headdress. The two of them extend their hands towards the Tree and at the back of the female figure is an upright serpent with its head nearly over the woman's head ( vide : W. H. Ward, op. cit., Fig. 388, p. 138 ). It seems very clear here that the Tree which God forbade Adam and Eve from eating from it is a palm tree.*

كل عام قربانا لنهرهم احدى العذارى الجميلات برميها في تيار النهر الغاضب وسط حفلة دينية كبرى ، ومثل ذلك كان يعتقد السومريون والأكديون والبابليون ان الطوفان منبعث من غضب الالهة بسبب فساد البشر وآثام الانسان وخطاياه ولا بد من ترضيتهم بتقديم القرابين

اليهم ، ولقد كان الفرات لبلاد سومر وأكد بمثابة النيل لبلاد مصر ، فكان « نهر الفرات العظيم » عند السومريين والاكديين والبابليين مصدر الرخاء والحياة « خالق كل شيء » ، فهو نهر المعابد المقدسة وقد حفرته الآلهة لتنعم البلاد بنعمة مياهه ولا بد من ترضيتهم وتجنب غضبهم ، وما زالت حتى اليوم تقاليد متصلة بالمعتقد القديم المنطوي على تقديس وتاليه الماء فيقدم الناس عندنا اليوم وخاصة النساء النذر الى « خضر الياس » الذي يعتقد انه سلطان الماء وهو كائن حي موكل أبدا بالأنهر فينذرون له الشموع بوضعها على لوح صغير من الخشب ويرميها في النهر . والعادة ان تشعل هذه الشموع ليلة الجمعة وهي أفضل الليالي فيخوض شخص في النهر ويرميها وسط التيار . وقد اختلف العلماء المسلمون في اسم خضر الياس فقالوا انه الخضر وقيل أساطير كثيرة عنسه . وما زال تقديس وتاليه الماء جاريا عند الهندوكين حتى يومنا هذا .

وفي دعاء موجه الى نهر الفرات الذي كان يقده السومريون والبابليون على السواء نقش على رقيم بابلي جاء فيه ما يلي :

« ايها النهر خالق كل شيء حينما حفرتك الالهة العظام  
« اقاموا أشياء طيبة على شطآنك وفي طيات غمرك  
« بنى ( أيا ) ملك الغمر مقامه وأنعموا عليه بفيض من المياه  
« لا نظير له . فيا ايها النهر العظيم ، ايها النهر المجيد يا نهر  
« المعابد المقدسة مياهك تفرج الغصة فتقبلني برأفة وخذ  
« ما في بدني وأرم به على شطآنك وغرقه عند ضفافك وغطه  
« في اعماقك .

وفي نص بابلي آخر ورد ما يلي :-

« وكان النهر العظيم يجري كالبحر في اتساعه  
« حين انشئت أريدو وبنيت اساكيل  
« تلك اساكيل قائمة في وسط الماء العذب العميق  
« وحيث يقيم الاله العظيم المجدد  
« غرس مردوخ ( اكبر الهة البابليين ) القصب ليقف حائلا بوجه الماء  
« واقام الضفاف الترايبية ودغمها بالقصب  
« ليهيئ للالهة مسكنا في المحل الذي تتوق اليه قلوبها

وجاء لفظ الفرات في التوراة في سفر التكوين ( تك : ١٠ - ١٤ ) : « وكان نهر  
يخرج من عدن فيسقي الجنة ، ومن ثم يتشعب فيصير اربعة رؤوس منها الفرات » . كما جاءت  
لفظة الفرات في القرآن الكريم منها قوله تعالى :

« وهو الذي فرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا  
وحجرا محجورا » ( سورة الفرقان ) الآية ٥٢ - .  
« وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون

لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ( سورة قاطر ) الآية - ١١ - .

« ألم نجعل الارض كفانا ، احياء وامواتا ، وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ( سورة المرسلات ) الايات : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

٣٧ - اسباب استيطان السومريين والأكديين ضفاف الفرات دون دجلة :

يلاحظ ممبا تقدم ان المدن السومرية والأكدية القديمة كانت كلها مشيدة على ضفاف نهر الفرات في أسفل الدلتا أو على فروعه ، ويحسن بنا ان نبحت في الاسباب التي دعت الى اقامة هذه المدن على ضفاف الفرات دون دجلة : لقد سبق ان اشرنا الى ان الاراضي الزراعية الواقعة بين دجلة والفرات في جنوب الدلتا تحدر من الفرات نحو نهر دجلة . لذلك كان طبيعيا ان تسير جداول الري في هذا الاتجاه نفسه وحصر أعمال الارواء بنهر الفرات الذي تأخذ منه الجداول . وهذا تعليل للأسباب التي حدثت بالأقوام القديمة التي نزحت الى هذه الديار ان تتخذ نهر الفرات دون دجلة منطلقا لجهودها في انشاء مستعمراتها ومدنها عليه ، فقد أنشئت شبكة من جداول الري على طول ضفاف الفرات في امتداده بين « سيار » السامية و « اور » السومرية فازدحمت عليها مدن وقرى متشابكة في الجانبين على طول المسافة البالغة حوالي ٥٠٠ كيلومتر . وهذا المجال الطبيعي للتنمية الزراعية لم يكن متوفرا على ضفاف نهر دجلة لارتفاع مستوى الاراضي عن مستواه وازدياد هذا الارتفاع كلما ابتعدت الاراضي عنه .

ومن العوامل المغرية الاخرى التي اجتذبت الأقوام الى منطقة الفرات الأسفل القديم ان نهر الفرات يجري بين ضفاف منخفضة وفي عقيق ذي انحدار قليل بخلاف ما هي عليه الحال في نهر دجلة ، الامر الذي يساعد على السيطرة عليه واستغلال مياهه في الري والزراعة بسهولة . هذا فضلا عن وفرة المياه في هذه المنطقة على طول مواسم السنة حيث تتجمع المياه من كل صوب فتنتشر في السهل المنبسط بأعماق ضئيلة ممسايسهل استغلالها في الري والزراعة دون عناء كبير .

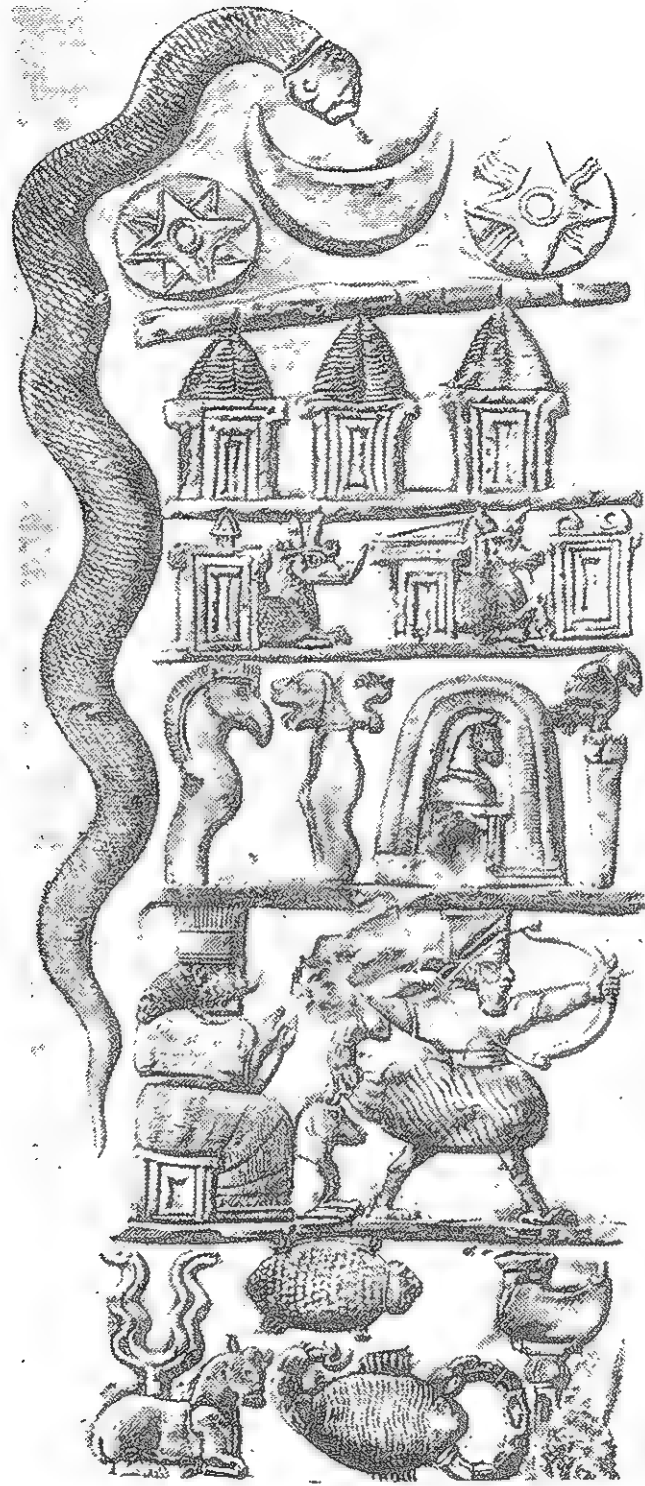
ويتميز نهر الفرات بهدوئه وبيطئه في ارتفاعه وهبوطه ، وهذا ما يجعله أكثر ثباتا واستقرارا من نهر دجلة ، وتعليل ذلك ان المنطقة التي يتغذى منها نهر الفرات بالمياه أبعد منها في نهر دجلة . اما حجم الفيضان ففي الوقت الذي تزيد مياه الفرات على كمية مياه دجلة في موسم الفيضان (٥٥) في الغالب نجد ان مياه نهر الفرات لا تتجاوز نصف كمية مياه الفيضان في نهر دجلة ، أضف الى ذلك ان الطبيعة قسدت جهز الفرات بمنخفضات طبيعية كبحيرة الجباينة ومنخفض أبي دبس ومنخفضات أسفل الفرات التي تساعد على تخفيف وطأة الفيضان من جهة وخزن قسم من المياه للاستفادة منها في الزراعة الصيفية من الجهة الاخرى . وفي العهد الاسلامي ورد حديث لابن الاثير يصف فيه نهر الفرات بالقياس الى نهر دجلة من حيث هدوئه وامكانياته الاعمارية وذلك بقوله : « نهران مؤنان ونهران كافرين ، اما المؤمنان فالنيسل والفرات ، واما الكافران فدجلة ونهر بلخ » وقد فسر ايمان الاولين بانهما فيضان على الارض فيسقيان الحرت بلا مؤنة وكلفة ، وفسر كسر الاخيرين بانهما لا يسقيان ولا ينتفع بهما الا بمؤنة وكلفة (٥٦) (انتهى في غريب الحديث) لابن الاثير ، طبعة مصر ، ج ١ ، ص ٥٤ .

وقد ذكر السير ويليام ويلكوكس ان السبب في استيطان الأقدمين للمنطقة الجنوبية من الفرات يعود الى ان المياه التي تصل الى هذه المنطقة تكاد تكون قد فقدت المواد الغرينية التي تحملها عادة في موسم الفيضان وذلك بعد انتشارها في المسافات الشاسعة من المنخفضات والاهوار ، وبذلك كان في وسع السكان ان يعتمدوا على المسود الكيماوية الموجودة في تلك المياه ليستعملوها في أغراض الري . وقد اختار السكان هذه المنطقة لانهم لم يكونوا من الكثرة في العدد بحيث يستطيعون معها استعمال المياه ذات الغرين بالنظر لما تتطلبه هذه المياه من أياد عاملة لكري وتطهير الأنهر ، الا انه بعد ان كثر عدد السكان وأصبح بإمكانهم القيام بالاعمال التطهيرية اللازمة اتجهوا الى الاقسام العليا من النهر واستخدموا المياه الغرينية وأسسوا هناك مدنا جديدة ، ويعني ويلكوكس في وصفه هنا التطور الذي اجتازه السومريون في انتقالهم من حياة الاهوار الى حياة السهل ذات الامكانيات الزراعية التي تعتمد على الري ( انظر تقرير ويلكوكس عن ري العراق ترجمته مديرية الري العامة وطبعته سنة ١٩٣٧ ، ص ٦ - ٨ ) .

### ٣٨ - الأراضي في المجتمع السومري الأكلي :

وكان نظام الاقطاع وسيلة لحفظ النظام الاجتماعي في بلاد سومر وأكد ، ففي أعقاب كل حرب يقطع الزعماء مساحات واسعة من الاراضي وتعفى من الضرائب ، وكان من واجب هؤلاء الزعماء ان يحافظوا على النظام في اقطاعاتهم ويقدموا للملك حاجاته من الجند والعتاد . وكانت تسمى هذه الاراضي « ايلكو » ، وكانت موارد الحكومة تتكون من الضرائب التي تجبي عينا فتخزن هذه الذخائر في المخازن الملكية وتؤدي منها مرتبات موظفي الدولة وعملها . وكانت اكثر الاراضي الزراعية ملكا لمعابد الآلهة والملك أو الحاكم ، وكانت هناك اراض تدار باشتراك جماعات من الزراع وفق النظام المعروف بالعائدية الجماعية ( Collective Ownership ) ولكن الملكية الفردية كانت هي السائدة ، وكان أغلب المزارعين يملكون قطعا صغيرة ، كما كان تملك الاراضي وتحويل ملكيتها يثبتان بموجب سندات رسمية مشفوعة بتواقيع الشهود ، وكانت المساحة المملوكة للفرد أو الجماعة توضع لها حدود ثابتة تعين مساحتها ، وكانت علامات الحدود « كودورو » عبارة عن ألواح حجرية عليها علامات ونقوش تبين اسم المالك وحدود الاراضي ثم تحفظ في المعابد ، ففي التصوير رقم ٩٠ نمودج من ألواح علامات الحدود « كودورو » تشاهد فيه شعارات الآلهة عشتار و هلال الاله القمر « سين » وقرص الشمس رهز الاله « شماش » اله الشمس . وفي النقوش تحتها شعارات لمجموعة من الآلهة منهم « انو » و « انليل » و « ايا » و « نابو » و نينهرشاك ( انظر التصوير رقم ٩٠ ) .

اما ملكية الجداول فمنحصرة بجماعة المزارعين والملاكين الذين يستفيدون منها ، وتقع واجبات صيانتها وتطهيرها على جميع هؤلاء . واما توزيع المياه بين المزارعين فقد كان يخضع الى نظام يراعيه الجميع ، ومع ذلك فكانت النزاعات حول تقسيم المياه بين الزراع غدير منقطعة . وكان بعض المزارعين أصحاب الاراضي يقومون بفلاحة أرضهم بنفسهم بينما كان البعض الآخر يستأجر عمالا طيلة الموسم ويدفع اجورهم بالشعير أو الصوف أو بالحيوانات واحيانا بالفضة . واذا كان المزارع فقيرا لا يملك البذور والأدوات فقد كان يرهن مزرعته حتى وقت



الصورة رقم (٩٠) - نموذج من الواح علامات الحدود « اودورو » ( المتحف البريطاني اللوح رقم ٩٠٨٥٨ ) ( انظر الفقرة ٣٨ ) .

الحصاد الا ان القانون كان يحميه من المرايين الجشعين ، وفي حالة انعدام الانتاج الزراعي لاسباب خارجة عن نطاق ارادته يعفى من الفائدة عندئذ .  
٢٩ - اتقان السومريين لعلم المساحة ورسم الخارطات:

وكانت الحاجة الملحة التي يقتضيها مسك السجلات باملاك المعابد والقصور الملكية والاقطاعات التي كان يوزعها الملوك على أتباعهم، ثم تحديد مساحات الأراضي لغرض تقدير الضرائب وتعيين القياسات ، حافزا لاتقان السومريين والأكديين علم المساحة ورسم الخارطات . لذلك يصح القول ان العالم مدين لهم بما قدموه من مبتكرات في هذا الميدان ، تلك المبتكرات التي ظل العالم يجهلها حتى تم اكتشاف البعض القليل منها في خرائب المدن القديمة بطريق الصدفة . ويرى البعض ان الهندسة في أولها كانت عبارة عن قياس مساحة الارض المزروعة .

١ - أقدم خارطة من العصر السومري الأكدي توضح نمط الحياة الريفي من خلال مشاريع الري والجداول والقرى الزراعية ( انظر المرسوم رقم ١٥ )

ومن أهم ما وصل إلينا من الآثار التي تلقي ضوءا على طراز الحياة الريفية التي عاشها السومريون والأكديون في حقولهم الزراعية الخارطة التي عثر عليها في خرائب مدينة « نيبور » ( نمر ) وهي تعود الى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . وتوضح هذه الخارطة باجلى بيان تفاصيل طراز حياة المجتمع الريفي القديم في منطقة « نيبور » وكيفية تنظيم شبكة جداول الري وتقسيمات المياه وتثبيت مواقع وملكيات الحقول الزراعية والقرى مع ذكر اسمائها ، ولم تهمل الخارطة تحديد المواقع العامة المشاع استعمالها من مجموع سكان المنطقة كالطريق والمراعي والأهوار التي ينبت فيها القصب والبردي . وتعد هذه الخارطة أقدم خارطة من نوعها معروفة في تاريخ العالم ، وهي وان كانت تعود الى عهد متأخر الا ان هناك دلالة قاطعة على ان السومريين والأكديين اتقنوا فن صنع الخرائط في أوج ازدهار حضارتهم وقد أخذ البابليون والكاشيون هذا الفن عنهم .

والنظائر ان الغاية الاساسية من وضع هذه الخارطة هي تحديد موقع الحقل الملكي في منطقة « نيبور » بدليل انها وجدت بين السجلات الملكية التي عثر عليها في « نيبور » . ويشاهد موضع هذا الحقل في وسط الخارطة وقد كتب عنده :

« حقل بين الجداول مساحته ثمانية كولات - حقل القصر » . ويدور حول الحقل جدول يبدأ في الزاوية الشرقية للخارطة فيسير نحو الجنوب الغربي ثم يعود فينحرف الى الشمال الغربي مشكلا شبه دائرة مخروطية الشكل حتى ينتهي في الزاوية الشمالية الغربية من الخارطة . وقد سمي هذا الجدول باسم « نار - يلتي » ، أي نهر الحمل أو النقل ، ويستدل من هذه التسمية انه الجدول الرئيسي الذي تنقل بطريقه المواد الزراعية باعتداده صالحا للملاحة ولا شك ان هذا الجدول كان يتمون من نهر الفرات .

ويلاحظ ان الجداول والفروع رسمت في الخارطة على شكل خطين متوازيين على النحو المتبع في الوقت الحاضر في رسم الجداول للدلالة على مجرى الماء وحدود الماء ، كما ان القسرى رسمت على شكل دوائر كما هو متبع في رسم خرائطنا الحديثة ، مع الفارق ان الدائرة التي

رسمها الأقدمون كانت دائرة كبيرة كتب في وسطها اسم القرية في حين ان الطريقة الحديثة هي جعل الدوائر صغيرة وكتابة اسم القرية خارجها .

ويلاحظ أيضا ان الحقول المنتشرة في المنطقة كان معظمها يسمى باسم القرية التي تقع فيه ، مما يدل على انه كان في كل حقل قرية خاصة بمزارعي ذلك الحقل ، ومن أمثال ذلك ان الحقل المجاور لقرية « بيت - كارنوسكو » كان يحمل اسم القرية نفسها وكذلك حقل معبد مردوخ يحمل اسم القرية الواقعة على ضفافه ، واللوح الذي رسمت عليه هذه الخارطة محفوظ في متحف جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٥٧)</sup> ( انظر الرسم رقم ١٥ ) .

ب - أقدم خارطة من خارطات الكادسترو عشر عليها بين اطلال مدينة « اوما » :

وقد وصل اليينا من آثار السومريين والأكديين اقدم نماذج من خارطات الكادسترو عرفها العالم حتى الآن . وقد نقشت على ألواح من الطين ثبتت فيها حدود الحقول الزراعية ومساحاتها وذلك بنتيجة عملية مسح حقل وحساب رياضي لا يختلفان في شيء بدقتهما عن الاساليب الحديثة المتبعة حاليا في هذا الميدان . ومن هذه الخارطات خارطة عشر عليها في اطلال مدينة « اومة » ( تل جوخة ) وهي تشتمل على حقل زراعي يدعى « ايكوروا » تعود ملكيته الى معبد الالهة « نينورا » زوجة الاله « شارا » الاله الرئيس لمدينة « اوما » وقد تم مسحه بامر الملك ( امرسن ) ثالث ملوك سلالة اور الثالثة ( ٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق م ) في السنة الثانية من حكمه . وتبلغ مساحة هذا الحقل حوالي ١٠٠ مساحة عراقية تم مسحه وتعيين مساحته بطريقة تقسيمها الى قطع من مستطيلات ومثلثات وأشكال هندسية أخرى ، وقد دونت مساحة كل من هذه القطع على افراد عدا القطعة المستطيلة في اقصى الشمال التي لم تدون مساحتها وقد ذكر عندها انها متنازع عليها ، اذ ادعى احد الاشخاص بعائديتها له ، وقد ذرعت المسافات الطولية لحدود القطع التي يتألف منها الحقل ودونت بأحد المقاييس الطولية التي استعملها السومريون والاكديون وهو « الكار » الذي يساوي زهاء عشرين قدما ( ٦ أمتار ) . اما المساحات فقد دونت مساحة كل قطعة على افراد بالمقاييس السطحية المعمول بها آنذاك وذلك بعد احتسابها وفق الأصول والقواعد الهندسية المتبعة حاليا . والمقاييس السطحية الشائعة في تلك الازمان هي : « السار » ويساوي « كارا » مربعا أي حوالي ٤٠٠ قدم مربعة أو ٣٦ مترا مربعا ، و « الايكو » ويساوي مائة « سار » و « الاوبو » ويساوي خمسين « سارا » و « الديس » ويساوي ٢٥ « سارا » ، و « الايز » ويساوي ستمائة سارو « البور » ويساوي الفا وثمانمائة « سار » . وقد دونت مساحة كل من القطع الهندسية التي يتألف منها الحقل وعددها خمس بالمقاييس السطحية المذكورة ، وكان مجموع مساحة الحقل في ضوء هذه الحسابات ٧٤٠٠ « سار » ، أو ٤ « بور و ٢ أيكو » أو حوالي مائة عشرة عراقي والمشاركة العراقية تساوي ٢٥٠٠ متر مربع . وقد دونت مساحة كل من القطع الهندسية التي يتألف منها الحقل وعددها خمس بالمقاييس السطحية المذكورة على الوجه الآتي :

١ - القطعة ك ج ف ي : ٢ بور ، أيكو ، ١ أوبو = ٣٦٧٥ سار

٢ - القطعة ي م س هـ : ١ بور ، أيكو ، ١ أوبو = ١٩٥٠ سار

٤ - الحديقة المركزية لمدينة « نيبور » المسماة باسم « كيرى شا اورو » الذي يعنى حرفيا « بستان » أو « حديقة قلب المدينة » .

٥ - بناء المعبد المسمى « اشماخ » في ضواحي المدينة .

٦ - نهر الفرات ، وهو يؤلف الحد الغربي للمدينة وقد سمي بالصيغة السومرية القديمة « بوراتن » .

٧ - الجدول المسمى « نبردو » ، وهو يحدد المدينة في الجهة الشمالية الغربية .

٨ - النهر المسمى « ادشا اورو » ، ويجرى في وسط المدينة ويعني اسمه حرفيا « نهر قلب المدينة » .

٩ - سور الجانب الغربي للمدينة وابوابه الثلاثة ( الارقام ١٠ و ١١ و ١٢ ) .

١٣ - السور الجنوبي الشرقي وابوابه الثلاثة أيضا ( الارقام ١٤ و ١٥ و ١٦ ) .

١٧ - السور الشمالي الغربي وبابه ( رقم ١٨ ) .

١٩ - الخندق الموازي للسور الشمالي الغربي ، وقد سمي « خريتم » وهي كلمة أكديّة تعني الخندق .

٢٠ - الخندق الموازي للسور الجنوبي الشرقي ، وقد سمي « خريتم » أيضا . ( انظر

المرسم رقم ١٨ ) .

هـ - اقدم خارطة طبوغرافية من العصر السومري الاكدي

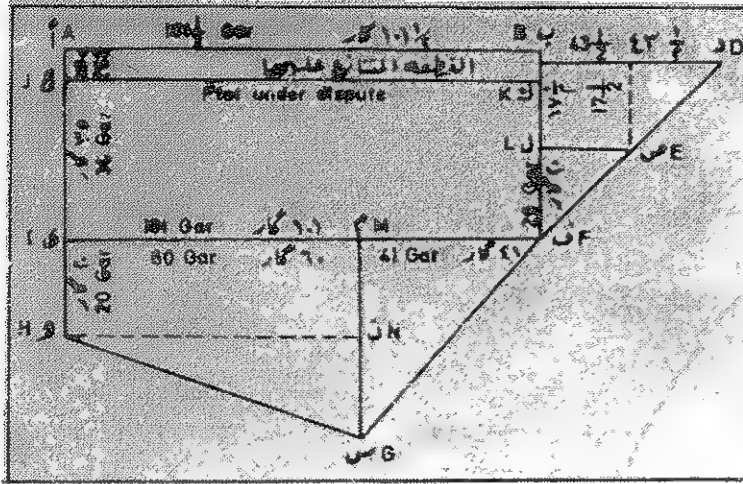
وقد وصلت الينا خارطة أخرى من تلك العصور السومرية الاكديّة هي خارطة طبوغرافية لمنطقة واسعة فيها الجبال والانهر والقرى الخ . وتعد هذه الخارطة اقدم خارطة معروفة من هذا النوع في العالم ، يرجع تاريخها الى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد عثر عليها في التلول المعروفة باسم « ويران شهر » او « يورغان تبه » الواقعة على بعد حوالي ثمانية أميال من جنوب شرقي كركوك . وقد توصل علماء الآثار الى ان هذه التلول من بقايا مدينة « نوزى » التي ازدهرت في العهد الاكدي وكانت تعرف آنذاك باسم « كاسور » ، ثم استولى عليها الحوريون وهم أقوام موطنهم الأصلي «أورارتو» (أرمينية) فأسسوا مركزا مهما في شمالي العراق وفي منطقة البليخ والخابور في سورية ، وقد اندمجوا بالشعب الاكدي السامي وغيروا اسم بلدهم كاسور الى « نوزى » .

والخارطة مكتوبة بلهجة أكديّة خاصة غيرانها تستعمل الفاظا حورية . وقد اشترت المقاطعة المراد تشيبتها على الخارطة بإشارة دائرة في الوسط وكتب عندها : « ١٨٠ + ١٨٠ - ٦ = ٣٥٤ كار او ايكو من الاراضي الزراعية » . وهذه تساوي حوالي ٤٦٠ مشارة عراقية ، كما ثبتت في اليمين دائرة أخرى كتب عندها « تعود الى ازالا » . وتوجد في الخارطة ثلاث دوائر أخرى يشير كل منها الى اسم قرية الا ان كتابة اسمائها قد مسحت عدا الكتابة عند الدائرة الواقعة في الركن الايسر من أسفل الخارطة التي هي واضحة وتشير الى اسم « ماس - كم - باد - ايب - لا » . والبارز في هذه الخارطة انها تشير الى الغرب والشرق والشمال ، اما الجنوب فقد تلم القسم الذي عليه الكتابة ، ووقعت كلمة « ايم مار - تو » ( اي غرب ) في أسفل الخارطة ، وكلمة



## المؤتمس رقم (١٦) أقدم خارطة كادسترو سومرية

### Sumerian Cadastral Mapping



ان أقدم خارطة كادسترو وصلت إلينا من المهود السومرية الخارطة المدونة على هذا اللوح عثر عليها في أطلال مدينة «أوما» (تل جوخة) . ويرجع تاريخ هذه الخارطة إلى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد وتشتمل على قطعة أرض زراعية مساحتها حوالي ١٠٠ مشارة عراقية تعود ملكيتها إلى معبد الالامة «ننورا» . وقد تم مسحها وتعيين مساحتها بطريقة تقسيمها إلى قطع هندسية ثم دونت مساحة كل من هذه القطع على أفراد ، وهذه نفس الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر .

The measurement of landed property commenced early since it was the social needs of early civilized man that resulted in its invention and development. The earliest form of surveying of which

civilized man had need was certainly that by which he measured the cultivated piece of land by means of which he supported his family, and which he could leave to his heir in land charters known as "Boundary Stones".

This Sumerian cadastral map is an example of the earliest cadastral map known to us from ancient sources drawn on clay tablets. The text on the map reads : "4 bur 2 iku of land belonging to the goddess "Ninurra", the field "Egurea", the king by his authority caused to be surveyed". The Sumerian square measure "bur" is equivalent to 1800 "sar" and the "iku" to 100 "sar", the "sar" measuring about 36 square metres. Thus the total area of the field is estimated at about 100 Iraqi Masharas of 2500 square metres each. The goddess "Ninurra" to whom this tract of land belonged was the consort of the god "Shara", the principal god of the city of "Umma". The main dieties of each city had lands assigned to them, the income of which supported their temples. It is certain, then, that the field "Egurea" mentioned in the text and shown on the map was located in the territory of the city of "Umma". It is concluded from the text which furnishes the well known date formula that the date of the map is the second year of King Omar-Sin, the third king of the Third Ur Dynasty (2047-2039 B.C.). The purpose of the survey seems not to have been to determine the boundary lines which are taken for granted but to calculate the area within the accepted boundaries. The method used in computing the area was by dividing up the property into a number of sections consisting of right angled triangles, rectangles and trapezoids, and by measuring the dimensions the area of each geometric figure is calculated separately, then the total area of these figures form the actual area of the tract. In this case the tract is sub-divided into six separate but contiguous figures one of which, the upper one, was not included in the survey in spite of giving its dimensions. This was described as "inin-gal-la", a Sumerian term which means someone has legal claim on this piece of land..

The area of each of the 5 figures is given in Sumerian square measures as follows :

- 1 - The rectangle JKFI : 2 bur, 1 ubu, 1 dis = 3675 sar.
- 2 - The trapezoid IMGH : 1 bur, 1 iku, 1 ubu = 1950 sar.
- 3 - The triangle MFG : 1 ese, 3 iku, 1 dis = 925 sar.
- 4 - The triangle LEF : 2 iku, 1 ubu = 250 sar.
- 5 - The trapezoid BDED : 1 ese = 600 sar.

$$7400 \text{ sar} = 4 \text{ bur, } 2 \text{ iku}$$

The Sumerian square measure "ubu" is equivalent to 50 sar the "dis" to 25 sar and the "ese" to 600 sar. The linear measure "gar" is equivalent to about 20 feet [ 6 metres ].

[ See : F. Stephens, "A Surveyor's Map of a Field". Journal of (uneiform Studies, Vol. VII, No. 1, 1953, pp. 1-4. ]

It is to be noted, in this connection, that the method adopted in computing the areas, the alphabet of map making, the conventional signs are all the same as those used by us to-day. It is only the finer finish lent by modern mechanism to our Cartography that makes the ancient maps look so crude and primitive by comparison.

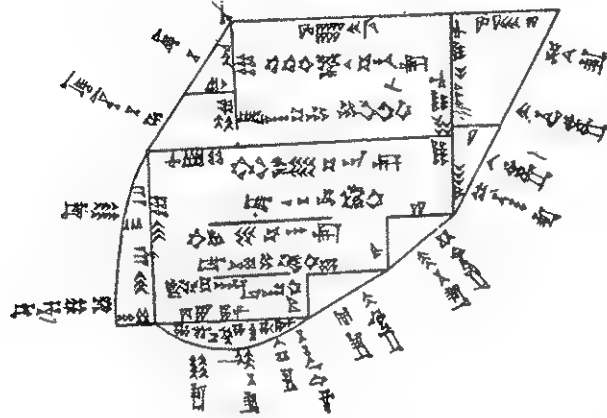
« ايم - كور » ( اي شرق ) في أعلى الخارطة ، وكلمة « ايم - مير » ( اي شمال ) داخل المستطيل الذي في الجانب الايسر من الخارطة .

ومن الواضح ان هناك سلسلة من الجبال في الحدود الشرقية وسلسلة في الحدود الغربية من الخارطة ، والراجح في نظرنا ان الخطوط المتقطعة في المستطيل الذي يمتد في الجانب الايسر من الخارطة على طول الجهة الشمالية يمثل مجرى نهر رئيس يحتمل كونه نهر الزاب الصغير الذي يجري من الشرق الى الغرب كما هو عليه في الحال الحاضر ، ومن المحتمل ايضا ان الجدول الذي يخترق الخارطة ويمتد من الزاوية اليسرى في أسفل الخارطة الى الزاوية اليمنى في أعلى الخارطة هو النهر القديم الذي كان يجري في هذه المنطقة وقد سمي في العصر العباسي النهر العباسي ويجري في اتجاهه اليوم جدول الحويجة الحالي . وقد سمي هذا الجدول « را - هي - اوم » اي المثر او المخصب ، ويلاحظ ان هناك ثلاثة صدور للجدول تأخذ كلها من النهر الرئيسي وهذا يتفق والطريقة القديمة التي كان يعمل بها عند انشاء جداول الري ، وهي ان يفتح اكثر من صدر واحد للجدول وذلك لاستعمال كل من هذه الصدور في موسم معين وما زالت آثار الصدور العديدة لنهر العباسي ظاهرة منها النهر المعروف بنهر القيل . اما الفرع الذي يأخذ من الجدول وهو الفرع الذي يمتد من الزاوية اليمنى في أعلى الخارطة الى أسفلها فمن المحتمل انه يتشعب من الجدول لارواء الاراضي الواقعة في أسفل الخارطة ما وراء سلسلة الجبال الغربية فيرى البعض احتمالات اخرى غير واردة اصلا كاحتمال كون النهر الرئيسي ذي الخطوط المتقطعة نهر الفرات<sup>(٥٦)</sup> ( انظر المرسوم رقم ١٩ ) .

و - اقدم خارطة للعالم كما رسمها اهل الرافدين القدامى :

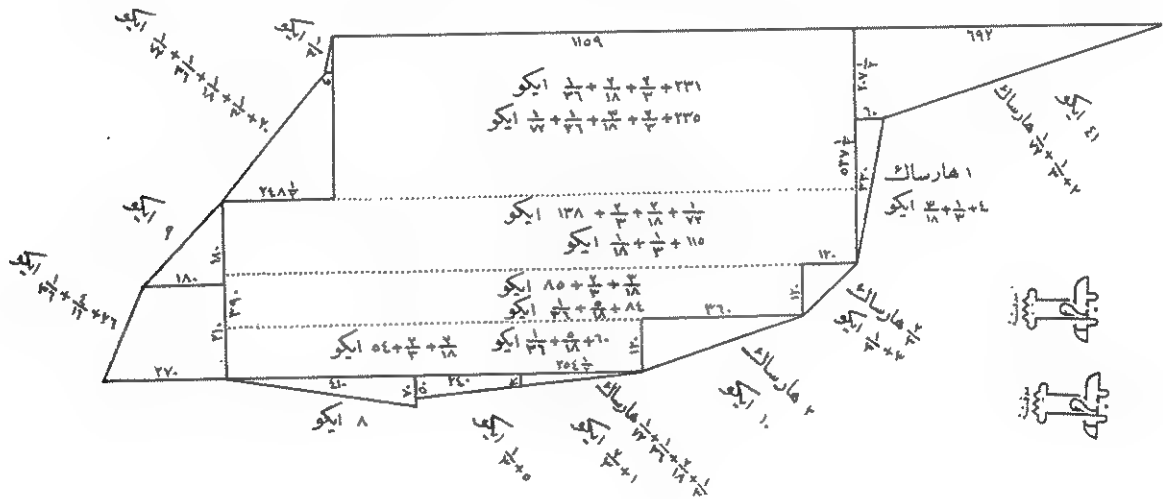
كانت معرفة سكان وادي الرافدين القدامى جغرافية العالم محدودة اذ كان الرأي السائد في تلك العصور ان الاراضي سهل فسيح على شكل دائرة ( على هيئة القرص ) او جزيرة متسعة يحيط بها بحر لا نهاية له ( البحر المحيط السماوي ) على أطرافه بلاد تسكنها الالهة وغيرهم من الاشباح الوهمية وغلب على الناس زعم ان الارض طافية على المياه . وأقدم خارطة للعالم معروفة حتى الان هي الخارطة التي وصلت الينا من العهد البابلي تعود الى القرن السادس قبل الميلاد ، وقد رسمت على لوح من الطين لتمثل حملة سركون الاكدي على بلاد آسيا ( القرن الرابع والعشرين ق م ) ، وهي تصور الارض على هيئة دائرة يحيط بها الاوقيانوس السماوي فيدور في دائرة اخرى حول الارض وقد سمي « النهر الحاد » . كما وردت الاشارة الى هذا الاوقيانوس السماوي ومعه منطقة البروج في المتن المدون على اللوح نفسه . ويشاهد في الخارطة نهر الفرات وهو يخترق وسط الدائرة من الشمال الى الجنوب وقد رسم على شكل خطين متوازيين ورسمت عليه بابل على شكل مستطيل تقطع نهر الفرات بصورة عمودية في نقطة تقع فوق وسط الدائرة بقليل باعتبارها مركز العالم . وتشاهد في اليمين داخل دائرة الارض دائرة صغيرة كتب داخلها « بلاد آشور » ، وقد رسمت دوائر لمداين اخرى في يمين الفرات ويساره وكتبت اسماؤها بعضها داخل الدوائر ، ومن هذه المدائن « دير » في الجنوب الشرقي من الفرات و « بيت ياقين » في الجنوب عند مصب الفرات . كما وسمت الجبال في الشمال حيث ينبع منها نهر الفرات وكذلك الاهوار في

**المرتسم رقم (١٧)**  
**نموذج ثان لخارطة كادسترو من العصور السومرية القديمة**  
**ANOTHER EXAMPLE OF A SUMERIAN CADASTRAL MAP**



في هذا اللوح السومري نموذج لخارطة كادسترو ثانية مماثلة لخارطة «أوما» التي بحثت في اللوح ١٥ عثر عليها في خرائب «اسكاش» (نلو) وهي مرسومة على لوح من الطين طوله ١٢٧ سم وعرضه ١٠٨ سم. وقد دون تاريخ رسم الخارطة على ظهر اللوح وهو يعود إلى سلالة أور الثالثة أيضاً الملك أبي - سن (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م.) ، وتشتمل هذه الخارطة على قطعة أرض زراعية تبلغ مساحتها ٦٤٠ «ابكر» أي حوالي ٩٢٠ مشارة . وقد تم احتساب مساحة هذه القطعة على النحو الذي أشرنا إليه في البحث عن حقل أوما المتقدم ، قسمت المنطقة إلى قطع بأشكال هندسية ذات أضلاع مستقيمة

ودونت مساحة كل منها برقمين متقاربين مما يدل على أن هذه القطع مسحت من قبل مساحين اثنين ودونت نتائج ذراعتهما عليها للتأكد من صحتها . وفي المرسوم الأعلى تشاهد أولاً الخارطة الأصلية ثم تحتها غنطت حسب الأبعاد المدونة على الخارطة الأصلية مع ترجمة الأرقام .

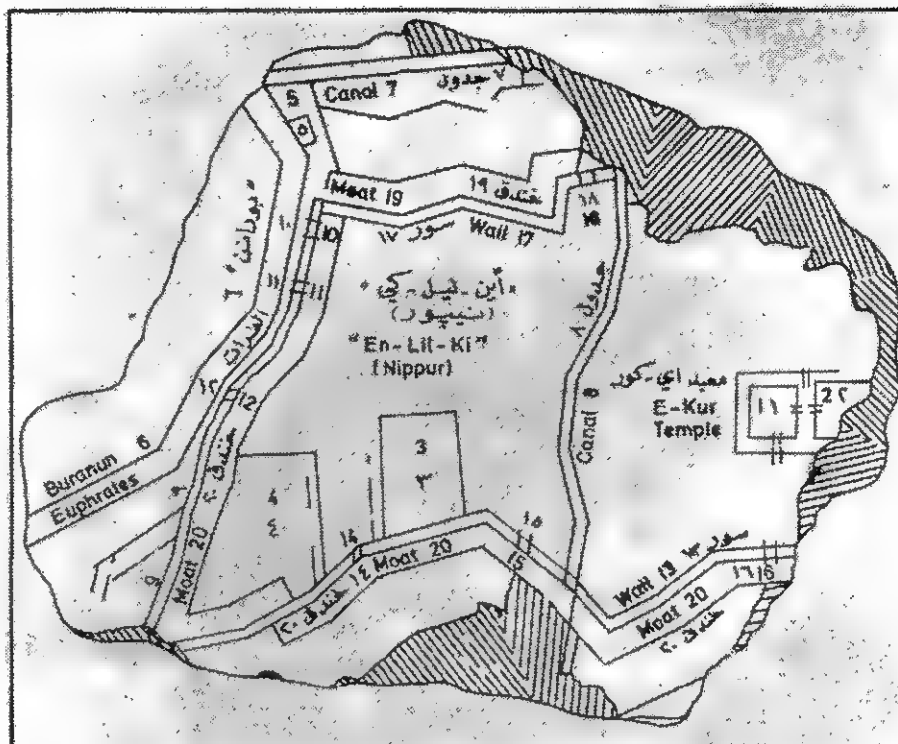


أقدم خارطة من خرائط المدن — خارطة مدينة نيبور السومرية  
 المرقم رقم (١٨)

Plan of the Sumerian City of "Nippur"

This is the earliest city map known from ancient times containing the plan of "Nippur" and its enclosure. It was found among the ruins of the city of "Nippur" by excavators in one of the earliest expeditions and was used by them as a guide for conducting the excavations.

It is a large fragment of a clay tablet (18×21 cms) dating from the first half of the 2nd millennium B. C. In the plan the positions of the temples, the buildings, the walls with their gates, the canals and rivers are marked and mentioned by names scribed in a mixture of Sumerian and Akkadian languages. Some names are written in the old Sumerian cuneiform signs.

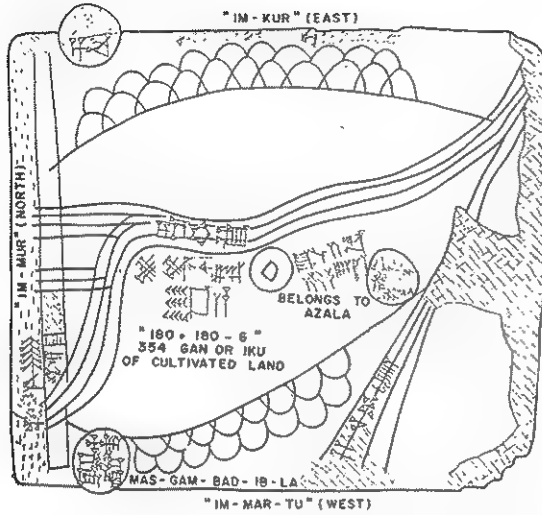


The name of the city of "Nippur" is written in the old Sumerian signs "En-Lil-ki", i. e., the seat of the god "Enlil", the head of the Sumerian Pantheon. The enclosures of the city are represented on the map with numbers as follows :

1. "E-Kur", which means (the Mountain House) and is the most renowned Sumerian temple of Enlil.
2. "Ke-Ur", a temple near the temple "E Kur" belonging to the gods of the Nether World.
3. A mansion named "Ani-gi-na" surrounded by a wall.
4. The public park of the city named "Kirishauru", which means: "The Garden in the heart of the City".
5. The building of the temple "Ashmakh" in the vicinity of the city.
6. The Euphrates River which constitutes the western edge of the city. It is called in the old Sumerian language (Buranun).
7. The canal "Nin-bir-du" forming the north western edge of the city.
8. The canal "Edsha-Uru" crossing the centre of the city.
9. The western city wall with its 3 gates (Nos. 10, 11 & 12).
13. The southern eastern wall with its 3 gates (Nos. 14, 15 & 16).
17. The north western wall with its one gate (No. 18).
19. The moat adjoining the north western wall. It was called "Kbreitem" which means (moat) in the Akkadian language. It is believed that the map was drawn to scale, even though this was not clearly stated, most probably the Sumerian linear measure "Gar" which is equivalent to 12 cubits (about 20 feet) was used. So the number 30 given for the width of the mansion "Ani-gi-na" means 600 feet and the number 4 given for the width of the canal Edsha-Uru means 80 feet. (See: H. V. Hilprecht, "Explorations in Bible Lands", 1903, p. 519; C. S. Fisher, "Excavations at Nippur", 1903, p. 12, Plate I; S. N. Kramer, "From the Tablets of Sumer"; E. Chiera, "They Wrote on Clay").

الترسيم رقم (١٩)  
أقدم خارطة طبوغرافية من العصور القديمة

Earliest Topographical Map Known From the Ancients



هذه أقدم خارطة طبوغرافية معروفة من العصور القديمة وضعت على لوح من الطين لتعين موضع مقاطعة معينة في جوار كركوك بالنسبة الى المناطق المجاورة ، عثر عليها في التلول المعروفة باسم « بورغان تبه » ( مدينة نوزي القديمة ) الواقعة على بعد حوالي ثمانية أميال من جنوب شرقي كركوك . ومدينة ( نوزي ) هذه ازدهرت في العهد الأكدي وكانت تعرف آنذاك باسم « كاسور » ثم استولى عليها الحوريون وهم أقوام موطنهم الأصلي « اورارتو » ( أرمينية ) فأسسوا مركزا مهما في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد في شمال العراق وفي منطقة البليخ والتخاور في سورية وقد اندمجوا بالشعب الأكدي السامي وغيروا اسم بلدة « كاسور » الى ( نوزي ) .

The earliest topographical map known to us from the ancients is that found in the ruins of the ancient city of "Nuzi", the name of the Hurrian provincial centre, which dates back to the second millennium B. C. The mound of "Nuzi" is situated at a distance of about 13 kilometres southwest of Kirkuk, and the map was found among business documents, having been apparently prepared to indicate the location of some estate. In the centre of the map is a circle, to the left of which is inscribed: "180 + 180 - 6 (354) Gan or Iku of cultivated land" (slightly more than 300 acres). To the right of the circle is another inscription reading as follows: "belongs to Azala". Other circles on the map indicate cities and they are written within the circles. Only one of them in the lower left corner of the tablet is preserved, viz, "mas-gam-bad-ib-la".

A striking feature of this map is that it indicates the west at the lower side of the map bearing the signs "im-mar-tu". The opposite side is inscribed "im-kur" (east) and on the left side the legend "im-mur" is written, viz. (north). Two mountain ranges are very clear, one in the west and the other in the east. The southern edge of the map has lost its upper surface, so no inscription is preserved here. Running through the centre of the map from north to south, is a canal inscribed "ra-hi-um", viz, "the fructifier" taking off by three heads from a main river marked with broken lines showing the source of water supply which in my opinion could not be other than the Lesser Zab River. Some distance along the course of the canal a branch takes off running from east to west, this being an irrigation channel leading to the agricultural lands. Providing three heads for the canal was a very familiar practice by the ancients due to the lack of regulating structure of masonry, this being a necessary measure for avoiding the silting of the canal head. Each of these heads is used in one season. The upper one is usually used in the low water season while the lower one is used in flood season. Another spare head is usually dug to be used during the periods in which the silt is being removed from the bed of the canal head. The opinion held by some archaeologists that the canal empties into the large river by three channels can hardly be admitted by any irrigation expert. The suggestion advocated by some authors that the river on the map is the Euphrates River is certainly out of the question. The tablet on which the map is scribed is preserved in the Semitic Museum of Harvard University. ( Bulletin of the American Schools of Oriental Research No. 42, pp 7 ff. and No. 43, 2 ff. ; Harvard Semitic Series, "Excavations at Nuzi". By T. J. Meek, p XVII ).

الجنوب حيث مصب نهر الفرات • وكان للجبال مغزى ديني في معتقدات سكان وادي الرافدين القدامى فهي باعتقادهم توازن الارض وتمسكها عن الميلان وفيها تكمن وسائل الحياة التي تبعث الخضرة وتحمل الماء في الاودية وترسل الامطار • وقد رسمت سبعة مثلثات خارج المحيط السماوي على أطراف الاوقيانوس دونت عليها مسافات تشير الى بعد بعضها عن بعض • والراجح ان هذه المثلثات كانت في عقيدة أهل بابل القدماء الجزائر الكونية المحيطة بالعالم وهي مقر الالهة • والمهم في هذه المثلثات انه كتب عند المثلث الشمالي « لا ترى الشمس هنا » ، وهذا يدل دلالة واضحة على ان البابليين كانوا على معرفة بطبيعة القطب الشمالي والظلام الذي يسوده • واللوح الذي رسمت عليه هذه الخارطة محفوظ في خزانة المتحف البريطاني ( انظر المرسوم رقم ٢٠ ) ( ٦٢ ) •

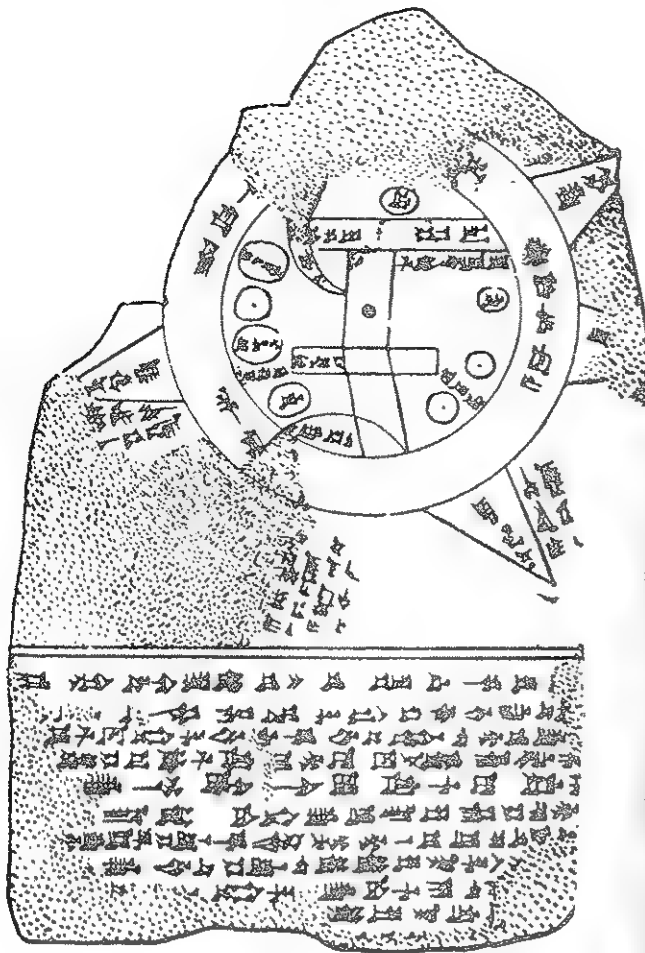
٤٠ - أقدم تقويم زراعي من العصر السومري البابلي :

وأقدم المعلومات عن طرق الزراعة والارواء التي كان يمارسها سكان العراق القدامى وصلت الينا موضحة في تقويم سومري عثر عليه في خرائب مدينة نيبور • ومن الغريب المدهش ان الاوصاف التي ينطوي عليها هذا التقويم تدل على ان طرق الري والزراعة التي كانت تمارس في تلك الازمان لا تختلف في شيء عن طرق الري والزراعة التي يطبقها الفلاح العراقي في الوقت الحاضر • ويشتمل هذا التقويم على نصائح وارشادات يوجهها احد المزارعين الى ولده حول طريقة ادارة شؤون مزرعته وطريقة اعداد الارض وانجاز عملية الحرث وتنظيم الري في حقله كي يحصل على أجود منتج وأوفر محصول • وقد دونت هذه الوثيقة التي يرقى تاريخها الى ما قبل أكثر من اربعة الاف عام على رقيم من الطين يتكون من ١٠٨ أسطر بالخط المسماري باللغة السومرية ، وهي تعد أقدم تقويم معروف في تاريخ الحضارة عن الاساليب للري والزراعة المتبعة في تلك الازمنة القديمة • وما لا شك فيه ان هذه القواعد في تنظيم الري والزراعة في الحقول كانت معروفة لدى السومريين الاوائل قبل ذلك العهد وظلت معروفة لدى البابليين في العصور التي تلت حيث عثر على قطع من نفس هذه الموسوعة نقلها البابليون عن النص السومري ، ومن المرجح ان الساميين الاوائل قد سبقوا السومريين في معرفة هذه القواعد وقد طبقوها في زراعة حقولهم في منطقة أكد ( انظر التصوير رقم ٩١ ) •

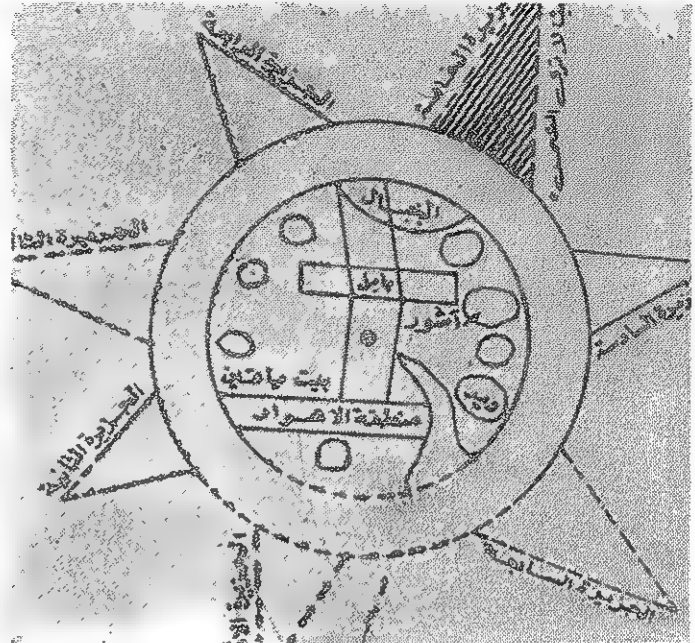
وتبدأ هذه الوثيقة بالمقدمة في السطر الاول منها القائل : « في قديم الزمان زود فلاح ابنه بهذه الارشادات وتنتهي بالقول ان المبادئ الزراعية الواردة فيها ليست من عند الفلاح وانما هي مبادئ الاله « نورتا » الاله الحقيقي وابن كبير الالهة السومرية « ائليل » • وتتناول السطور الستة التي تلي المقدمة التمهيد للسقية الصيفية الاولى واعداد الارض بترتيبها ليسهل العمل فيها وهذه على ما يظهر من النص تقسم في حزيران وتموز ، من هذا يستدل على ان المقصود هنا المزروعات الشتوية المتكونة من القمح والشعير وان الارض كانت باثرة خلال السنة السابقة عملاً بنظام التبوير ، أي زراعة النير والنير المعمول به في الوقت الحاضر •

وتبدأ الارشادات بالنصائح المتعلقة بطريقة السقي كبذل العناية لئلا يرتفع الماء ارتفاعا كبيرا فوق الحقل والمحافظة على الارض المسقية من دوس البقر وغير ذلك بعد ان يفيض الماء وكذلك مراقبة

المقسم رقم (٢٠) - أقدم خارطة للعالم كما رسمها أهل الرافدين القدامى ( انظر الفقرة ٣٩ و ) .



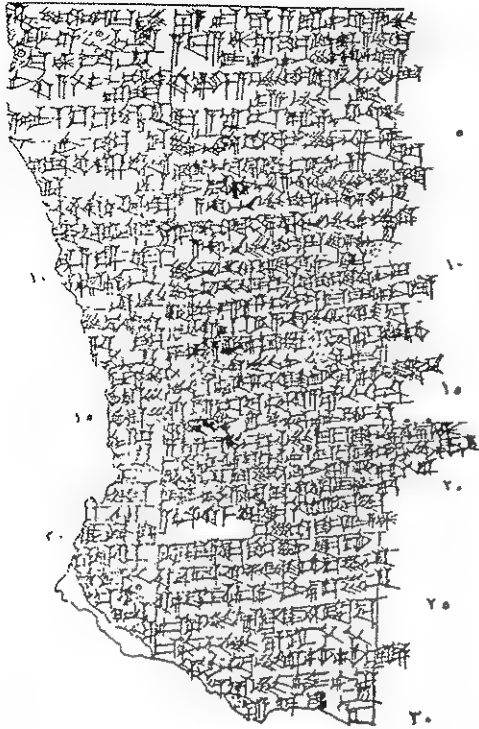
كان الرأي السائد في تلك المصور السحيقة أن الأرض سهل فسيح على شكل دائرة أو جزيرة متسعة يحيط بها بحر سماوي وأن على أطرافه بلاداً تسكنها الآلهة ، وغلب على الناس زعم أن الأرض طافية على المياه . وهذه أقدم خارطة معروفة للعالم تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد رسمت على هذا الشكل تمثل حملة سركون الاكدي ( ٢٣٥٠ ق.م . ) على بلاد آسيا الصغرى . ويشاهد في الخارطة نهسر الفرات وقد رسمت عليه مدينة بابل في الوسط والجبال في الشمال والاهوار في الجنوب كما اشر على الخارطة موقع آشور وغيره من المواقع .



The early conception of the universe figured a disk-shaped earth floating in a limitless heavenly sea, on the edges of which lived the human race and imaginary phantoms, with the vault of Heaven arching above it, and the firmament over all. It was universally held that the earth floated on water. This notion was accepted by the Greeks and Romans, and through the Scriptures it was carried over to the Christian Europe of the Middle Ages.

The earliest world map now existing is that which has survived from the early Babylonian period. It delineates the world in the form mentioned above. It was drawn on a clay tablet dating from the Persian period and believed to be a copy of an older original. The written text relates to the exploits of Sargon of Akkad (24th Cent. B. C.) and the map is intended to illustrate the scenes of his campaigns. The world as pictured on the map was a flat round disk encircled by the early ocean called "the Bitter River" and the "Heavenly Ocean". The River Euphrates flows lengthwise through the midst of the earth and the city of Babylon "Bablu" is indicated by a rectangle placed across the river just above the middle of the map. On the right side of the map is marked "Assur" [ Assyria ] within a circle. The positions of other cities and districts mostly with names written on them are indicated by circles. Of these "Deri" [ the present Arabic name for convent ] located below 'Assur' is labelled by name. "Bit-la kinu", the southern district of Babylonia, is depicted by a rectangular projection near the Arabian Gulf on the edge of a region labelled as full of canals and marshes. In the northern side of the circular plain is marked a district, labelled as mountainous.

Beyond the circular ocean, labelled as "marratum", the Gulf, are drawn a series of seven triangles with their bases resting on the outer edge of the ocean. Each of these is labelled "nagu" [ region ] or district. The Babylonians vaguely imagined of other lands beyond the "Heavenly Ocean" where the Pantheon lived. The fifth region bears the significant note: "where the sun is not seen". It lies in the north which denotes that the Babylonians knew of the polar night. In the fourth region semi-obscure reigns: in the sixth dwells a hostile horned bull. In the seventh region the sun rises. For a long time this cosmos was the accepted idea of the world, but every nation saw it with a different centre. [ Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, Part XXII, Pl. 48, p. 12; "Babylon die Heilige Stadt, Berlin und Leipzig, 1931, pp. 20-24; "Yale Oriental Series - Researches, Vol. XVI, 1930, pp. 273-276 ].



### الصورة رقم (٩١)

اقدم تقويم زراعي في تاريخ الحضارة دون على رقيم من الطين بالخط  
المسماري وباللغة السومرية ويحتوي على تعليمات عن اصول الزراعة  
والري خطوة خطوة منذ بداية البذر الى زمن الحصاد ( نسخة يدوية عن  
صموئيل كريمر « من الواح سومر » ) .

*This Sumerian clay tablet represents the earliest known  
account of agricultural & irrigation techniques written in  
cuneiform script. ( from " The Tablets of Sumer ",  
by S.N. Kramer, 1956 ) .*

اخاديد السواقي لتلا فيض الماء من خلالها ، ثم يلي ذلك عملية تطهير الحقل من الحشائش وجذور  
النباتات المتروكة من موسم الحصاد السابق . وقد نصح الفلاح بان يقوم بها خلال شهري تموز  
وأب بعد ان تكون الارض قد لانت بالسقية الاولى على أن يتم ذلك بفؤوس حادة . ويتحتم  
قلع أعقاب النباتات القديمة باليد وحزمها حزمًا كما يتحتم ازالة الخضر والثقوب الضيقة بالمسلفة  
وتسوية الارض وتقسيمها الى اجزاء متساوية ، كما يلزم احاطة الحقل بالسياج من جوانبه  
الاربعة .

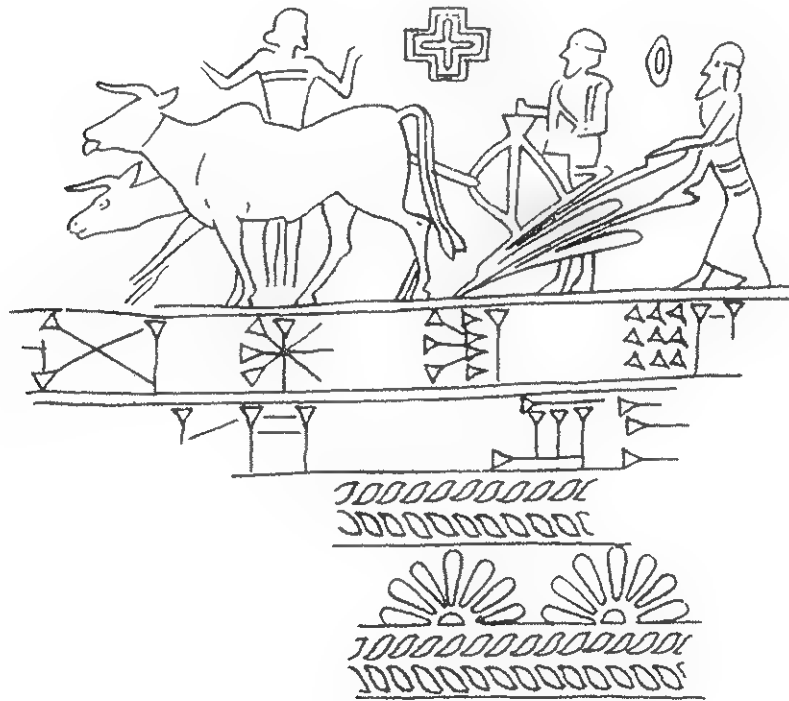
ثم يأتي ارشاد الفلاح بان يتهيأ للاعداد الى عملية الحرث فيجعل أفراد أسرته والمساعدين  
الاجراء يهيئون مقدما الالات والادوات الضرورية والسلال والاوعية الى غير ذلك . ونصح ان يكون  
لديه ثور اضافي للمحراث ثم قبل ان يبدأ بالحرث يجب عليه ان يغرق الارض ويكسرها بالفأس مرة  
وبالرص مرة ثانية ، ويجب استعمال المدق اذا اقتضى الامر لسحق كسر المدر ، كما ارشد ايضا  
بان يشرف على عماله الاجراء ليضمن عدم تهاونهم في انجاز عملهم .  
١ - آلة للحرث والبذر في آن واحد :

وكانت عمليتا الحرث والبذر تجريان معاً في آن واحد بمحراث خاص اخترعه السومريون  
تشاهد صورته منقوشة على ختم اسطواني عثر عليه في خرائب ( نيور ) ويرجع تاريخه الى القرن  
الرابع عشر قبل الميلاد . والمحراث ، هو عبارة عن آلة حارثة تشبه المحراث المستعمل في الوقت  
الحاضر يجرها ثوران يمشي سائقها الى جوارهما ، ووراء الآلة رجل اخر يمسكها بمقبضين



بكلتا يديه • وفي الآلة رأس دقيق جدا عند طرفها هو أشبه بالسنان المدب تحفر بواسطته الأخاديد التي يحدثها المحراث • وفوق سن المحراث ثبتت انبوبة عمودية مسندة من الجانبين ينتهي أعلاها بقمع ، وكانت مهمة رجل ثالث يسير الى جانب الرجل الذي يقود الآلة القاء الحبوب بالقمع من غرارة للحبوب معلقة في كتفيه فتتوزل الحبوب من القمع الى الانبوبة ومنها الى الأخاديد التي يحدثها المحراث ( انظر التصوير رقم ٩٢ ) •

وقد ارشد الفلاح بان يحرق ثمانية خطوط او أخاديد في كل شقة مقدارها عشرون قدما تقريبا ، كما نصح بان يجعل البذور تنزل في خطوط الحرق الى أعماق متساوية وان يراقب من ينثر البذور بحيث يجعلها تتخلل الحرق بعمق أصبعين بصورة منتظمة • واذا لم يتغلغل البذور في الأرض على الوجه الصحيح فعليه ان يبدل سكة المحراث أو كما ورد في النص ( لسان المحراث ) ، ثم عليه ان يحرق بعد الخطوط المستقيمة خطوطا مائلة ثم خطوطا مستقيمة • وبعد نثر البذور ينبغي ازالة المدر ( حجارة الطين الصلبة ) من خطوط الحرق لنلا يعوق وجودها انبات الحبوب • ويستمر الخير في ارشاداته بقوله : في اليوم الذي تنثر فيه البذور على الأرض يلزم الفلاح ان يقدم الصلاة الى الاله « ن كلم » الخاصة بجرذان الحقل وحشرات وديدانه ، لنلا تضر هذه الحشرات الغلة النامية ، كما ينبغي عليه ان يطرد الطيور •



#### الصورة رقم (٩٢)

مشهد للحراثة تظهر فيه آلة حارثة بأذرة نقش على ختم اسطواني يرجع الى ما قبل حوالي أربعة آلاف سنة عثر عليه في مدينة « نيبور » السومرية

*Reconstruction of Ploughing Scene from Cylinder Seal Impression on "Nippur" Tablet showing Seeder Plough dating back to about 4000 years ago ( "The Story of Man. " By C. S. Coon, 1954 )*

#### ب - طريقة الارواء ومواقيتها :

ومتى نما الشعير نموا كافيا بحيث يسلا خطوط الحرث فعلى الفلاح ان يرويه واذا تكاثف الزرع في نموه وملا الحقل وصار بهيئة ( الحصير في وسط السفينة ) فعليه ان يسقيه مرة اخرى ، ومرة ثالثة يجب ان يسقي الغلة واذا لوحظ احمرار في الزرع المستقي فان ذلك دلالة على وجود الآفة الزراعية المخيفة التي تسمى ( سمافو ) المهلكة للزرع والغلة . واذا تحسن حال الزرع فعليه ان يرويه مرة رابعة وبذلك يضمن الحصول على زيادة في الانتاج بمقدار عشرة بالمائة .

#### ج - العصاد والدراسة :

اما عملية دراسية الاكداس التي تعقب الحصاد فور اكثانت تنجز بواسطة مزيج او زحافة تجر فوق حزم سيقان الغلة المكدسة ثم تفتح الغلة بمفتاح تجره الثيران . وعندما تنسخ الحبوب من جراء تلامسها بالتراب يجب عندئذ ، وبعد القيام بنوع خاص من الصلاة ، ان تذرى بالمذاري ، ثم توضع على عيدان مستقوفة فتصبح عندئذ نقيه من الاوساخ والتراب ( انظر التصوير رقم ٩٥ ) . ولا شك في ان الطريقة البدائية التي لم يزل يمارسها الزراع اليوم في حصد الغلة ودراستها وتذريتها كانت هي نفسها مستعملة في الازمنة القديمة وهي من ابتكار وتفكير تلك الاقوام السالفة ، فطريقة الدراسة المستعملة اليوم بربط عدد من الحيوانات بعضها ببعض وجعلها تدور فوق سيقان الغلة ( التصوير رقم ٩٣ ) او طريقة استعمال النورج الذي يسميه الاهلون ( الجرجر ) وهو مصنوع من الخشب وتجره الحيوانات ( التصوير رقم ٩٤ ) هما طريقتان موروثتان عن سكان العراق القدامى بدون اي شك في ذلك ، كما ان طريقة ذرو الغلة بالمذراة الشوكية التي تستعمل اليوم في تذرية الغلة في الهواء لفصل الحب عن التبن هي من دون شك الطريقة نفسها التي كان يستعملها السومريون قبل اكثر من اربعة الاف عام ( انظر التصاوير ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ ) .



الصورة رقم (٩٣)

دراسة اكداس الغلة باستخدام الحيوانات وذلك بربطها ببعضها ببعض وجعلها تدور فوق سيقان الغلة وهذه الطريقة البدائية القديمة مازالت مستعملة حتى يومنا هذا

*The Old Threshing System with Animals Treading on the Corn still in Use to-day*



#### الصورة رقم (٩٤)

النورج ويسميه الاهلورج « الجرجر » آلة بدائية مازالت تستعمل حتى يومنا هذا في دراسة اكداس الغلة وهي موروثة عن سكان العراق القدامى

*This Apparatus called "Jarjar" used to-day for Threshing Corn is inherited from the Ancient Dwellers of Iraq*

#### ٤١ - اثر اختراع المحراث في التنمية الزراعية في وادي الرافدين :

وقد كان لاختراع المحراث اثر ببارز في التقدم الزراعي في تلسك الازمان فقد اتخذته السومريون شعارا من شعاراتهم المقدسة المقرونة بالالهة ، اما عملية الحراثة فقد مورست ، أول ما مورست ، باستخدام الانسان القديم ساق الشجرة لحرث الارض ، ثم تطورت العملية باستعمال الشفرات المنجلية وقد عثر على مثل هذه الشفرات في ( كريم شاهر ) في منطقة جمجمال وهي تعود الى سنة ٩٠٠٠ الى ٧٠٠٠ ق.م. كما وجدت مثل هذه الشفرات في ( جرمو ) يعود تاريخها الى سنة ٦٠٠٠ الى ٥٠٠٠ ق.م. وفي طبقات ( تيل حسوثة )<sup>(٦٥)</sup> ظهرت المعازق المصنوعة من حجر الصوان . وفي عصر العبيد استخدمت المناجل المصنوعة من الطين المشوي في حصد المحصولات الزراعية وقطعها ، وقد أعقب هذه المرحلة استعمال أناس عصر العبيد للصفر ( النحاس الاحمر ) والفؤوس والقدم ( جمع القدوم ) . ثم ظهر المحراث مقرونا بالالهة التي أوحى باختراعه لمنفعة البشر واستعمل لأول مرة في العراق في أواخر العصر الحجري ، ويرى بعضهم ان استعمال المحراث يرجع الى الالف الخامسة قبل الميلاد وقد يرجع الى اقدم من ذلك . كما انه رافق ذلك أهتمام الانسان القديم الى تدجين الحيوان والاستعانة به في سحبه وفي جر العربات ، كالثور والبقرة والحصار . وقد اعتبر المؤرخون حادثه تدجين الحيوان واستخدام طاقته في الانتساج الزراعي حدثا تاريخيا له أهميته في تقدم الحضارة يعادل اختراع العجلة . وقد تميز المحراث بكونه أحد الشعارات الدينية التي ترهب الى قدسيته عند الساميين والسومريين والاقوام الذين جاؤا في أعقابهم . وكانت تجري في بداية موسم الحراثة من كل سنة مراسيم دينية تقليدية يقوم بها كهنة المعابد والحكام ، وقد كانت هذه العادة متبعة حتى قبل مائة سنة في بعض البلدان الشرقية ومنها الصين وذلك التماسا من الالهة بان يجعلوا الموسم الزراعي الجديد مقرونا بالخير والبركة .

## أعمال ذرو الغلة - قديماً وحديثاً

### Winnowing - Past and Present

الصورة رقم (٩٥) - اعمال ذرو الغلة - قديماً وحديثاً (انظر الفقرة ٤٠ ج).



فلاحة سومرية تحمل بيدها  
مذراة شوكية نقشت على لوح  
رخامي يرجع الى ما قبل  
٤٥٠٠ سنة عثر عليه بين اطلال  
مدينة « نيبور » ( نقر ) .

*A Sumerian Women-  
peasant holding a winnow-  
ing pitch - fork as being  
depicted on a marble slab  
dating from the middle of  
the third millenium B, C.  
discovered at " Nippur ".*

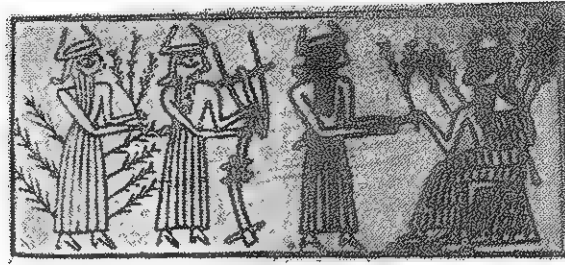
فلاح عراقي عصري يحمل  
بيده نفس المذراة السومرية  
وهو يقوم بذرو الغلة بنفس  
الطريقة القديمة المستعملة في  
العهد السومري .

*A present Iraqi peasant  
using the same Sumerian  
winnowing pitchfork and  
applying the same Sumer-  
ian method in separating  
the seeds from the straw.*



وقد أرجع سكان العراق الفضل في اختراع المحراث الى اله الزرع « أبو » او « تموز » ( انظر التصوير رقم ٢٥ من الفصل الثالث ) وأرجع المصريون القدماء الفضل في اختراعه الى احد الهتهم « زيوس » أبي الالهة والرومان الى « دانوس » .

وكان اول نقش يشير الى استعمال السومريين الاوائل للمحراث هو الاثر الذي عثر عليه في مقبرة أور الملكية والذي يرقى الى العصور السومرية القديمة . وقد ظهر شعار المحراث ومعه سنابل الحنطة او الشعير في عدة مشاهد دينية نقشت على الاختام السومرية والاكادية . ففي التصوير رقم (٩٦) نقش يظهر فيه اله ملتج جالسا يده سنبلتين من القلة ونبع من كنفه سنابل



الصورة رقم (٩٦)

منظر لاله ملتج تنبع من كنفه سنابل الحنطة والشعير ويده سنبلتان اخريان وثلاثة من الكهنة يجرون الطقوس الدينية الخاصة بتقديم المحراث والسنابل الى الاله .

*A scene of a seated god with three bearded figures presenting a plough and ears of wheat to him*  
( Ward, op. cit., Fig. 374, p. 133 ).

أخرى ، ويشاهد ثلاثة اشخاص ملتجين يتوجهون صوب الاله أولهم ولعله الكاهن يضع يديه في يد الاله ويقف وراءه الشخص الثاني حاملا المحراث المقدس لتقديمه الى الاله . اما الشخص الثالث فيقف وراء حامل المحراث وهو يحمل بكلتا يديه سنابل الحنطة كما ينبع من لباسه من كل الجوانب سنابل أخرى ، وتشاهد في هذه الصورة بكل وضوح يدتا المحراث والمآن ( سكة المحراث ) مربوطة بالنير . وفي ( التصوير ٩٧ ) نقش اخريشاهد فيه اله ملتج أيضا جالسا وقد مسك المحراث بيده ، وهناك شخصان ملتحيان يتوجهان صوب الاله ، الاول يقود الثاني الذي يحمل معه ماعزا ليقدمه قربانا للاله وتشاهد بين الشخصين نجمة تحتها خنجر وصولجان وفأس ، كما تشاهد خلف الاله اشارة الجبال والى جانبها ماعز جبلي فوقه كتابة تصويرية هي اقدم كتابة تصويرية معروفة من تلك الازمان القديمة . وفي نقش اخريشاهد الاله جالسا ويده الصولجان واحسد الكهنة يحمل المحراث ليقدمه الى الاله . وهناك كاهن اخر يقود متعبدا معه ماعز ليقدمه قربانا للاله ( انظر التصوير رقم ٩٨ ) وعلى ختم جميل من حجر الازورد نقش صورة الاله « شماش » ( اله الشمس ) معبود مدينتي « لارسا » و « سيار » وهو يحمل بيده اليمنى المحراث وامامه احد المتعبدین يصب السكينة المقدسة في اناةين ويقف خلفه احد الكهنة والى جانبه كتابة تصويرية قديمة ( انظر التصوير رقم ٩٩ ) .



الصورة رقم (٩٧)

منظر لاله ملتح يمسك يده المحراث واحد المتعبدين يقدم ماعزاً كقربان للاله

*A scene of a bearded god holding a plough with two personages the first leading the second who brings a goat as an offering ( Ward, op. cit., Fig 377, p. 134; Frankfort, op. cit., Pl. XXd ).*

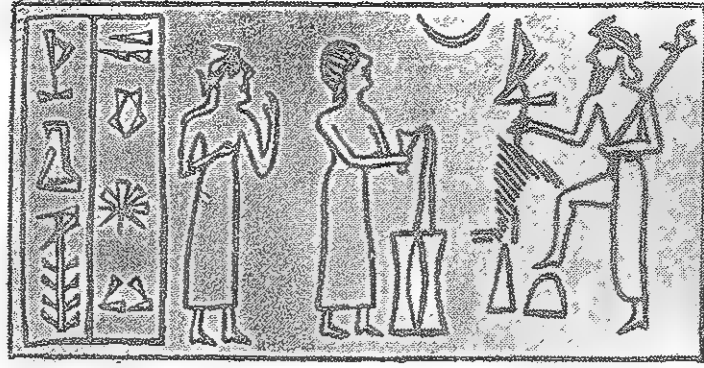


الصورة رقم (٩٨)

منظر لاحد الالهة قد جلس ويبد الصولجان واحد الكهنة يحمل المحراث ليقدمه الى الاله . وهناك كاهن آخر يقود متعبداً حاملاً معه ماعزاً ليقدمه قرباناً للاله

*This is a scene of a divine attendant presenting the plough to the seated god who holds a scepter while a second attendant leads a worshipper with a goat for Sacrifice ( Ward, op. cit., Fig 375, p. 133 ).*

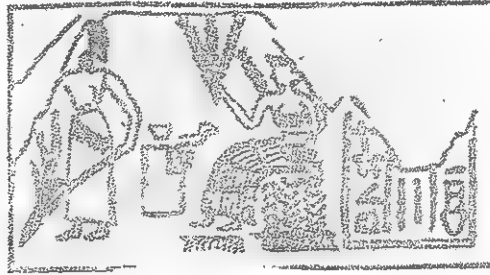
ومن النقوش التي ترمز الى قدسية المحراث نقش تشاهد فيه الهة اثنى جالسة تحمل بيدها ثلاث سنابل من الحنطة وامامها مذبح او محراب من النوع القديم ، وهناك شخص يقود المحراث وكأنه قائم بعملية الحراثة عائدا الى عمله بعد ان ترك على المحراب الذي امام الالهة دجاجة وبعض الطعام وخلف الالهة كتابة تصويرية قديمة ايضا ( انظر التصوير رقم ١٠٠ ) .  
وهناك نقوش اخرى رسمت عليها عملية الحراثة باستخدام الحيوان في سحب المحراث ، ومن أقدم هذه النقوش منظر لطريقة الحراثة يقوم بها ثلاثة أشخاص وثور واحد يجز المحراث ، ويشاهد في النقش احد الاشخاص يمسك يده المحراث بيديه وخلفه كتابة تصويرية قديمة ، في حين ان الثاني يدوس بعصاه على المان ( سكة المحراث ) لتثيتها في الاخاديد ( خطوط الحراثة )



الصورة رقم (٩٩).

ختم جميل من حجر اللازورد نقش عليه صورة الاله شماش ( الة الشمس ) وهو يحمل بيده اليمنى المحراث وامامه أحد المتعبدين يصب السكية المقدسة في إناءين ويقف خلفه أحد الكهنة .

*This scene represents the sun-god "Shamash" holding a plough and a worshipper with an attendant behind him pouring a libation on two altars ( Ward, op. cit., Fig. 379, p. 134 ).*

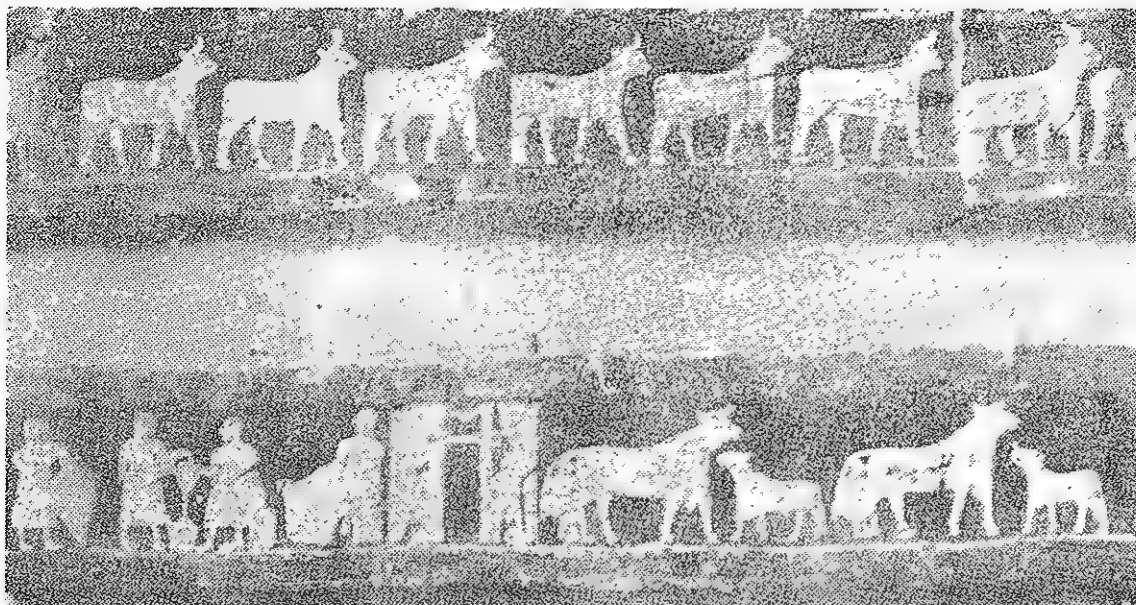


الصورة رقم (١٠٠).

منظر لالهة أشي جاسه وهي تحمل يديها ثلاث سابل من الخنطة وامامها شخص يقود المحراث

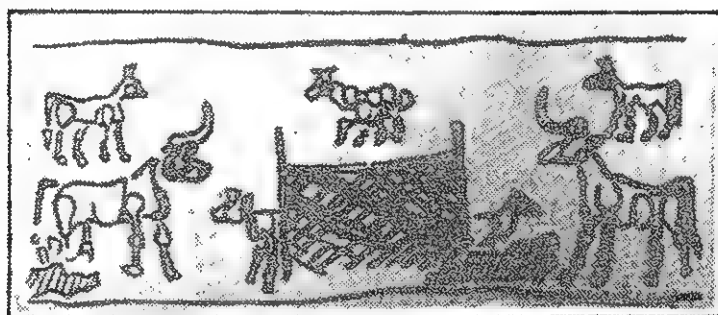
*The deity in this scene is a goddess holding 3 stalks of wheat in her hand, and an attendant holding the plough downward as if ploughing ( Ward, op. cit., Fig. 376, p. 133 )*

اما الثالث فبيده سوط يحث به الحيوان لمواصلة سحبه المحراث دون توقف . ويشاهد فوق هذا المنظر بعض الطيور يحومون حول الحارثين ليلقطوا بعض الجيوب المبدورة ( انظر التصوير رقم ١٠١ ) ، ومن النقوش لعملية الحراثة نقش يشاهد فيه زوجان من الثيران يسييران الواحد خلف الاخر في سحب المحراث ، ويقوم بهذه العملية اربعة اشخاص احدهم يمسك بيديه يديي المحراث والثاني يدوس على سكة المحراث في حين ان الثالث والرابع يحثان الثيران بالسوط على السير ( انظر التصوير رقم ١٠٢ ) . وفي نقش اخر يشاهد شخص واحد يقوم بعملية الحراثة باستخدام حيوان واحد وقد مسك الشخص بالمحراث بيد واحدة ويسوق الحيوان باليسد الثانية . وفي النقش شعار للقمر والنجوم ( انظر التصوير رقم ١٠٣ ) .



التصوير رقم (١٠٥)

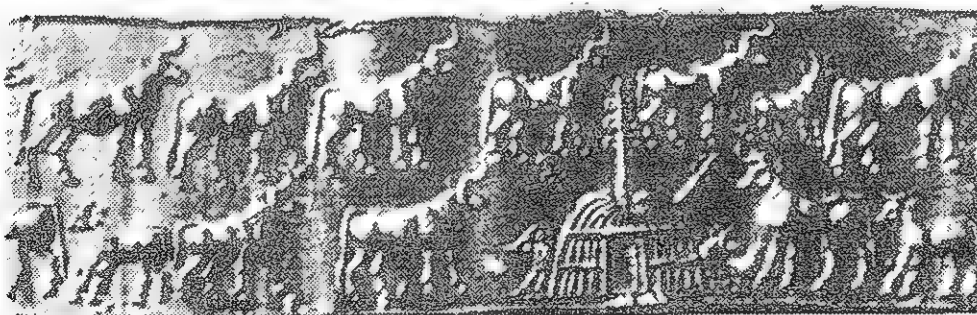
نقش يمثل أقدم معمل للابلان من العهد السومري عثر عليه في تل العبيد



التصوير رقم (١٠٦)

أقدم نقش لحظية أبقار من الصور السومرية الحالية

Oldest imprint representing a byre dating from the Uruk and Jemdat Nasr periods ( 3800- 3000 B.C. ) ( Ward, op. cit., Fig. 373, p. 133 ).



التصوير رقم (١٠٧)

منظر لاسراب البقر المقدسة الى جانب الزبده يعود الى منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد

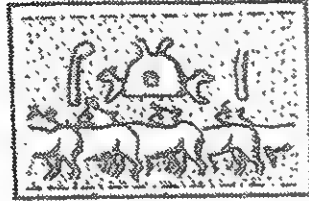
A representation of the Sacred Temple herd with a doomed byre dating back to the earlier half of the Jemdat Nasir period about the middle of the 4th millenium B.C. ( Frankfort, op. cit., Pl VIa )



من شبك الاغصان ايضا وتشاهد في أعلى سقف الزرية رموز لا يعرف ما كان يراد بها من معنى ( انظر التصوير رقم ١٠٧ ) •

وقد ظهرت على نقوش اخرى من تلك العصور الواغلة في القدم قطعان من الغنم المقدسة التي تعود الى المعابد وهي مقرونة بشعار الآلهة الام الذي يظهر في اكثر الاحيان فوق سقف الحظيرة • ففي نقش صغير يعود الى اوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ( عصر الوركاء في ما قبل التاريخ ) منظر لقطيع النعم المقدس والحظيرة التي يشاهد فيها حملان صغيران يخرجان منها ( انظر التصوير رقم ١٠٨ ) وفي التصوير رقم (١٠٩) نقش جميل يعود الى عصر الوركاء في ما قبل التاريخ

#### التصوير رقم (١٠٨)



منظر لقطيع النعم المقدسة الذي يعود الى المعابد ظهر على نقش سومري قديم يرجع الى اوائل الالف الرابعة قبل الميلاد

An impression of the Sacred Temple Herd represented with the pen or byre dating back to near the beginning of the 4th Millenium B.C. ( Frankfort, op. cit., Text. fig 5, pp. 20- 21 ).



التصوير رقم ١٠٩ — Fig. 109

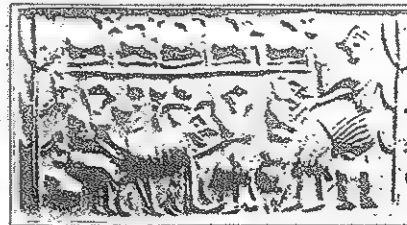
منظر لاله ملتح يمسك بيده المحراث واحد المتبدين يقدم ماعراً كقربان للاله

A scene of a bearded god holding a plough with two personages the first leading the second who brings a goat as an offering ( Ward, op. cit., Fig 377, p. 134; Frankfort, op. cit., Pl. XXd ).

#### التصوير رقم (١١٠)

احتلاب الماشية - قديماً وحديثاً

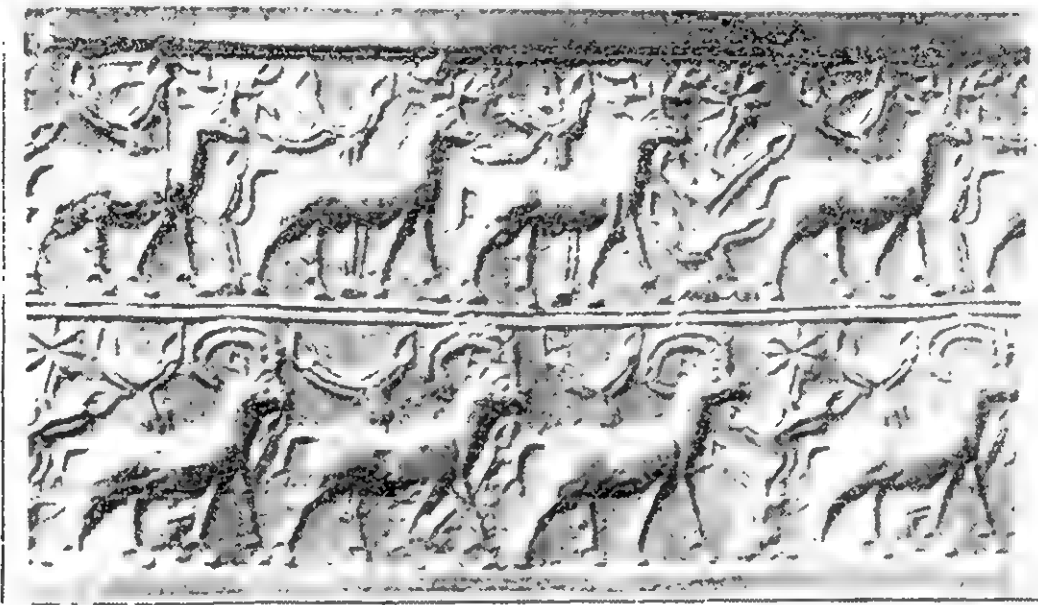
Milking Cattle - Past and Present



منظر لاحتلاب ماعز  
الهدد السومري  
A Sumerian Milking  
Scene

يتشاهد في هذا النقص الذي يعود الى عهد فجر الملائك (الالف الثالث قبل الميلاد) شيطاناً آسديماً يمسك برأس صخرة والآخر قائم عليها ومما يلفت النظر جالس قرب شجرة وهو يشرب الحليب من كوب يده • ويتشاهد كذلك الجاربه وهو يشق عليه ويلبس يده • ويظهر رات القصب على يمين النقص وصف من الانعام في الأسفل •  
This is a Sumerian milking scene belonging to the Early Dynastic Period, one man holds a goat while another milks it, and the master, sitting near a tree, drinks the milk from a cup. A dog is seen jumping against the master and licks his hand lying on his knee. Plants of reed appear on both sides of the impression while a row of sheep are depicted on the top ( vide : H. Frankfort, "Cylinder Seals", Plate XXd, pp. 59, 79 ).

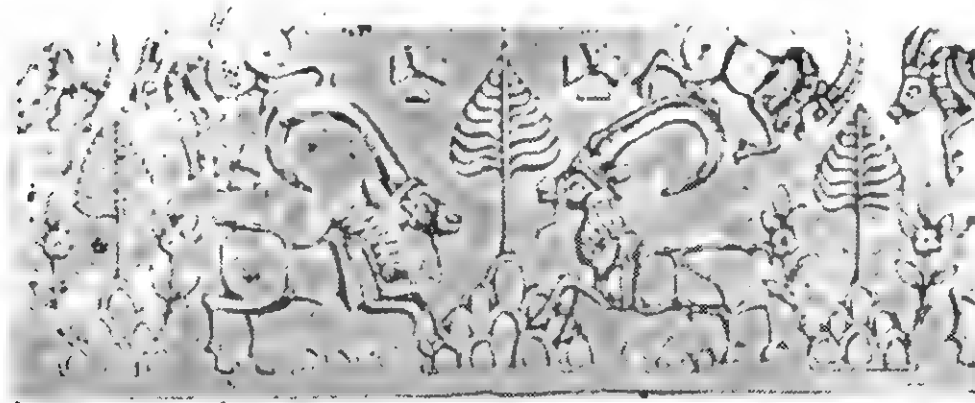
ايضا يمثل قطيعين من الغنم في صفين متناسقين يسوق كلا منهما راعيان احدهما في رأس القطيع والآخر في اخره وكل من الراعيين يحمل عصا يده . ويتجسم في هذا النقش المستوى الفني الراقي حتى ليفوق ما تظهره عدسة التصوير الحديث . ( وفي التصوير رقم ١١٠ ) نقش يعود الى فجر السلالات ( الالف الثالثة قبل الميلاد ) وفيه منظر لحلب الماشية بحيث يشاهد فيه شخصان احدهما يمسك برأس صخلة والاخر يقوم بحلبها وصاحب المزرعة جالس قرب شجرة يشرب الحليب من كوب بيده ، ويشاهد كلبه الى جانبه متسلقا اياه ولاحسا يديه . ويظهر نبات



التصوير رقم (١١١)

نقش من فجر السلالات أيضاً ( الالف الثالثة قبل الميلاد ) لصفين من الماعز مع بعض النباتات خلالهما

*This composition of animals and plants is a double frieze of goats depicted in two files dating back to the Early Dynastic Period ( Frankfort, op. cit., Pl. XIIIe ).*



التصوير رقم (١١٢)

نقش من عصر الوركاء . ( اوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ) قطع من الماعز في المناطق الجبلية ذات النباتات الكثيفة .

*Imprint dating back to the Uruk Period ( 4th Millenium B.C. ) represents a flock of wild goats in the mountainous forests of Iraq. ( Frankfort, op. cit., Pl IVj ).*

التقصب على جانبي النقش وصف من الاغنام في اعلاه . وفي التصوير رقم ١١١ نقش جميل في غاية التناسق والابداع الفني لقطيعين من الماعز في صنفين يتخللهما بعض النبات وهو تصميم يجمع بين الحيوان والنبات يرجع الى عصر فجر السلالات ايضا . ويمثل التصوير رقم ١١٢ نقشا أقدم عهدا يعود الى عصر الوركاء في ما قبل التاريخ ( أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ) ظهر فيه قطيع من الماعز الوحشي يسرح في المناطق الجبلية ذات الغابات الكثيفة ، ومن عصر الوركاء ايضا نقش دقيق يشاهد فيه ثوران يصرحان في حقل من نباتات الذرة او الدخن ( انظر التصوير رقم ١١٣ ) .

٤٣ - تقديس الساميين والسومريين للزراعة :

وكما كان الساميون والسومريون يقدسون مصدر المياه والماشية كذلك كانوا يقدسون الزراعة باعتبارها مصدر ازدهار البلاد وخصبها وهي من وحي الآلهة التي تهدف من خلق الزراعة بعث الحياة الطيبة للبشر . لذلك كانت الهة الخصب والزراعة « كولا » او « باو » مثل اله الماء « انكي » او « ايا » من اهم آلهة السومريين والساميين فكانت تنعت بالام العظمى وهي أم الاله « ايا » اله المياه العذبة ، وهي التي زودت البشرية بقطعان الماشية وزروع الحقول فكانت توسم بالعجلة ( بكسر العين ) أي صغرى البقر باعتبارها حامية قطعان الماشية . لذلك كانت



التصوير رقم (١١٣)

نقش من عصر الوركاء أيضاً يشاهد فيه ثوران يصرحان في حقل من نبات الذرة أو الدخن

Scene of a pasture where two oxen are standing in the grain of maize or millet dating back to the archaic period ( Ward, op cit., Fig.370, p. 132; Frankfort, op cit. Pl. Vb ).

القرابين من انواع ثمر اشجار الفاكهة والحيوانات تقدم الى الالهة « باو » بصفتها الهة الخصب . وكان عيد رأس السنة الذي يحتفل به في كل عام والمسمى « زامكو » يكرس لتقديم الهدايا الى الالهة « باو » والى زوجها الاله « نينكيرسو » اكبر آلهة مدينة « لجش » ، وكانت تعرف هذه الهدايا بـ « هدايا الزواج » . وكان من جملة آلهة السومريين الاله « دجان » اله الحبوب وهو الذي يحميها من الآفات الزراعية . وفكرة تقديس الزراعة فكرة قديمة جدا ففي العالم القديم كانت تقدم أضحية انسانية كلما حان أول البذار على النحو الذي كان المصريون القدماء يقدمون فيه ضحيتهم الانسانية في موسم فيضان النيل ، فيقول ويلز نقلا عن فريزر ان اضحية انسانية كانت تقدم في عالم العصر الحجري الحديث قبل عشرات الالاف من السنين كلما حان أوان البذار، ولم يكن الامر التضحية بشخص وضع او منبوذ بل كما جرى العرف التضحية بشاب مختار او فتاة مختارة ( معالم تاريخ الانسانية الترجمة العربية ج ١ ، ص ١٠٨ ) .

١ - الالهة « باو » اله الزراعة في مشاهد مراسيم وطقوس دينية :

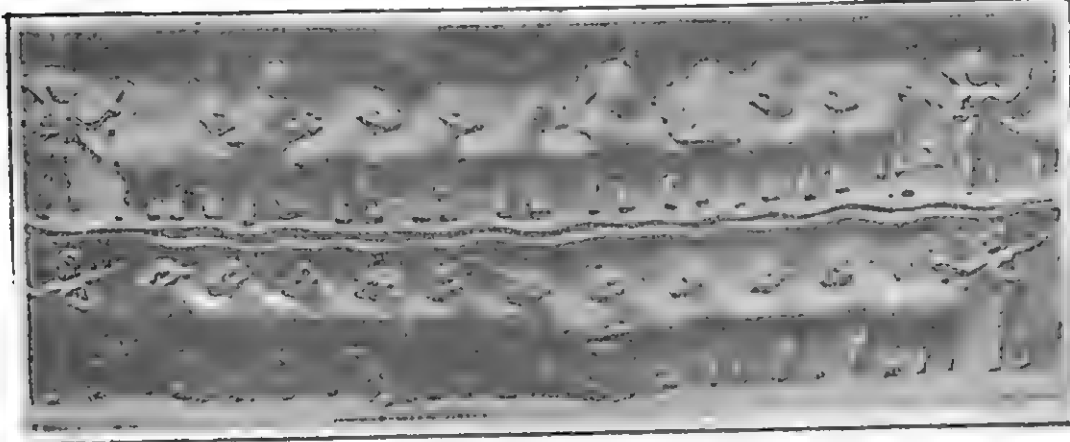
وقد ظهرت الالهة « باو » اله الزراعة في عدة مشاهد خاصة بالطقوس الدينية نقشت على الأختام السومرية والاكادية وهي محاطة بسنابل من الحنطة والشعير ( انظر التصوير رقم ١١٦ ) ،

ومن هذه النقوش نقش تشاهد فيه الهة الزراعة جالسة وهي تحمل سنبلتين من الحنطة والشعير ترفعهما في أعلى يدها اليمنى وسنبلة أخرى تحملها يدها اليسرى . وهناك ثلاثة أشخاص

التصوير رقم (١١٤)

### قطيع الغنم - قديماً وحديثاً

The Flock of Sheep - Past and Present



قطيعان من الغنم من العهد السومري القديم

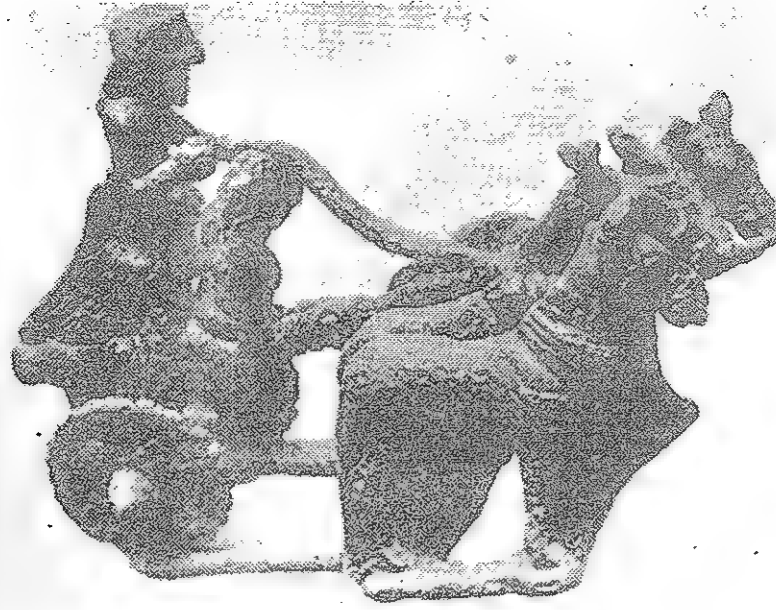
يمثل هذا النقش الجميل الذي يعود الى عصر الوركاء ( أوائل الألف الرابع قبل الميلاد ) قطيعين من الغنم في صفين متناقلين يسوق كلا منهما راعيان أحدهما في رأس القطيع والآخر في آخره ، وكل من الراعين يحمل يده العصا التي هي أهم أدوات كل راع . ويتجسم في هذا النقش المستوى الفني الراقى حتى يفوق ما تظهره عدسة التصوير الحديث .

*This artistic exhibit represents a double frieze of two flocks of sheep depicted in two files dating back to the Uruk period (the beginning of the fourth Millenium B.C.). In each flock we see two shepherds one at the head and the other at the end. Each of the four shepherds holds the usual shepherd stick in his hand. This is a vivid example of the ability of the early artists in sculpture and engraving. The pronounced directions of the figures in the top and bottom rows balance each other while the rippling movement of the advancing flocks is summarized by the wavy line. ( H. Frankfort, op. cit., Plate Vc, pp. 21, 28, 29, 34 ).*



منظر حديث من مناظر العراق  
الشمالية - مرعى طبيعي تسرح  
فيه الاغنام التي تربي فيه بكثرة .  
من تصوير المؤلف

*A recent scene of Northern  
Iraq's mountainous region -  
A flock of sheep pasturing  
in that area.*



### التصوير رقم (١١٥)

عربة سومرية من النحاس تجرها اربعة حمير وهي تمثل آدم صورة للعجلة اكتشفت في تل اجرب في منطقة ديالى وبرتقي زمنها الى عصر فجر  
'السلالات' (اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد) . وقد عثر على عجلات في اطلال «كيش» يعتقد انها أقدم نماذج للعجلة (ديوارنت، ج ٢، ص ٢٥)

*A miniature chariot in copper c. 3000 B.C. the earliest representation of the wheel, discovered at Tel Ajrab in Diyala District. Other wheeled vehicles believed to be the oldest known were unearthed at "Kish" ( Durant, vol. 2 ) .*



### التصوير رقم (١١٦)

- تمثال الالهة « باو » مشيدة الحقول والبساتين ، وهو من حجر جيري اسود ،  
تشاهد فيه وهي جالسة على عرش يسنده زوج من الوز ، وهذا الطائر هو رمزها ،  
وجد في اور يقدر زمنه من نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ( كنوز المتحف العراقي ،  
رقم ٦٤ ص ٢٠٧ ) ( انظر الفقرة ١٤٣ ) .

يتقدمون بتواضع واحترام نحو الالهة ، أولهم من الالهة الكاهن وهو يحمل سنبله في يده اليمنى وقد نبتت أغصان من كتفيه يشاهد وهو يقدم متعبدا الى الالهة كما يشاهد خادم خلف المتعبد حاملا سنبله لتقديمها قربانا للالهة . ويشاهد على يمين الصورة منظر لأحد الالهة يقاتل عدوا في منطقة الجبال ( انظر التصوير رقم ١١٧ ) .

ب - وفي نقش آخر تشاهد الالهة « باو » جالسة وقد نبتت من كتفها أغصان هي اشبه بسيقان الذرة وقد حملت بيدها غصنا آخر . وهناك أربعة أشخاص يتقدمون الواحد خلف الآخر نحو الالهة باحترام وتواضع والشخص الاخير امرأة تحمل بيدها جرة من النبيذ أو العسل أو الدهن لتقدمها الى الالهة ( انظر التصوير رقم ١١٨ ) .

ج - ومن أهم النقوش التي ظهرت فيها الالهة الزراعة « باو » النقش الذي يمثلها وهي جالسة وسنابل القمح أو الشعير تتبع من أكتافها وخلفها تمثال للالهة نفسها قائم على قاعدة وقد أحاطت بها وبتمثالها السنابل . والمهم في هذا النقش وجود كتابة في الطرف الايمن من النقش تحمل اسم الملك « نرام سين » الأكدي ابن الملك سرجون مؤسس الامبراطورية الأكديّة ( ٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق م ) ( انظر التصوير رقم ١١٩ ) .



التصوير رقم (١١٧)

الالهة « باو » الالهة الزراعة في مشهد ديني وفي وسط سنابل الحنطة والشعير

*The Goddess of Agriculture "Boa" in a Religious Scene with Ears of Wheat and Barley ( Ward, op. cit., Fig. 382, p. 135 )*



التصوير رقم (١١٨)

الالهة « باو » الالهة الزراعة مع سيقان الذرة

*The Goddess "Boa" with Maize or Millet Stalks ( Ward, op. cit., Fig. 383, p. 135 ).*

د - وفي التصوير رقم (١٢٠) نقش تظهر فيه الالهة الزراعة « باو » واقفة واحد الالهة يقف أمامها وكلاهما محاطان بسنابل القمح ، ويشاهد ماعز بينهما يرتمي بأذيال الاله ، وصلة هذا الاله بالماعز يوحى باحتمال كونه الاله « لهار » الاله القطيعان والحظيرة . وفي النصف الايمن من النقش تظهر الالهة عشتار امام المذبح وعلى كتفها آلات القتال باعتبارها الالهة الحرب . ويشاهد أحد المتعبدين يتقدم نحوها حاملا بيديه ماعزا ليقدمه قربانا لها . وتقف خلف المتعبد كاهنة او الالهة اثشي تحمل اثناء ينسكب فيه السائل المقدس . وتوجد كتابة بين الالهة الزراعة والالهة عشتار تحمل اسم « ايلي - او كوم » لعله اسم صاحب الختم أو ناقشه . ( انظر التصوير رقم ١٢٠ ) .



التصوير رقم (١١٩)

الالهة « باو » إلهة الزراعة تحيط بها سنابل القمح مع اسم الملك « نرام - سين » على النقش  
*The Goddess "Boa" with Ears of wheat or Barley and an Inscription bearing the name of Naram - Sin ( Ward, op. cit., Fig. 386 p. 136 ).*



التصوير رقم (١٢٠)

الالهة « باو » مع الاله « لهار » اله القطبان والالهة عشتار إلهة الحرب  
*The Goddess "Boa" with a male God Embowered in Wheat and the Goddess "Ishtar". ( Ward, op. cit. Fig. 387, p. 136 .*

هـ - وفي نقش جميل تظهر الالهة « باو » جالسة ويدها سنبلتان من القمح مع ثلاثة كهنة ملتحنين يتقدمون نحوها بخشوع واحترام آخرهم محاط من جميع أطرافه بسنابل القمح ( انظر التصوير رقم ١٢١ ) •

و - وفي التصوير رقم (١٢٢) نقش تظهر الهة الزراعة فيه وهي ماسكة بيدها غصنا من نبات أشبه بنبات الذرة ويشاهد ماعز جبلي منتصباً يتعلق بأذيال الالهة ، كما يشاهد شخصان متعبدان يحمل كل منهما ماعزاً لتقديمه قرباناً للالهة • ويظهر نبت من القمح وفوقه نجمة ما بين الالهة والمتعبدين •



التصوير رقم (١٢١)

الالهة « باو » ويدها سنبلتان من القمح مع ثلاثة كهنة آخرهم محاط من كل جوانبه بالسنايل  
*The Goddess "Boa" Holding two Stalks of Wheat with three Bearded Attendants the last of them enveloped in Stalks of Wheat ( Ward, op. cit., Fig 378, p. 134 ).*



التصوير رقم (١٢٢)

الالهة « باو » ويدها غصن من نبات الذرة مع شخصين متعبدين يحمل كل منهما ماعزاً لتقديمه قرباناً للالهة

*The Goddess "Boa" Holding a Branch of Maize with two Worshippers bringing goats as Offerings (Ward, op. cit., Fig. 380 p. 135 ).*

ز - وفي نقش آخر تظهر الالهة فيه جالسة وهي تحمل بيدها غصنا أشبه بنبات الذرة أيضا وقد نبت غصنان من نفس النبات في كنفهما • ويشاهد ثلاثة كهنة ملتحنين يتقدمون نحو الالهة أولهم محاط من جميع أطرافه بسنابل القمح ( انظر التصوير رقم ١٢٣ ) •

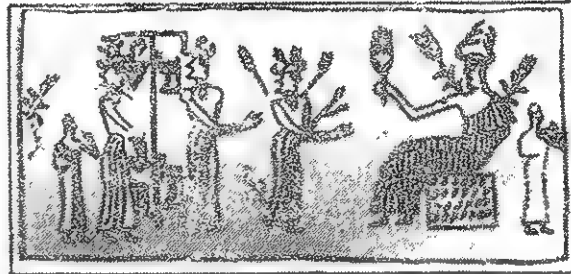
٤٤ - اتقان السومريين والساميين والساميين لفن البستنة

وقد اتقن السومريون والساميون عبداً أساليب زراعة الحبوب فن البستنة منها أصول غرس النخيل وتنميتها حيث كان يتخذ ظلالاً لحماية الخضروات والنباتات الأخرى من الشمس ومن الرياح والبرد على النحو الذي يمارسه الفلاحون اليوم • والعراق أقدم موطن وجدت فيه النخيل ان لم يكن موطنه الأصلي حيث غرس في القسم الجنوبي منذ أولى أدوار السكن والاستيطان البشري في المنطقة •

#### التصوير رقم (١٢٣)

الالهة « باو » ويدها غصن من نبات الذرة أيضاً مع ثلاثة كهنة أولهم محاط من كل جوانبه بسنابل القمح .

*The Goddess "Boa" with three Divine Attendants the first of whom is enveloped in Wheat ( Ward, op. cit., Fig. 381, p. 135. )*



كان السومريون والساميون يقدسون النخلة وقد اتقنوا الطرق الناجحة في زراعة النخيل وكانوا أول من مارس تلقيحها ، ولا شك في انه كان لأشجار النخيل دور اقتصادي مهم في ضمان استمرار حياة المستوطنين الأوائل في هذه المنطقة لعديد فوائدها واستعمالاتها •

ومما يؤيد قدم وجود أشجار النخيل في هذه المنطقة من العراق ان العلامة المسارية التي يكتب فيها النخل قد جاءت في كتابات عصر فجر السلالات ( ٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق م ) ( انظر التصوير رقم ١٢٤ ) ، ثم كثرت الاشارات في الكتابات المسارية من العهود الأخرى في جميع أنواع الكتابات • ففي وثيقة ترجع الى عهد الملك شوسن من سلالة أور الثالثة ١٩٧٨ - ١٩٧٠ ق م اشارة الى حقل من نخيل التمر « معنى بَرِّيَه كل العناية » ، ويقع هذا الحقل في المنطقة الممتدة بين « اوما » و « لجش » ويعود الى معبداله بلدة « اوما » • وقد قسم هذا الحقل الى ثماني مجموعات من النخيل وصنف كل منها بحسب عمر النخيل والمثمرة وغير المثمرة ، وتشير الوثيقة الى كميات التمر التي ينتجها الحقل بالحجم لا بالوزن كما هي العادة المتبعة في وقتنا الحاضر •

وفي نقش يرجع زمنه الى العهد السومري البابلي ( التصوير رقم ١٢٤ ) تشاهد أقدم صورة للنخلة المقدسة وعذقان من التمر يتدليان منها وفي كل من جانبيها تقف امرأة امراة مادة إحدى يديها الى عذق التمر في حين انها تحمل في يدها اليمنى عذقا آخر • والراجح ان هذا المنظر يمثل الهة بساتين النخيل •

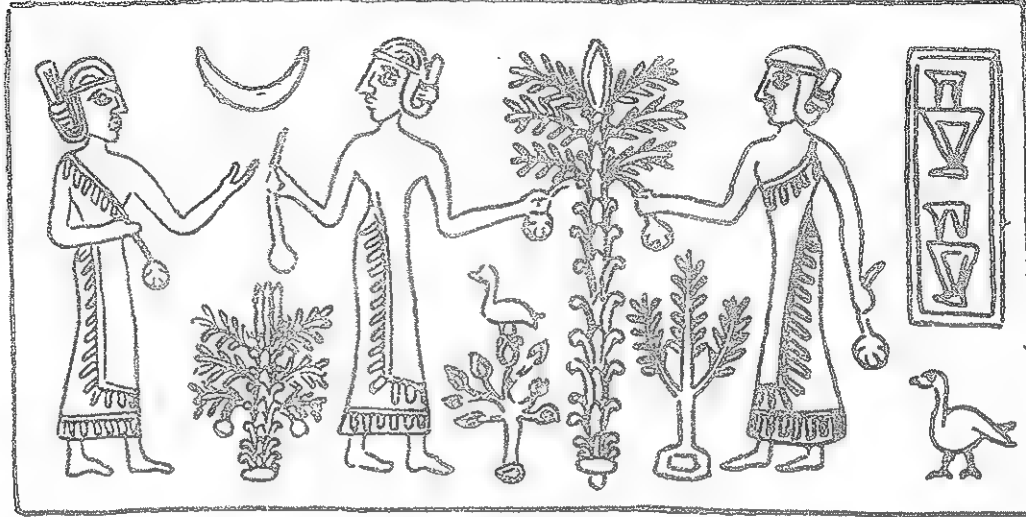


التصوير رقم (٦٢٥)  
النخلة قديماً - وحديثاً

The Palm Tree - Past and Present

أقدم صورة للنخلة المقدسة من أزمنة العهد السومري البابلي

*Oldest Representation of the Holy Palm Tree on a Cylinder  
Belonging to the Sumerian - Babylonian Period*



تشاهد في هذا النقش الذي يرجع زمنه الى العهد السومري البابلي صورة للنخلة المقدسة وعشقان من التمر يتدلان منها وفي كل من جانبيها تقف امرأة مائة تحمل ثقلاً آخر يدها الأخرى وتشاهد إحدى الامراتين تقدم العنق الذي في يديها الى امرأة ثالثة ، وهذه الأخيرة تمد يدها اليسرى لتسلم العنق في حين أنها تحمل في يدها اليمنى ثقلاً آخر . كما تشاهد نخلة أخرى صغيرة تحمل ثمرها مع شجرتين الى جانبي النخلة الكبيرة . وبشاهد أيضاً طيران هما اشبه بالبط وكذلك هلال وكتابة تصويرية لاسم ناقش الصورة . والظاهر ان هذا المنظر يمثل الالهة بساتين النخيل او الالهة الزراعة وهي تقدم الثمر المتمثل بالامراة التي تسلم عنق التمر . وكانت النخلة أحد الشعارات الدينية الأربعة التي يقدها الاشوريون اما الثلاثة الأخرى فهي المحراث والثور والشجرة المقدسة . وقد عثر على هذا الشعار منقوشاً على تاج وضع فوق محراب يعود الى عصر اسرحدون ( ٦٨٠-٦٦٩ ق م ) .

Here, we have the palm tree with its hanging bunch of dates. On each side stands a female figure with one hand on the hanging bunch of dates while she holds another bunch in her other hand. One of the two figures is handing the bunch she holds to a third female figure which is reaching forward her hand to receive it, while still holding another bunch in her other hand. There is in the field a second short palm tree with dates, and two other trees or shrubs, and also two birds like geese or ducks, also a crescent and a brief inscription with the seal owner's name. This seems to represent a goddess of the garden, or the goddess of agriculture, who is presenting its fruits to humanity represented by the woman receiving the bunches of dates ( see : W. H. Ward, "The Seal Cylinders of Western Asia, 1910, Fig. 389, p. 139 ).



The date palm was one of the four divine emblems of the Assyrians, i. e., the date palm, the plough, the bull and the "sacred tree" This is represented on a divine tiara upon an altar used by Esarhadon, King of Assyria ( 680 - 669 B. C. ) . ( See : Theo. G. Pinches, "The Old Testament in the Light of the Historical and Legends of Assyria and Babylonia", N. Y., 1902, Plate facing p. 388 ).

النخلة - حديثاً

The Palm Tree at Present

وخلاصة القول ان تدجين الحبوب والحيوان واختراع المحسرات وتحسين وسائل الانتاج الزراعي قد مكنت الانسان القديم من ان ينتقل من سكنى الكهوف الى سكنى القرى الزراعية ثم المدائن، اي ان ينتقل من مرحلة بذل نشاطه في سبيل الحصول على قوته اليومي وهي طور جمع القوت (Food Gathering Phase) الى مرحلة ترمي الى العمل على الانتاج الزراعي (Food Production Phase) واختزان المسود المعاشية الفائضة كثررة مادية تمتلكها جماعات من البشر وهي ترمز الى القوة والسيطرة .

٤٥- اتقان السومريين والساميين لعملية سد الثغرات التي يحدثها الفيضان في السدود :

ومن أدق وأنجح الطرق التي كان يستعملها السومريون والبابليون في جنوبي العراق لسد الثغرات التي يحدثها فيضان نهر الفرات في السدود المقامة لوقاية مزارعهم من الغرق والتي لا يزال يستعملها الفراتيون في الجنبوب حتى يومنا هذا لتحقيق نفس الغرض بطريقة سدد الثغرات بالبطخه . والبطخه هي عبارة عن لفة ضخمة طويلة مكونة من عدة طبقات محشاة بالشوك والبردي والقصب فتلف كل طبقة بصوف عديدة من الجبال من القصب وسعف النخل ، وتربط البطخه بجبال من نفس المواد من الارض قرب الثغرة للحيلولة دون انجرافها في التيار . وتصنع عدة بطخات فتوضع في الثغرة الواحدة بجانب الاخرى وتربط بعضها ببعض ( انظر التصويرين رقم ١٢٥ و ١٢٦ ) . وليس من شك في ان هذه الطريقة من ابتكار سكان هذه المنطقة القدامى ومن المؤكد ان السومريين والساميين كانوا أول من مارسها على نهر الفرات .

وطريقة سد الثغرات باستخدام المبرادي (الهوايش) وحصائر القصب (البواري جمع بارية) والاثربة المستعملة اليوم أيضا لسد الثغرات التي يحدثها الفيضان في السداد المقامة على ضفاف النهر هي الاخرى من ابتكار سكان هذه المنطقة ولاشك في انهم كانوا أول من مارسها ( انظر التصوير رقم ١٢٧ ) . وهنالك سدود يقوم بإنشائها سكان الاهوار اليوم تسمى « الحمول » مفردا « حمل » وهي سدود تنشأ من القصب والبردي والطين يقيمها الفلاحون في الاهوار وفي القنوات لصد التيارات المائية والاحتفاظ بالماء لسقي مزارع الأرز ، ولاشك في ان هذه الطريقة موروثة عن السومريين . سكان الاهوار الاصليين .

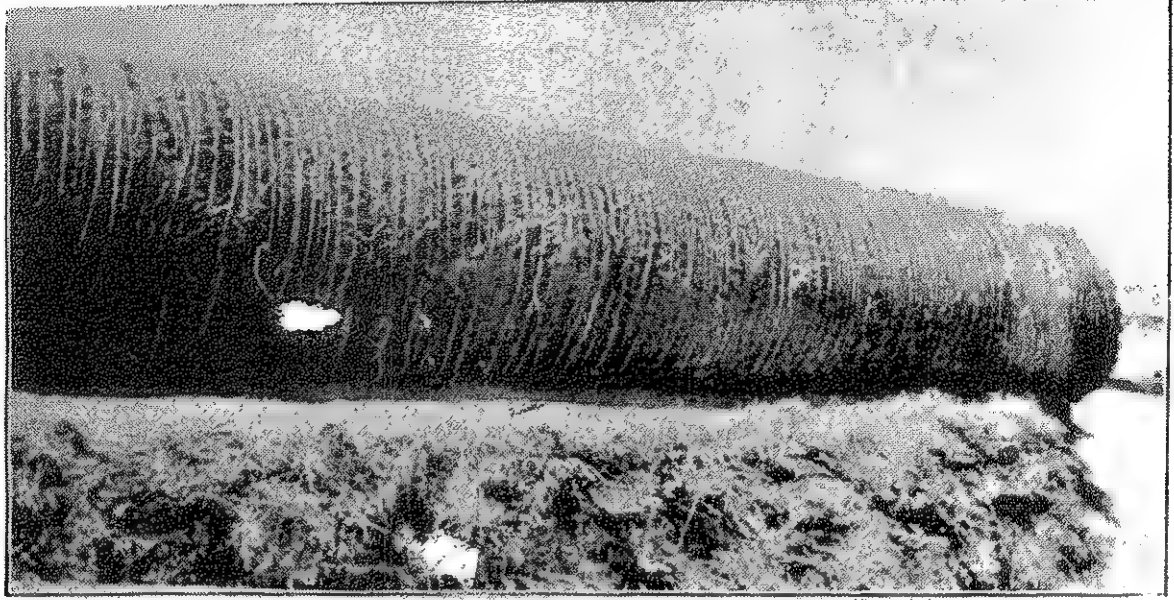
٤٦- ممارسة الري بالواسطه :

١ - الدالية والشادوف :

والظاهر ان السومريين والساميين كانوا قد استخدموا طريقة الري بالرفع وذلك لارواء الاراضي الزراعية المرتفعة عن سطح الماء علاوة على طريقة الري السيحي وقد سبقهم في ذلك الساميون باختراعهم النواعور الذي يدار بقوة التيار ( انظر ما يلي حول هذا الناعور ) . فقد استعمل السومريون في البداية واسطة رفع يدوية بسيطة ما زالت مستعملة حتى يومنا هذا في منطقة البصرة وتسمى « الدالية » . وهذه هي أشبه بالشادوف المصري الذي شاع

## اقدم عملية لسد الثغرات في ضفاف النهر بالبطخة

The Closure of Breaches in the Banks by Means of What is Known as The "Batkha" System



البطخة واستعمالها في سد الثغرات

ان طريقة سد الثغرات في السداد على ضفاف الأنهر في موسم الفيضان باستعمال (البطخة) واغلة في القدم اكتشفها وطبقها السومريون قبل حوالي خمسة آلاف عام واستعملها من بعدهم البابليون وهي مازالت تستعمل حتى يومنا هذا في سد الثغرات على ضفاف نهر الفرات اليوم . والبطخة هي عبارة عن لفة طويلة ضخمة مكونة من عدة طبقات محشاة بالشوك والبردي والقصب تلتف كل طبقة بصفوف عديدة من الحبال من القصب ومن سف النخل وتربط البطخة بحبال من نفس المواد في الارض قرب الثغرة للحيلولة دون انجرافها في التيار . وتصنع عادة حدة بطنجات فتوضع في الثغرة الواحدة بجانب الأخرى وتربط بعضها مع بعض .

### The Application of the "Batkha" System for Closing Breaches

This system used to day especially on the lower Euphrates in closing breaches in the banks during flood must have been first discovered and used some five thousand years ago by the Sumerians then used by the Babylonians. The "Batkha" used in closing breaches consists of a long sausage of brushwood and reeds bound together by ropes made out of the fronds of the date palm. It is made in the following manner : A large rope called "the Sharooof" made out of reeds is first stretched out on the ground. Every ten centimetres around the "Sharooof" thin ropes made out of date palm fronds are attached and stretched out at right angles to the "Sharooof". Across these thin ropes a layer of reeds or "Bardi" is spread and on top of the "Bardi" a layer of thorn "Shok" is spread. The "Sharooof" is then seized by a large number of men and rolled up on to the layers of "Shok" and "Bardi" into a huge sausage shaped mass, the ends of the palm leaf ropes are brought over and securely attached making the whole into a compact roll. The "Batkha" is then tied to the bank by a heavy anchor rope made of reed called "Saba", i. e. lion, and to the end of the "Batkha" another rope called "Wawi" (Jackal) is also attached and anchored back to the bank. Then the "Batkha" is rolled into the stream of the breach. Layers of branches and "Shok" are laid and on top earth is loaded until the "Batkha" sinks to the bottom. After the first sausage has been driven to the bottom a second "Batkha" is rolled and sunk in front of the first. This process is continued from both banks until the breach is closed.

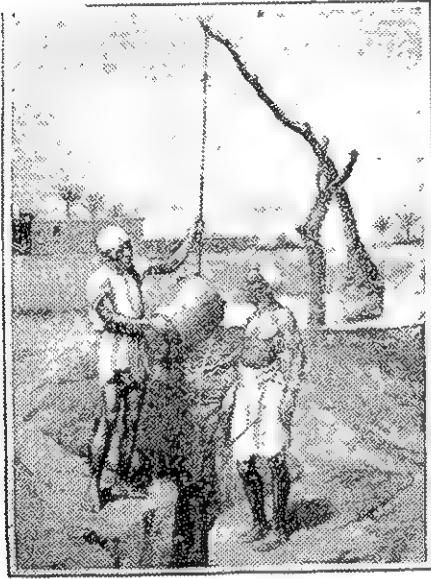


#### التصوير رقم (١٣٧) -

نشاهد في هذا التصوير عملية سد ثغرة في ضفاف النهر باستخدام ( المرادي ) وحصائر القصب والتراب

*This is an illustration of the closure of breaches on the Euphrates banks in flood by using poles ( mardī ), reed mats ( Baria ) and earth. The system must have been first invented and used by the Sumerians and Semites on the Euphrates.*

استعماله في مصر القديمة وما زال مستعملاً في الحقول الزراعية المصرية حالياً (انظر التصويرين رقم ١٢٨ و ١٢٩)<sup>٣٧</sup>. والآلة بسيطة عبارة عن عمود خشبي متحرك يستند الى ركيزة أفقية يتأرجح فوقها العمود على محور، فإذا ارتفع أحد رأسي العمود هبط الرأس الثاني نحو الأرض، وقد شددت في الجانب القصير من العمود ثقالة معاكسة وفي الجانب الآخر المواجه لمصدر الماء ربط حبل ينتهي الى وعاء من الجلد او من اية مادة اخرى، فيقوم الشخص الذي يدير عملية رفع الماء بانزال الوعاء الى وسط الماء ثم يضع ثقل جسمه على الجانب الذي فيه الثقالة فيرفع الوعاء الممتليء بالماء الى الساقية حيث يجري بعد ذلك الى الحقل. وقلما تستعمل الدالية لدفع المياه الى ارتفاع اكثر من ستة اقدام (انظر التصوير رقم ١٢٩). وقد عثر على نقش للدالية من العهد السومري القديم يشاهد فيه العمود والوعاء في أحد رأسيه والثقالة في الرأس الآخر ويشاهد



التصوير رقم (١٢٨)

الشادوف المصري

*The Egyptian Shaduf.*



التصوير رقم (١٢٩)

الدالية المستعملة حالياً في منطقة البصرة

*The "Dalia" presently used at Basra District.*

شخص عاري الجسم يدير الآلة (انظر التصوير رقم ١٣٠). كما عثر على نقش آخر للدالية من العهد الآشوري في قصر سنحاريب في نينوى وهو اكثر اتقاناً حيث يستند العمود هنا على دعامة بنائية بدلا من الركيزة الأفقية الخشبية ثم نجد تحسينات في التصميم الآشوري حيث صنع رأس الثقالة على شكل يدة منحرفة. وتشاهد في هذا النقش داليتان احدهما ترفع الماء من المجرى الى ساقية مرتفعة والثانية وهي مزدوجة ترفع الماء من هذه الساقية الى ساقية

ثانية أعلى منها ( انظر التصوير رقم ١٣١ ) وهذه الطريقة متبعة حتى يومنا هذا فاذا كان مستوى الأرض المراد رفع المياه اليها عاليا بالنسبة لمستوى مصدر المياه تنصب مضختان احدهما ترفع الماء الى قسم من الارتفاع المطلوب ثم تنصب مضخة ثانية لرفع الماء مرة أخرى الى الساقية العليا ، وكانت الدالية تستعمل في زمن العرب حيث وصفها الكتاب العرب في مجموعة آلات الاستقاء فجاء في المخصص لابن سيدة في وصفها ما نصه :-



التصوير رقم (١٣٠)

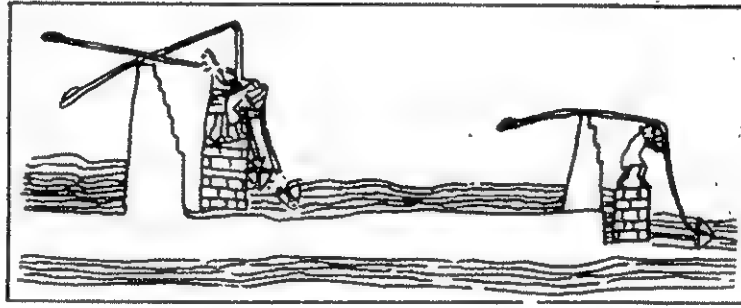
الدالية السومرية

"The Sumerian "Dalia"

التصوير رقم (١٣١)

الدالية الآشورية

"The Assyrian "Dalia"



« الدالية - جذع طويل يركب تركيب مذاق الأرض وفي رأسه مغرفة عظيمة مقيرة من خوص أو بواربي تأخذ ماء كثيرا ويجعل ما يلي المغرفة من الجذع أقصر وهو هاديه ومقدمه بقدر ما يبلغ الماء اذا انحط ويجعل مؤخره أطول فيركبه الرجال مشيا عليه فاذا صاروا الى مؤخر الجذع ارتفع مقدمه فاذا أزي بالازاء وهو مهراق المغرفة كفأها رجل قائم على الازاء فمضى الماء في الجدول الى المزرعة ونزل الرجال عن الجذع فانحط هاديه الى الماء لانه أثقل من مؤخره ثم يعود الرجال الى ركوب الجذع فهذا دأبهم » ( انظر السفر التاسع ص ١٦٣ - ١٦٤ ) .

ب - الكرد او البكره :

ثم تطورت وسائل الرفع باستخدام الطاقة الحيوانية الامر الذي فسخ المجال لرفع الماء من مصادر أعماق ورفع كمية أكبر من الماء بتوسيع حجم الوعاء ، ومن الأجهزة التي ابتكرها سكان العراق القدامى والتي لم تزال مستعملة في الوقت الحاضر « الكرد » أو « البكره » . والجهاز هو عبارة عن بكسرة كبيرة مسندة من طرفها الى عمودين ضخمين من جذع النخل وأحيانا الى

دعامتين من البناء ووعاء كبير من الجلد جعل في آخره ذنب على هيئة أنبوب تفرغ بواسطته مياه الوعاء بعد ان يكون الوعاء قد رفع الى الساقية التي يراد رفع الماء اليها . ويتم تنزيل الماء الى مصدر الماء وتصعيده الى الساقية بحبلين يربط أحدهما في أعلى الوعاء والثاني في ذنبه الانبوبي فيتحرك الأول على البكرة في تصعيد الوعاء وتنزيله ويقوم الثاني برفع الذيل الانبوبي عند الصعود فيحول دون تدفق المياه من الوعاء حتى اذا ما وصل الوعاء الى الساقية أفرغ الماء فيها بصورة تلقائية بتوجيه فتحة الانبوب نحو الساقية . ويقوم شخص بتسيير عملية تصعيد الوعاء وتنزيله فيمشي خلف الحيوان عند صعوده على المشى المنحدر لانزال الوعاء الى سطح الماء وعند نزوله عند رفع الوعاء الى الساقية . ولا شك ان هذا الجهاز من ابتكار سكان العراق القدامى وقد بقي يستعمل حتى يومنا هذا . (انظر التصوير رقم ١٣٢ ، انظر ايضاً التصاوير ٤١ و ٤٢ و ٤٣ الفترتين ٨ و ٩ من الفصل الخامس) .

#### ج - الناعور الحيواني :

ومن الآلات القديمة لرفع المياه باستخدام الحيوان ، الناعور الحيواني وهو غير الناعور الذي يدار بتيار المياه والمستعمل في هيت وعانة على نهر الفرات . والناعور الحيواني هذا هو عبارة عن دولاب قائم عمودياً يحمل سلسلة من السطول المعدنية يدور على محور في مستواه الرأسى ويتم تدوير هذا الدولاب بالطاقة الحيوانية عن طريق دولاب افقي مسنن يديره الحيوان . والحيوان يدور في دائرة حول الدولاب الافقي وهو يجبر وراءه قضيباً من الخشب مربوطاً بدواليب افقية مسننة وهذه مربوطة بدورها بالدولاب العمودي الذي يحمل سلسلة السطول . وعندما يدور الدولاب العمودي تدور السطول مع الدولاب فتتزل السطول الى ما تحت الماء فتمتليء وتصعد لتصب ماءها في الحوض العالي المعد لاستيعاب المياه وتحويلها الى ساقية للري . ويرفع هذا الناعور المياه عادة الى ارتفاع عشرين قدماً (انظر التصوير رقم ١٣٣) . وقد استعمل العرب الناعور المذكور حيث وصفه الكتاب العرب باسم الدولاب بين مجموعة آلات الاستقاء . وتعرف هذه الآلة في مصر بالساقية (انظر مجلة العربي الكويتية العدد ١٣٣ «العجلة في خدمة الانسان» بقلم الدكتور أحمد زكي ، ص ٢٨ - ٣٨) .

#### د - الناعور المائي الفراتي من اختراع الساميين :

تتألف هذه الآلة الرافعة العجيبة التي تعمل بصورة طبيعية تلقائية بقوة تيار مياه النهر من طوق خشبي كبير قد يربو قطره على عشرة أمتار في بعض الأحيان ، وقد أوصل بينه وبين المركز يقطع شجرية ضخمة ربطت ربطاً محكماً ~~مدمجاً~~ من جذع شجرة التوت ، ويستند هذا الدولاب الضخم الى دعامتين من بناء الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لمجرى النهر . وهناك سلسلة من جرار صغيرة من الخزف مصفوفة بانتظام ومربوطة بحبال صنعت من ألياف النخيل على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية ، فاذا ما تحرك الدولاب بقوة المجرى المتجهة نحوه واخذ بدورانه نحو محوره تصعد الجرار السفلى أعلى الدولاب ، فتصب حمولتها الواحدة بعد الأخرى تبعاً في ساقية ترتفع عن مستوى النهر بما يقرب من اثني عشر متراً حيث يجري الماء بعد ذلك الى الحقول . ويتم ذلك حين تبدأ الجرار بنزولها في الجانب الآخر من



التصوير رقم (١٣٢)

### The Kard or bakra.

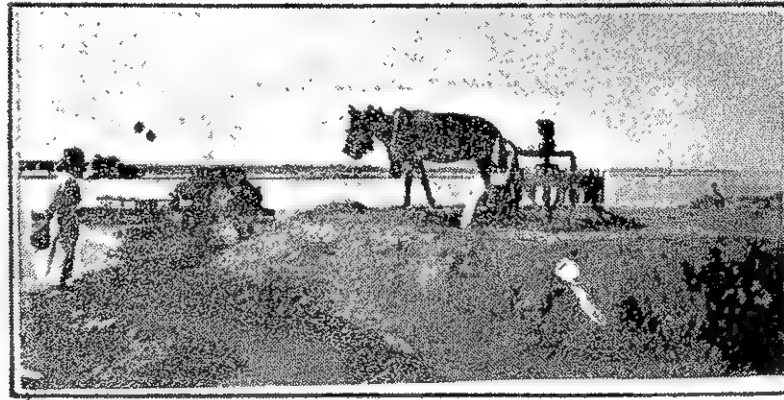
« الكرد » او « البكرة » — احدى وسائل رفع المياه القديمة تعمل باستخدام الطاقة الحيوانية وهي ما زالت تستعمل في الوقت الحاضر

*This old animal power hoist, invented by the ancients and still in use at present, consists of a huge leather bag ending in a funnel, through which, when raised to the top, the water is discharged into a trough connected with the irrigation channel. While the bag is being hauled up the tip of the funnel is kept high by a cord attached to the main haulage rope thus preventing the water from over flowing. The cord on which the leather bag is suspended works over a cylinder ( large wooden pulley ) supported on two projecting palm tree stocks. The animal which raises and lowers the bag is provided with a steeply inclined ramp on which it walks up and down. The rotation of the cylinder produces a resounding noise to which the attendant adapts his own song. On the Euphrates the whole apparatus is known as "bakra" and two pullies are usually worked side by side using two animals for that purpose.*

التصوير رقم (١٣٣)

ناعور يديره حيوان

احدى الوسائل القديمة لرفع المياه تعمل  
باستخدام الطاقة الحيوانية وهي ما زالت  
تستعمل في الوقت الحاضر .



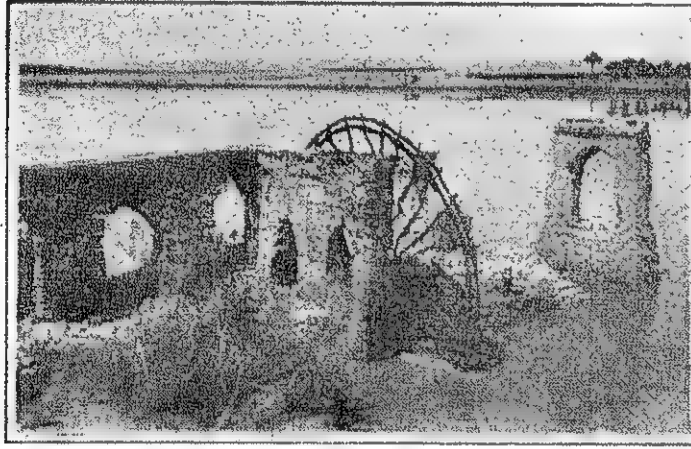
### Animal Power Water Wheel

*This is another old animal power water hoist still in use at present. It consists essentially of an endless chain provided with zinc buckets carried by a wheel which is made to revolve by power provided by animal draft. The blindfolded animal walks in a circle pulling behind it one end of a pole, the other end of which is attached to bevelled cog-wheels. These are connected with the main wheel carrying the endless chain. As the chain revolves the buckets in turn dip under the surface of the water in the well, fill up, and are carried upwards over the supporting and revolving wheel, when they empty their contents into a trough fixed above the axis of the wheel. The water from the trough is led away to an irrigation channel. Water seldom is lifted more than twenty feet by this apparatus.*



الدولاب ، وبذلك تكون كل جرة قد امتلأت ثم أفرغت حمولتها مرة في كـل دورة من دورات الدولاب . وتحدث هذه النواعير في دورانها أنغاماً موسيقية شجية تمتزج بأغاني الفلاحين ( العتابة ) وكلها تعبر في نغماتها برغم ما يرنو صفوها من أكدار عن حركة الحياة الدائمة التي ما زالت منذ الأزل كهذا الناعور . ومثيل هذا النواعير تشاهد في ( حما ) على ضفاف نهـر العاصي في سورية . ( انظر التصاوير المرقمة ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ ) .

وإذا تأملنا في تركيب هذه الآلة الرافعة القديمة نجد انها صممت بطريقة هندسية متينة لم يستطع العقل الحديث أن يضيف اليها شيئاً جديداً ، لذلك بقيت كذلك حتى يومنا هذا برغم ان هناك محاولات جرت لبدال الطوق الخشبي بطوق من حديد والاستعاضة عن الجرار الصغيرة بجرار كبيرة ، الا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح لان جميع المواد الداخلة في صناعة الناعور تتألف من الخشب وأغصان الاشجار الطرية وسعف النخيل وجرار خزفية صغيرة ، ويعود ذلك الى تيسرها في المنطقة واكتسابها القوة والمتانة كلما طال أمد بقائها في المياه .



التصوير رقم (١٣٤)

الناعور المائي الفراتي - منظر جانبي

The Water wheel on the Euphrates  
Side View

التصوير رقم (١٣٥)

لاحظ المد الذي أنشأ أمام الناعور في النهر  
لتحويل المجرى نحو الناعور واحداث تيار  
قوي لتدويره

Note the long low dam in the river  
the purpose of which is to divert the  
current toward the waterwheel in  
order to cause it to revolve



وقد يحسن تقديم عرض موجز لشكل هذه الآلة الرافعة البدائية العجيبة التي تعمل بصورة تلقائية بقوة تيار مياه النهر والتي حافظت على شكلها القديم دون أي تغيير فيها رغم مرور أكثر من خمسة آلاف عام عليها :

التصوير رقم (١٣٦)  
الناعور المائي في اعالي نهر الفرات

The Water Wheel of the Upper Euphrates



تصوير وزارة الثقافة والارشاد

Courtesy - Ministry of Culture and Guidance

ان هذه الآلة الرافعة البدائية المعجبة المستعملة اليوم في منطقة هيت وعانة وراوة في اعالي الفرات داخل الحدود العراقية والتي كانت على وجهه التاكيد مستعملة منذ أقدم العصور بعد تأسيس الساميين النازحين من أرض الجزيرة العربية مستوطناتهم الزراعية على ضفاف الفرات كانت وما زالت تصنع حتى اليوم من مواد محلية متوفرة كالخشب والحبال والخزف وهي من ابتكار العقل الهندسي القديم ، والآلة هي عبارة عن طوق خشب كبير قد يربى قطره على عشرة امتار في بعض الاحيان وقد وصل بينه وبين المركز باقطار شجرية ضخمة ربطت وبطام محكما حول محور من جذع شجرة التوت ، ويستند هذا الدولاب الضخم الى دعامتين من بناء الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لجرى النهر. وهناك سلسلة من الاباريق فخارية مصفوفة بانتظام على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية فاذا ما تحرك الدولاب بقوة المجرى المتجهة نحوه وأخذ بدورانه نحو محوره تصمد الاباريق السفلى وهي بمثابة الماء الى أعلى الدولاب فتصب حمولتها الواحد بعد الآخر تباعاً في ساقية ترتفع على مستوى النهر بما يقرب من اثني عشر متراً حيث يجري الماء بعد ذلك الى الحقول . ويتم ذلك حين تبدأ الاباريق بنزولها في الجانب الآخر من الدولاب. وبذلك يكون كل ابريق قد امتلأ ثم فرغ حمولته مرة في كل دورة من دورات الدولاب . وتحدث هذه النواخير في دورانها انماها موسيقية شجية تمتزج مع أغاني الفلاحين ( المتأب ) وكأنها تدير في نفثاتها رغم ما يرق صفوها من اكدار عن حركة الحياة التي ما زالت تدور منذ الازل كهذا الناعور . ومثل هذه النواخير تشاهد في حما على ضفاف نهر الماسي .

*This apparatus used for raising water in the District of Hil, Anah and Rawa to-day must have been used from the earliest periods of Semitic settlements in this same district. It is constructed of entirely indigenous materials, wood, ropes, earthenware, etc. It consists of a big water wheel supported on two stone abutments set at right angles to the direction of flow of the river, and with a series of gourd - shaped earthenware gugglets tied to its circumference. The force of the rapidly flowing water in the river beats on the water wheel causing the latter to revolve, in doing so, water is lifted in the gugglets. When each gugglet begins to descend its water is emptied into the channel which runs along the top of the abutment which supports the wheel leading to the agricultural field.*

تتألف هذه الآلة الرافعة البدائية العجيبة التي تعمل بصورة طبيعية تلقائيا بقوة تيار مياه النهر من طوق خشبي كبير قد يربو قطره على عشرة أمتار في بعض الاحيان ، وقد أوصل بينه وبين المركز بقطع شجرية ضخمة ربطت ربطا محكما حول محور من جذع شجرة التوت ويستند هذا الدولاب الضخم الى دعامين من بناء الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لمجرى النهر . وهناك سلسلة من جرار صغيرة من الخزف مصفوفة بانتظام ومربوطة بحبال صنعت من ألياف النخيل على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية يسمونها « قواقة » مفردها « قوق » . ويتوقف عددها على حجم الناعور لذلك يتراوح عددها في الناعور الواحد من الأربعين الى المئة . فإذا ما تحرك الدولاب بقوة المجرى المتجهة نحوه وأخذ بالدوران نحو محوره تصعد الجرار السفلى وهي ممثلة بالماء الى أعلى الدولاب ، فتصب حمولتها الواحدة بعد الاخرى تباعا في ساقية ترتفع عن مستوى النهر بما يقرب من اثني عشر مترا حيث يجري الماء بعد ذلك الى الحقول . ويتم ذلك حين تأخذ الجرار بنزولها في الجانب الاخر من الدولاب ، وبذلك تكون كل جرة قد امتلأت ثم أفرغت حمولتها مرة في كل دورة من دورات الدولاب . ويربط الناعور عادة برباط وثيق عندما تكون الحقول الزراعية مستغنية عن مياه الري .

وقد جرت محاولات لبدال الطوق الخشبي بطوق من حديد والاستعاضة عن الجرار الصغيرة بجرار كبيرة الا ان هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح لان جميع المواد الداخلة في صناعة الناعور تتألف من الخشب وأغصان الاشجار الطرية وسعف النخيل وجرار خزفية صغيرة . ويعود ذلك الى تيسرها في المنطقة واكتسابها القوة والمتانة كلما طال أمد بقائها في الماء . وخلاصة القول ان هذه النواعير مهما بدت بدائية الصنع والتركيب فانها تعكس لنا صورة ناطقة تشمل لنا الجهود الجبارة التي بذلها هؤلاء الاقوام في العصور الخالية في كفاحهم العنيف للتغلب على الصعاب من أجل البقاء والتطور (٦٨) .

وكان الناعور الفراتي مصدر وحي الشعراء العرب كظاهرة حية يتسم بها شاطئ الفرات الاوسط ، فمن أبيات كثيرة نظمت في هذه النواعير أبيات للشاعرة علية بنت المهدي اخت الرشيد أنشدتها وهي في طريقها الى الرقة للقاء الرشيد الذي بعث بطلبها الى خالها يزيد بن منصور اشتياقا اليها قالت :-

اشرب وغن على صوت النواعير ما كنت اعرفها لولا ابن منصور  
لولا الرجاء لمن املت رؤيته ما جئت بغداد من خوف وتغريب

٤٧- الملاحظة على نهر الفرات وعلى جداول الري :

وكانت الأنهر وجداول الري تستعمل في تسيير وسائط النقل المائية بين المستوطنات الريفية وبين المدن الرئيسية ، وقد كانت الحاجة الى هذه الوسائط حافزا لنمو صناعة السفن على اختلاف أنواعها وحجمها في بلاد سومر وأكد .

وقد وصل الينا العديد من الوثائق والاتفاقيات المتعلقة بموضوع النقل المائي ، وفي مدونات سومرية تعود الى تصور فجر السلالات نجد ما يشير الى سفن تنقل ما يزيد على سعة ألف جالون

من الجبوب وهي تنتقل بين المدن والقرى في نهري الفرات وفي جداول الري • ومن الوسائط النهرية التي كانت تستعمل في العراق في الازمنة القديمة وقد صورها الاقدمون على أختامهم والأواحهم الطينية وهي ما زالت تستعمل بشكلها القديم حتى يومنا هذا المشحوف الذي كان يستعمل في منطقة الأهوار وقد سبقت الإشارة اليه في الفقرة ٢٤ من هذا الفصل • ومنها ( العسبية ) التي كانت تستعمل على نهر الفرات وهي من السفن الضخمة التي تحمل أحمالاً ثقيلة •

#### ١ - العسبية الفراتية :

والعسبية وجمعها عسابي مستطيلة الشكل، عميقة ذات جوانب عمودية مرتفعة ، مقدمتها ومؤخرتها مقوستان على هيئة مثلث قاعدته عرض السفينة ، وبذلك يتكون صحن السفينة من المستطيل ومن أرضية المثلثين في المقدمة وفي المؤخرة • وترتبط الجوانب بالقاعدة على امتداد طولها بأغصان مجدولة والسفينة مقسمة من الداخل الى أقسام وكل قسم مربوط من أعلى طرفي السفينة بأعواد قوية تزيد في تماسكها وترابطها •

وتصنع العسبية من مواد محلية بحتة ، أي من أعواد وأغصان مجدولة من الصفصاف أو القصب أو البردي ومن نبات الحلفاء ومن القار ، وتصنع عادة في هيت حيث تتوفر مادة القار • وتستخدم العسبية في نقل الاحمال الثقيلة وهي تسير مع المجرى فقط لا عكسه وذلك لحجمها الضخم وثقلها ويقتصر سيرها في نهر الفرات وليس لها سكان ولا دقل • وتستخدم العسبية في نقل القار من هيت الى المدن الفراتية في جنوب العراق ثم تفسخ بعد وصولها الى الجهة التي تقصدها وتباع موادها هناك وأهمها القار مع القار الذي تحمله • ( انظر التصوير رقم ١٣٧ ) •

وقد عثر على نقش يعود الى عصر فجر السلالات ( الالف الثالثة قبل الميلاد ) تشاهد فيه سفينة كثيرة الشبه في شكلها المستطيل والعميق بالعسبية تظهر فيها الاعواد المجدولة بكل وضوح وقد ظهر على ظهر السفينة الاله الشمس وهو في طريقه الى المياه السماوية • ويشاهد اله نصف انسان مربوط في مقدمة السفينة ويده المجذاف • ( انظر التصوير رقم ١٣٨ ) والراجع ان هذه السفينة تمثل نموذجاً من السفن ذات الحجم الكبير التي كان يستعملها السومريون القدامى على نهر الفرات لحمل القار فيها من منطقة هيت الى مدنها في جنوب العراق لاستعماله في أبنيتهم كما هو متبع في الوقت الحاضر في نقل القار من هيت في العسبية الى المدن الفراتية في جنوب العراق • والراجع ان فلك نوح (ع) قد صنع على شكل العسبية ومن نفس المواد التي تصنع منها العسبية في الوقت الحاضر مع اضافة سقف لها ومرافق •

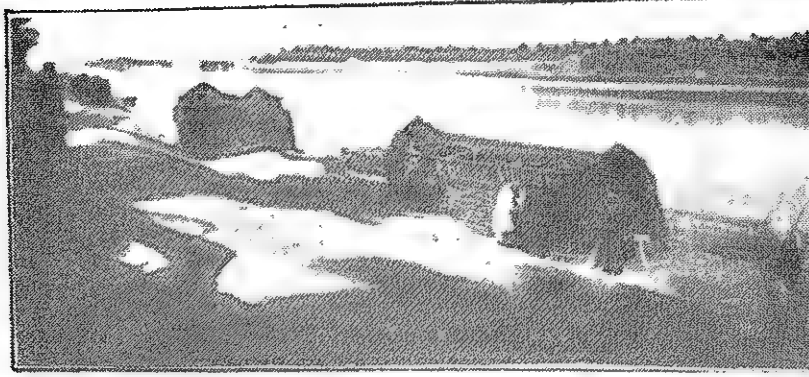
#### ب - السومريون ينقلون القار بالعسابي من هيت الى مدنها في الجنوب :

وتدل المدونات السومرية والبابلية على أن مادة القار كانت تستعمل بوفرة في تلك الازمان الغابرة كمسادة عازلة في مختلف منشآت الري كالسدود والخسزانات والجداول وفي مختلف الابنية والعمارات ، وكان القار ينقل بالعسابي ( جمع عسبية ) من هيت الى المدائن السومرية في الجنوب • وقد ذكر ان الملك « ايانام » أحد ملوك لجش انشأ في حوالي منتصف الالف

## العسيبة الفراتية

### The Isbiyah of the Euphrates

التصوير رقم (١٣٧)



العسيبة تحت الانشاء

من تصوير المؤلف في  
هيت كانون الاول ١٩٣١

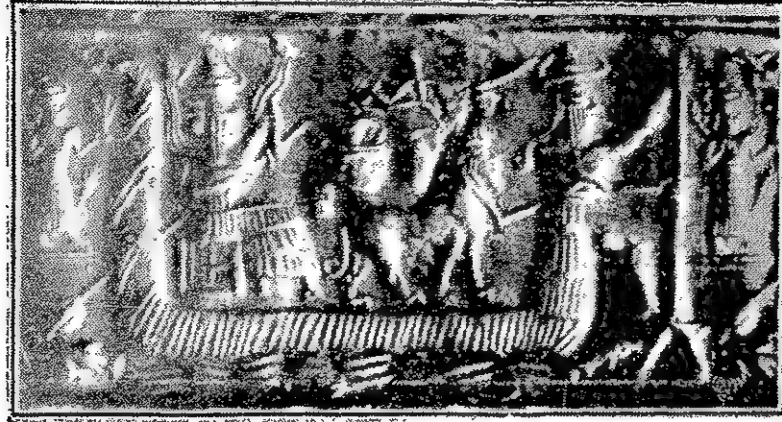
### The "Isbiyah" Under Construction

Taken by the author at Hit,  
Dec. 1931.



هذا نموذج من سفينة حديثة تستعمل على نهر الفرات شبيهة تماماً بنوع السفينة السومرية المنقوشة على الختم والمنقولة صورتها على اللوح ٢ وتعرف هذه السفينة محلياً باسم «عسيبة» أو «قاية» وتصنع بسهولة من مواد محلية (اختشاب واغصان مجدولة من صفصاف ونبات الحلفاء مطلاة بالقار) وتستعمل في نقل الاحمال الثقيلة ، وهي كالسفينة السومرية مستطيلة الشكل وعميقة وتصنع عادة في مدينة هيت حيث تتوفر مادة القير وتسير هذه السفينة في نهر الفرات مع المجرى فقط لحجمها الضخم وثقلها . والسفينة تستعمل لنقل القير ثم تقسم بعد وصولها الى الجهة التي تستهدفها وتباع موادها وأهدمها القير مع القير الذي تحمله . وعلى هذا يمكن التأكيد ان قس « العسيبة » هذه كانت تستعمل على نهر الفرات منذ أقدم الأزمنة بنفس الطريقة التي تستعمل فيها اليوم ، ولعل الفلك الذي صنعه نوح ( ع ) كان من هذا النوع من السفن . ( مقتبس من مذكرة للمؤلف مؤرخة في ١٩٣٢/١/٢٩ ) كان قد اعددها الى المتحف العلمي في لندن مع نموذج مصغر من « العسيبة » .

*This is a type of a river vessel very similar to the type depicted on the Sumerian seal (Pl. II). It is used to-day on the Euphrates River and is called "Isbiyah" or "Kaya". It is constructed of entirely indigenous materials (wickerwork of rush or willow covered with bitumen) and used for extremely heavy charges. It is like the Sumerian type, rectangular in shape with high stern and prow. This type of vessel is usually constructed at Hit where bitumen is abundantly available and is used in the meantime to carry bitumen. It navigates downstream only on account of its heavy weight and it is usually dismantled after reaching its destination and the bitumen of which it consists is sold as a commodity. We can thus assert confidently that the present "Isbiyah" had also been used on the Euphrates in the earliest periods. ( From a note by the author dated 29-1-1932 entitled : " The Isbiyah of Hit, Iraq, prepared for the Science Museum, England, with a model of this craft ).*



التصوير رقم (١٣٨).

الاله الشمس على سفينته في طريقه إلى البحر السماوي

*The Sun-God in his Boat on his way to the Heavenly Waters*

الثالثة قبل الميلاد سدا غاطسا على أحد الجداول الرئيسة في لجش استعمل في انشائه ٢٥٩٢٠٠ لتر من القار ، كما انه ذكر ان خلفه « اتيمينا » اقام سدا آخر من هذا النوع استعمل في انشائه ٢٦٤٩٦٠ ليترا من القار . ومن الاستعمالات الاخرى للقار تبليط الشوارع الرئيسة في المدن وتبليط الارضيات في البيوت وفي الحمامات بصورة خاصة . وقد عثر على مجرى انبوبي مسيع بالقار يمتد تحت زقورة بورسيا ( برس نمرود ) وعلى مثيله تحت زقورة أور وذلك لصرف مياه الامطار والمياه القذرة ، كما عثر في مقبرة أور على قطعة من الصدف نقش عليها خطوط ثبتت بالقار ، وفي تل العبيد كشف عن قطعة على شكل جذع النخل وقبدها بالفسيفساء واللؤلؤ على قاعدة من القار . وقد بلط شارع هيكل بابل الرئيس بالقار كما بلط الشارع المؤدي الى معبد عشتار في آشور بالقار أيضا .

ج - القفه ( الكفه ) - تاريخها ، استعمالها :

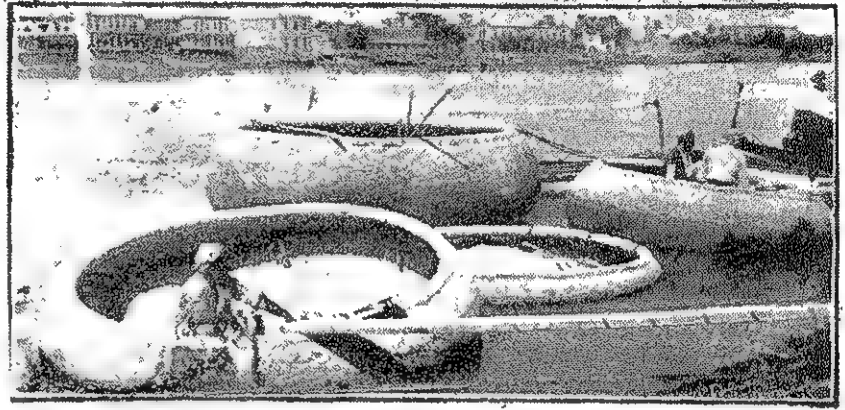
وهناك أنواع أخرى من وسائل النقل المائية كانت تستعمل في العصور السومرية والبابلية والآشورية ولا تزال تستعمل على أنهر العراق حتى يومنا هذا أشهرها القفه ( الكفه ) ، وشكل هذه الناقلة المائية مدور ومجوف يسيرها الملاح بالمجذاف ويتناوب جذبها مرة الى اليمين ومرة الى اليسار للحيلولة دون استدارتها على نفسها . وتنشأ القفه من مواد محلية هي : أخشاب وأغصان مجدولة من صفصاف ونبات الحلفاء مطلية بالقار ويحشى قشر القمه بألياف تدعى

( نسلات ) من جبل القنب وقطع من الصوف مع مزيج من التراب الناعم والقار لمنع تسرب المياه الى داخل القفة . وتتراوح حمولة أكبر هذه الناقلات المائية بين ١٢ و ١٦ طنا وذلك بقطر من ١٦ الى ١٨ قدما . وقد ظهرت القفة في نقوش بارزة على قطعة حجرية عثر عليها في قصر - حاربي في نينوى ( ٧٠٥ - ٦٨١ ق م ) وهي نسخة طبق الاصل للقفة المستعملة حاليا . وكانت انتفاة من بين المظاهر الغريبة التي لفتت نظر هيرودتس فوصفها وصفا حقيقيا من حيث شكلها الخارجي ولكنه خلط بينها وبين « الكلك » المصنوع من الأجرة المنفوخة فقال ان القفة مصنوعة من الأجرة ( انظر التصويرين ١٣٩ و ١٤٠ ) .

#### التصوير رقم (١٣٩)

القفة ( الكفة )

ناقلة مائية قديمة ترجع الى المصور  
السومرية والبابلية والآشورية ومازالت  
تستعمل حالياً على أنهر العراق



"The Old Coracle or 'Guffa'  
still in use on the Rivers  
of Iraq."

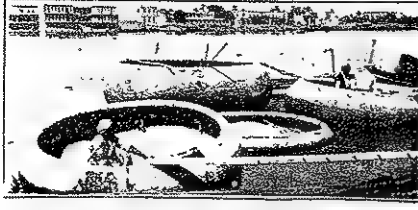
ب - الكلك - تاريخه استعماله :

« الكلك » وفي الآشوري « كلكو » وبالعربية الرمث هو أحد وسائط النقل القديمة التي ما زالت تستعمل حتى اليوم على أنهر العراق . والكلك ينشأ عادة من عيدان خشبية مربوطة بعضها ببعض وفي الغالب من أخشاب الحور ( القوغ ) الذي يزرع في الشمال ، ثم

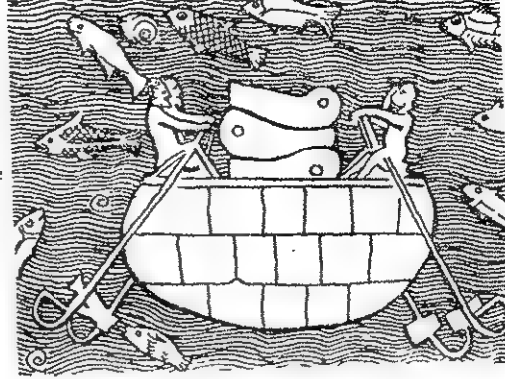
## القفة ( الكفة ) - قديماً وحديثاً

### The Coracle or "Guffa" - Past and Present

( صورة سومرية للقفة )



( الكفة ) المستعملة حالياً  
على أنهر العراق  
The Present "Guffa" Used  
on The Rivers of Iraq



التصوير رقم (١٤٠)

القفة ( الكفة ) قديماً

The " Guffa " as depicted on  
ancient has - reliefs

« الكفة » العراقية واسطة نقل مائية استعملت في أنهر العراق منذ أقدم الأزمنة كما تدل المناظر المنقوشة على الألواح التاريخية . وشكل هذه الناقلة مدور وجوف يسيرها الملاح بالمجداف ويتناوب جده مرة الى اليمين ومرة الى اليسار الحيلولة دون استدارتها على نفسها . وتنشأ « الكفة » من نفس المواد التي تنشأ منها المسية ( اللوح ٢ ) ويحشى قشر « الكفة » بنسالات من حبل القنب وقطع من الصوف مع خليط من التراب الناعم والقار لمنع تسرب المياه الى داخل الناقلة . وتتراوح حمولة اكبر هذه الناقلات المائية بين ١٢ و ١٦ طناً وذلك بقطر طوله ١٦ الى ١٨ قدماً . وقد ظهرت « الكفة » في نقوش بارزة على قطعة حجرية عثر عليها في قصر سنحاريب في نينوى ( ٧٠٥ — ٦٨١ ق . م . ) وهي نسخة طبق الأصل للكفة المستعملة حالياً . وكانت « الكفة » من بين المظاهر التي لفتت نظر هيرودوتس في العراق فوصفها وصفاً حقيقياً من حيث شكلها الخارجي ولكنه خلط بينها وبين « الكلك » المصنوع من الاجربة المنفوخة فقال ان « الكفة » مصنوعة من الاجربة .

The river craft called locally " Guffa " and used to-day in Iraq belongs to the river vessels which have been demonstrated in historic time. It has a spherical shape and is propelled by means of rough paddles, with which the boatman makes strokes in turns to the left and right so as to progress without causing the " Guffa " to spin. The " Guffa " is constructed of the same material as that of the " Ibsiyah " ( pl. 2 ) It is caulked with oakum and scraps of wool all tightly compressed and mixed with fine earth and bitumen which ensures that it is water-tight. Large " Guffas " carry 12 to 16 tons, the diameter of the widest girth being 16 to 18 feet.

A representation in relief of a " Guffa " appears on a wall facing slab ( orthostate ) of stone from King Senacherib palace at Nineveh ( 705-681 B.C. ). It is absolutely identical with those to be seen in use to-day on the rivers of Iraq. Well known is the mentioning of the " Guffa " by Herodotus ( 1/194 ) who was struck by the singular and practical kind of transport on the rivers. In his description, however, the " Guffa " seems to be thrown together with the hide raft " the Kelek ". For it may be supposed, that also the early " Guffas " consisted of a wickerwork of rush or willow that was covered with bitumen instead of leather as it is to be read in Herodotus ( vide : A. Paterson, " Palace of Senacherib, " The Hague, Pl. 46-47 ; G. Contenau, " Manuel d'archeologie orientale, " I, p 70 : " Every Day Life in Babylonia and Assyria " , p 48 )

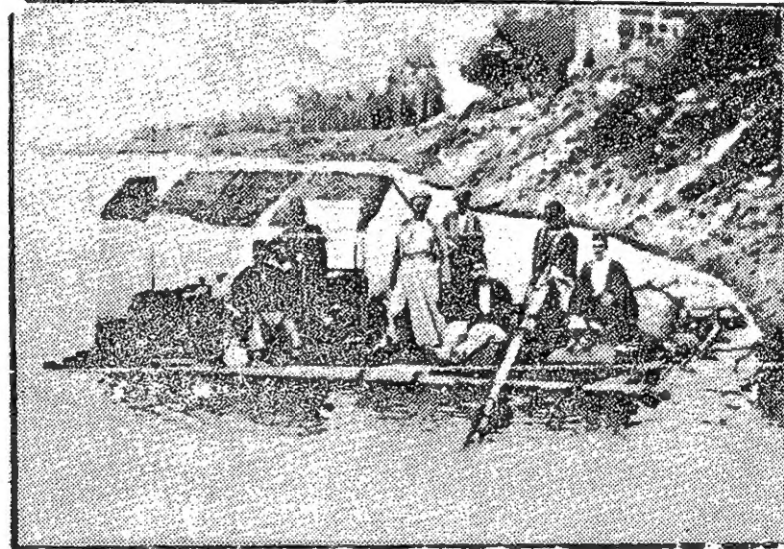
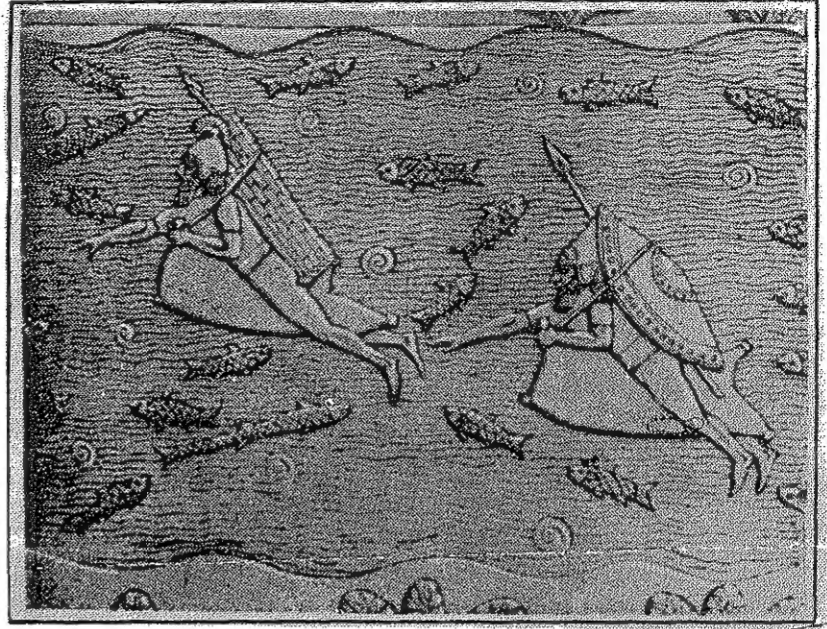
تربط هذه التركيبة من الاخشاب فوق ستين أو سبعين جراباً منفوخاً بحيث تستطيع هذه الناقلة بعد ان تعوم فوق الماء نقل بضائع ذات حمولة كبيرة . ويسير الكلك عادة مع المجري لا ضده ، ويدفع الكلك بالمجاديف قرب الساحل حتى اذا ما وصل الى جنوب العراق والى بغداد خاصة تم تسريع الحمولة ثم تفسيح « الكلك » ويسرع أخشابه . ويجري بعد ذلك فئس الاجربة واعادتها الى الشمال لاستعمالها من جديد في انشاء أكلاك أخرى . وقد ظهر « الكلك » على نفس النقش الآشوري الذي ظهرت عليه القفة وهذا هو نسخة طبق الاصل للكلك المستعمل على نهر دجلة في الوقت الحاضر كما يشاهد في التصويرين ١٤١ و ١٤٢ . وفي النقش ( التصوير رقم ١٤١ ) الذي



التصوير رقم (١٤١)

جنود آشوريون يعبرون نهراً على الاجربة

*Assyrian Soldiers Crossing a River on Inflated Goat Skins*



التصوير رقم (١٤٢)

صورة مأخوذة قبل حوالي نصف قرن للكلك في طريقه بين الموصل وبغداد في نهر دجلة يشاهد فيها المسافرين مع بضائعهم كما تشاهد سقفة اعدت للجزء اليها في حالة سقوط المطر .

*A reproduction of the ( Kelek ) taken some fifty years ago travelling on the Tigris between Mosul and Baghdad. Travellers are seen sitting beside the paddler. A covered portico is also seen behind them for use as a shelter during rain.*

التصوير رقم (١٤٣)

سماك من سكان شمال العراق الحالي  
يسبح على جراب في نهر الزاب  
الكبير ويقود وراءه سمكة كبيرة  
مربوطة بحبل

من بحور العراق

*A Present Iraqi Fisherman  
Journeying Along The Greater  
Zab River on Inflated Goat  
Skin Towing Behind Him  
His Big Fish With a Rope*



التصوير رقم ١٤٤

الاله « ايا » اله المياه يتجول على سفينه في منطقة  
الاهوار .

*The Water god "Ea" travels in a  
boat along the Marshland.*



يعود الى العصر الآشوري منظر لجنود آشوريين وهم يعبرون نهرا على أجسرة كل منهم على  
انفراد . وهذه الطريقة نفسها يتبعها أهل الشمال اليوم لعبور الانهر أو الانتقال في النهر مع  
المجرى ( انظر التصوير ١٤٣ ) .

ج - السفن في النقوش السومرية

وأقدم ما وصل الينا من نقوش تحل صور السفن السومرية القديمة هي النقوش المقرونة  
بالآلهة وبالملاح السومرية ، ففي نقش على أحد الأختام السومرية ( التصوير رقم ١٤٤ ) يشاهد  
الاله « أنكي » اله المياه وهو يتجول في منطقة الاهوار في جوار « أريدو » على ظهر قارب شبيه  
بالمشحوف المستعمل في مناطق الاهوار اليوم ( انظر ما تقدم « حول المشحوف » في شاهد  
الاله في هذا النقش واقفا في وسط السفينة وقد تبع من كتفيه مجريان على ضفافهما نباتات من  
الغلة يعتقد انهما نهرا دجلة والفرات ، كما يشاهد ملاحان يجذفان وهما واقفان الى جنبي الاله ويبد  
كل منهما مجذاف طويل ، وتظهر نباتات القصب في الاهوار والاسماك تحوم من بينها حول  
السفينة ( انظر ما تقدم حول الاله « أنكي » أو الاله « ايا » ) اله الماء .

وفي نقش قديم أيضا ( انظر التصوير رقم ١٤٥ ) يظهر جلعاش صاحب الملحمة السومرية  
الشهيرة جالسا أمام أحد الآلهة على ظهر سفينة يسيرها ملاح خلفه ، ويعتقد أن هذا المنظر يمثل  
ما ورد في الملحمة من مقابله لاوتونبشتم ( نوح السومريين ) الذي يشاهد جالسا أمام جلعاش  
وعلى رأسه تاج الالهية ، اما الملاح الذي يدفع السفينة فهو « اورشانا بي » الذي ورد اسمه في  
الملحمة ( انظر ما تقدم عن ملحمة جلعاش وقصة الطوفان في الفصل الرابع ) .



التصوير رقم (١٤٥)

البطل الاسطوري « جلعاش » يسافر عبر البحر  
السمائي في سفينة

*The Mythic hero Gilgamesh travelling  
across the Heavenly Ocean in a boat.*

## هوامش الفصل السادس - السومريون في حضارة وادي الرافدين

- (١) دكتور محمد مهران (دراسات في تاريخ العرب القديم)، الرياض، ١٩٧٧، ص ١٩٩. Burrows, "Telmun, Bahrain, Paradise in Orientalia", Heft 2 Sereptura Saera et Monumenta Drientis Antiqui Roma, 1228.  
انظر أيضاً: دكتور جواد علي، (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) ١: ٥٥٣ - ٥٧٢.  
(٢) «مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة» ١٩٧٤، ص ٦٤.  
(٣) S. P. Handcock, "Mesopotamian. Archaeology. London 1912, P. 2.

- (٤) طه باقر (مقدمة...) مصدر سابق، ص ٦٢ - ٦٣.  
(٥) المصدر السابق، ص ٨٠.  
(٦) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، ص ١١٥.  
(٧) الدكتور فوزي رشيد، «قواعد اللغة السومرية»، وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٢، ص ١٢٧.  
(٨) فزانكفورت، «فجر الحضارة في تاريخ الشرق الأدنى القديم» ترجمة ميخائيل خوري، ص ٩١.  
(٩) طه باقر «المقدمة...» مصدر سابق، ص ١٢٥ - ١٢٦.  
(١٠) دكتور موريتكات، مصدر سابق، ص ٣١.  
(١١) المرجع السابق، ص ٥٠ - ٥١.  
(١٢) المرجع السابق، ص ٥٤.  
(١٣) سومر، م ٢٢ (١٩٦٦)، ص ٧٣.  
(١٤) طه باقر، «مقدمة...» مصدر سابق، ص ٣٠٥.  
(١٥) دكتور فوزي رشيد، مصدر سابق، ص ٢٧.  
(١٦) طه باقر، مصدر سابق، ص ٢٨٥ - ٢٨٧.  
(١٧) المصدر السابق، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.  
(١٨) ديلاپورت «بلاد ما بين النهرين»، ترجمة محرم كمال، ص ٤٣٥.  
(١٩) T. Jacobsen, "Salinify and Irrigation Agriculture In Antiquity", Baghdad, 1958 (Mimeo-graphed). OP.Cit.  
(٢٠) ديلاپورت «بلاد ما بين النهرين»، ص ٢٨.  
(٢١) T. Jacobsen, "Salinify OP.Cit.  
(٢٢) حول سلالة لجش الأولى والعصر السامي السومري القديم انظر:

C. L. Woolley, "The Sumerians", 1965; Sarzec, "Decouvertes en Chaldee", 2 vols, Paris 1884-1912; De Genouillac, "Fouilles de Tello", 2 vols., 1939-36; A. Parrot. "Tello, vingt Campagnes de Fouilles", 1877-1933, Paris, 1948; F. Basmachi, "The Stele of Ur-Nanche in the Iraq Museum", Sumer, Vol. XVI (1969; F. Basmachi and D. O. Edzard, "Statue of son of Enannatum 1 in the Iraq Museum", Sumer XIV (1958), pp. 109-113.

- (٢٣) ديلاپورت «بلاد ما بين النهرين»، ص ١٢٨.  
(٢٤) محمد أمين زكي، «مغلاصة تاريخ الكرد وكردستان» الترجمة العربية، ص ٩٥ - ٩٩.  
(٢٥) ذكر الأستاذ محمد أمين زكي (رح) أن «الكرد» عرفوا عند السومريين بأسم «كوتي» جودي، جوتي وعند الآشوريين بأسم «كوتي» وكوتي وكارتي وكارد وكارداكا وكاركتان وكاردان، وعند الفرس بأسم كوريتوي وكاردان، وعند اليونان والرومان بأسم كاردون، كوردوكي، كارد خوي، كاردوبسكاي (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان صفحة ٨١ من الترجمة العربية).  
(٢٦) جيمس هنري بريستد، «انتصار الحضارة»، ترجمة الدكتور احمد فخري ص ١٨٠. Watelin, "Excavations at Kish", BV, 193.  
(٢٧) حول القبور المكتشفة في كيش انظر:  
وعن مقبرة السوس انظر: Kramer in Iraq, Vol. 22, 1960 59 ff.

- (٢٨) طه باقر، «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» ص ٢٧٦ - ٢٧٧.  
(٢٩) حول مقبرة اور الملكية انظر:

Woolly, "Ur Excavations", Vols. & II  
-----, "Ur of the Chadleees", 1938.  
-----, "Excavations of Ur", 1954.

انظر ايضا:

- طه باقر «مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة». ص ٢٧٥ - ٢٨١.
- E. D. Van Buren, "The Fauna of Ancient Mesopotamia", Rome, 1939, p. 74. (٣٠)
- (٣١) سومر. م ١٦ (١٩٦٠). ص ١١٢ - ١١٤.
- J. C. Russel, "Aspects of Soil Salinity in Iraq", FAO, Jan. 20, 1956, Baghdad Iraq (٣٢)
- (٣٣) «من جنة عدن الى عبور نهر الاردن» للسر ويليام ويلكوكس، ترجمة الدكتور احمد سوسة ومحمد الهاشمي، ص ٣٦ - ٣٧.
- (٣٤) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠. ص ١١٤.
- (٣٥) كتاب الخراج لأبي فرج قدامة م ٦ (المكتبة الجغرافية العربية طبعة لندن ١٨٨٩ ص ٢٤٠).
- (٣٦) الدكتور شاكر مصطفى سليم، «التجارب» الطبعة الثانية ١٩٧٠، ص ٢٣١.
- "Archaeological Survey of Ancient Calals". By Albrecht Goetze, Director of the Baghdad Branch of the American Schools of Oriental Research, Sumer, Vol. XI, 1955 No. 2, pp. 127-128, with map facing p. 129.
- وقد نقل هذه الدراسة الى اللغة العربية الاستاذ صادق الحسني ونشرت في المجلد ١٦ من مجلة سومر لسنة ١٩٥٥ (ص ٢١٩ - ٢٢٠).
- "Survey of Ancient Water Courses and Settlements in Central Iraq". By Robert M. Adams, Sumer, Vol. XIV, 1958 Nos. 1@2, pp. 101-103 with 6 maps. (٣٨)
- "Settlements of Ancient Akkad". By Robert M. Adams, Archaeology, 10 (1957), PP. 270-273 (Map on page 270). (٣٩)
- "The Waters of Ur. "By Thorkild Jacobson Iraq Vol. XXII 1960, pp. 174-185, with map of ancient canals of Sumer. (٤٠)
- "La geographie et les voies du communication du pays de Sumer", par Th. Jacobson, Revue d'Assyriologie, vol. LII 1958 pp. 127-129. (٤١)
- Recently Discovered Ancient Sites in the Hammar Lake District (South Iraq). "By Georges Roux, Sumer, Vol. XVI, 1960, Nos. 1@2, pp. 30-31. (٤٢)
- "An Abandoned Irrigation System in Southern Iraq. "By Dr. Howard S. Nelson, Vol. XVIII (1968). pp. 67-72. (٤٣)
- H. G. Wells, "The Outline of History", N. Y., 1940, p. 186. (٤٤)
- T. Jacobson, "Salinity and Irrigation Agriculture in Antiquity, "Diyala Basin Archaeological Project, Report on Essential Results June 1, 1957, to June 1, 1958 (Mimeo-Mahed). Baghdad, 1968 Available at the Library of Antiquities, Baghdad. (٤٥)
- , "Summary of a Report by the Diyala Basin Archaeological Project, June 1, 1957 to June 1, 1958". Sumer, Vol. XIV, Nos. 1@2 (1958), pp. 79-89.
- , and Adams (R.M.) "Salt and Silt in Ancient Mesopotamian Agriculture. "Science, Nov. 21, 1958, Vol. 121, No. 3334, pp. 1251-1258.
- R. M. Adams, "Land Behind Baghdad. A History of Settlement on the Diyala Plains." University of Chicago Press, 1965. (٤٦)
- Les travaux hydrauliques en Babyloine", par A. Delattre, S.J., extrait de la revue des questions scientifiques, Octobre, 1888 Bruxelles, pp. 476-507. (٤٧)
- "The Mouth of the Rivers. "By W. F. Albright, t American Journal of Semitic Languages, XXXV (1918-19), pp. 161 ff. (a Study of the importance of water in Babylonian ritual). (٤٨)